د. الحسينى الحسينى معدّى

الأساطير اليونانية والرومانية

أساطير العالم

كنوز
للنشر والتوزيع

الأســاطيــر

اليونانية والرومانية

سلسلة أساطير العالم
الأساطير اليونانية والرومانية

المؤلف
د/ الحسيني الحسيني معدي

الإشراف العام
ياسر رمضان

الناشر
كنوز
للنشر والتوزيع
37 ش قصر النيل ـ القاهرة تليفون: 0127717795

التنفيذ الفني

فور إتش للكمبيوتر

٠١٠٦٦٧٤٣٣٥

رقم الإيداع: ٢٢٨٢٩/ ٢٠٠٩

الترقيم الدولي: 977-5307-82-k

سلسلة أساطير العالم

الأساطير

اليونانية والرومانية

تأليف

د. الحسينى الحسينى معدى

كنوز

للنشر والتوزيع

مقدمــة

تحتل الأسطورة حيزاً مهماً من تراث الإنسانية ومجتمعاتها كافة، ولا يخلو مجتمع أو حضارة من أساطير ترتبط بتراثها جنباً إلى جنب مع الأشكال الأدبية والفنية الأولى التى تميز ثقافة ذلك المجتمع، كالحكايا والخرافات والسير الشعبية وقصص التراث والموضوعات الفنية المختلفة، وتأتى أهمية دراسة الأساطير فى مرتبة ثانية بعد دراسة اللغة والدين والفنون والفلسفة والعلوم عند الشعوب.

فالأساطير حلقة اتصال بالماضى، وكثيراً ما تكون هى المصدر الوحيد لدى بعض الأمم لمعارفهم عن الكيفية التى نظر بها أسلافهم الأقدمون إلى العالم حولهم، وكيف فسروا ظواهره العديدة، ولا يستطيع أحد أن ينكر تأثير الأساطير على جميع الآداب والفنون فى العالم أجمع وكثيراً ما جمع الدارسون والباحثون والأدباء قصص وحكايات الأساطير مثل قصص أبطال اليونان القديمة، وقصص الهنود الحمر والإسكيمو والقبائل الإفريقية ورجال أدغال أستراليا.

وعلاوة على هذا، يستعمل شعراء جميع الأمم وقصاصوهم الأساطير فى أغراض شتى فيعيدون روايتها بلغتهم شعراً ونثراً، وفى القصص القصيرة وشعر الملاحم والمسرحيات.

كان للأسطورة دائماً سحرها الخاص النابع من عالمها الحافل بالخوارق والأعاجيب حيث تتلاشى خطوط الواقع لتكتسب المجردات وجوداً مادياً، وتدب فى الجمادات أرواحاً، ولا عجب بعد ذلك أن كان للأساطير أثرها الخالد على الفن والأدب لا فى العالم القديم وحده بل وفى عالمنا المعاصر أيضاً مما يجعل الإلمام بها ضرورة لا غنى عنها لكل محب للفنون والآداب.

ويخاطب كتابنا هذا القارئ العربى الشغوف بالمعرفة، فيصحبه فى رحلة ممتعة إلى عالم الأسطورة فيبدأ بالخليقة ثم يرقى بنا إلى ذرى الأولمب ليهبط

بنا إلى البحار ومنها إلى المروج والغابات حيث كان لكل منها أربابها.

وإنى بهذا الكتاب أود من صميم قلبى أن أكون قد قدمت موسوعة صغيرة شاملة لأساطير اليونان والرومان.

والخير أردت.. وعلى الله قصد السبيل.

د. الحسين الحسينى معدّى

أسطورة الخلق الإغريقية

فى البداية لم يكن موجوداً سوى الخواء الكونى السرمدى، المظلم واللامحدود، وكان مصدر الحياة يكمن فيه، فكل شىء ظهر من الخواء الكونى اللامحدود ـ العالم كله والآلهة الخالدون ـ ومن الخواء الكونى جاءت آلهة الأرض، غايا أو جيبيا وقد امتدت واسعة جبارة، تهب الحياة لكل من يعيش أو ينمو عليها.

وبعيداً تحت الأرض بعد السماء المشرقة الشاسعة عنا، على عمق سحيق، ولد الترتار المتجهم «أعماق الجحيم» وهو هوة سحيقة، مملوءة بالظلام السرمدى ومن الخواء الكونى ولد الحب ـ إيروس القوة الجبارة، التى تحيى كل شىء وأنجب الخواء الكونى الظلمة الأبدية «إيريب» والليل المظلم ـ «نوكس» ومن الليل والظلمة جاء النور الأبدى، الهواء أو الأثير، والنهار المشرق البهيج، وقد انتشر الضوء فى العالم بأسره، وراح الليل والنهار يتناوبان.

وأنجبت الأرض الجبارة المعطاء السماء الزرقاء، التى لا حدود لها، وامتدت السماء فوق الأرض، وباعتزاز شمخت نحو السماء الجبال العالية، التى أنجبتها الأرض، وانبسط البحر الصاخب أبداً، واسعاً شاسعاً، وسادت السماء العالم، وتزوجت من الأرض المعطاء، فأنجبا ستة أولاد وست بنات جبابرة أقوياء، وقد أنجب ابنهما الجبار أوقيانوس، الذى يزن الأرض كلها، والآلهة تيثيس، أنجبا كل الأنهار، التى تدحرج أمواجها نحو البحر، كما أنجبا الآلهة البحرية الأوقيانوسيات.

أما المارد «هيبريون، وثيا» فقد أنجبا هيليوس، إلهة الشمس، وسيلينة إلهة القمر، وإيوس أورورا الوردية، إلهة الفجر.

وأما «استرايوس، وإيوس» فأنجبا النجوم، التى تتلألأ فى سماء الليل المظلمة

والرياح وهى «بورياس» ورياح الشمال العاصفة، «وإيروس» الريح الشرقية و«نوتوس» الريح الجنوبية الرطبة «وزيفير» الريح الغربية الحنونة، التى تسوق السحب المحملة بالأمطار.

وبالإضافة إلى المردة فقد أنجبت الأرض الجبارة ثلاثة عمالقة «السيكلوپيات»، ذات العين الواحدة، وثلاثة عمالقة بحجم هائل كالجبال، لكل منهم خمسون رأساً، وقد عرفوا باسم هيكاتونشير، لأن لكل منهم مائة يد. ولم يكن بمقدور أى شىء أن يقف فى وجه قوتهم الهائلة، التى لا حدود لها.

كان أورانوس يكن الكراهية والبغض لأبنائه العمالقة فى جوف إلهة الأرض، فسجنهم فى الظلمة الظلماء ولم يسمح لهم بالخروج إلى الدنيا، مما سبب المعاناة لأمهم الأرض التى كانت مثقلة بالعبء الفظيع، المحبوس فى جوفها. وقد استدعت أولادها المردة، وراحت تحرضهم على التمرد على أبيهم أورانوس، لكنهم كانوا يخافون من مس أبيهم بسوء، سوى كرونوس الماكر، خلع أباه بدهائه، وسلبه السلطة.

وعقاباً لكرونوس أنجبت إلهة الليل لفيفاً من الآلهة الفظيعين: ثاناتوس الموت، إيريدا: الشقاق، أباتا الخداع، كير التدمير، هيبنوس النوم، الذى تتخلله الكوابيس المرعبة، ونيميسيدا: الانتقام للجريمة، والكثير من الآلهة الأخرى.

وقد جلب هؤلاء الآلهة الهول، والشقاق، والخداع، والصراع، والبؤس إلى العالم، حيث تربع كورنوس على عرش والده.

■ ■ ■

آلهة الإغريق

زيــوس

كلمة زيوس تعنى فى الأصل «السماء» وزيوس يعرفه الرومان باسم جوبتر هو رب الأرباب وحاكم الكون المطلق من فوق جبل الأولمبوس، بإقليم أبيروس غرب بلاد اليونان، حيث كانت مركز نبوءته، وكذلك فى أولمبيا بإقليم إيليس فى غرب إقليم البيلوبونيسوى، حيث يلتقى نهرا كلاديوس والفايوس.

ومن الطبيعى أن يمر زيوس نفسه بألوان من التحولات المختلطة ففى كريت حيث وجدت حكايات كثيرة عن مولد زيوس، امتزج بالإله المحلى للخصوبة، وتوحى أسماؤه المتعددة بأنه كتبت له السيادة على وظائف معظم الآلهة المتخصصين.

فقد أدرك اليونانيون مبكرين، على نحو غير عادى، وجود إله عال محيط بكل شيئ، وأصبح زيوس هو الإله الذى يرعى الاستقامة، فهو زيوس «المنقذ» وزيوس «محقق الآمال» عالياً فوق الأولمب المشرق يتربع زيوس، يحيط به لفيف من الآلهة، وهنا ـ أيضاً ـ زوجته هيرا وأبو للون، ذو الشعر الذهبى، وشقيقته أرتيميس، وأفروديت الذهبية، وأثينا القوية، ابنه زيوس وكثيرون غيرهم من الآلهة.

وتقوم على حراسة مدخل الأولمب العالى الهورات الثلاث الحسناوات اللواتى يرفعن الغيمة الكثيفة، التى تسد البوابة حين تهبط الآلهة على الأرض، أو ترتفع إلى قصور زيوس العالية، وعالياً، فوق الأولمب، تمتد السماء الزرقاء السحيقة، ومنها يتدفق الضوء الذهبى.

وفى مملكة زيوس لا يوجد مطر ولا ثلج، ولا تعرف إلا الصيف المشرق البهيج، ومن تحتها الغيوم التى غالباً ما تحجب الأرض البعيدة وهناك على الأرض يحل الخريف والشتاء محل الربيع والصيف، ويحل البؤس والحزن محل

السعادة والفرح.

صحيح أن الآلهة بدورها تعرف الأحزان، لكن أحزانها سرعان ما تزول، وتعم البهجة الأولمب من جديد، ومن الأولمب يرسل زيوس إلى الناس عطاءاته ويرسخ النظام والقوانين على الأرض، فمصير الناس بين يدى زيوس: السعادة والبؤس، الخير والشر، الحياة والموت، وعند بوابة قصر زيوس يقوم وعاءان كبيران، فى الوعاء الأول عطايا الخير، وفى الآخر عطايا الشر، ومن الوعاءين يغرف زيوس الخير والشر، ويرسلهما للناس، والويل كل الويل لذلك الإنسان، الذى لا يغرف له نافث الصواعق إلا من وعاء الشر، كما أن الويل كل الويل لمن يخل بالنظام، الذى سنه زيوس على الأرض، ولا يتقيد بقوانينه، حيث يقطب ابن كرونوس حاجبيه الكثيفين برهبة، فتحجب السحب السوداء السماء، يستبد الغضب بزيوس العظيم فيرتفع الشعر على رأسه بشكل فظيع، وتقدح عيناه شرراً لا يطاق ويلوح بيده اليمنى، فيتردد هزيم الرعد عبر السماء كلها، ويومض البرق الساطع، ويميد الأولمب العالى، وعند عرش زيوس تقف الربة ثيميس حامية القوانين، وبإيعاز من نافث الرعد تدعو إلى اجتماع الآلهة على الأولمب، والاجتماعات الشعبية على الأرض، وتسهر على ألا ينتهك القانون والنظام.

آريس

ويعرفه الرومان باسم «مارس» إله الحرب والوباء، وعشيق أفروديتى الشهيرة وكانت عبادته تتركز فى منطقة طيبة وثركيا. وقد لعب دوراً كبيراً فى أسطورة الحرب بين الإغريق والطرواديين، ولكن الديانة الإغريقية لم توليه أهمية كبرى إذ اعتبره الإغريق رباً دخيلاً عليهم، وباستثناء ظهوره مع أعضاء مجلس الآلهة، لم يظهر كثيراً فى أعمال الفنانين ولم نعرف معبداً خاصاً بعبادته.

إن آريس الهائج، إله الحرب، هو ابن زيوس قاصف الصواعق وهيرا.

ولم يكن زيوس يحب ابنه، ولو لم يكن آريس ابنه إذن لكان قد رمى به منذ عهد بعيد فى التارتار المظلم، هناك حيث يتعذب المردة، إن قلب آريس الشرس لا

تسره إلا المعارك الطاحنة، فتراه لا يقر له قرار، وهو يتحرك وسط قعقعة السلاح وصراخ وأنين المتقاتلين، وفى سلاحه الساطع، حاملاً ترسه العملاق، ومن خلفه يندفع ولداه ديتيمسوس وفوريوس ـ الخوف والرعب ـ ومعهما أريس، ربة الشقاق وأينيو الربة التى تزرع القتل، ويحمى الوطيس، وتتردد قعقعة السلاح، ويتساقط المحاربون وهم يطلقون الآهات، لكن آريس يتلذذ برؤية ذلك، إن آريس يشعر بنشوة النصر حين يصيب المحارب بسيفه الرهيب، ويتدفق الدم الحار على الأرض، إنه يضرب خبط عشواء، يميناً وشمالاً.

إن آريس عنيف شرس ورهيب لكن النصر ليس أبداً حليفه، فغالباً ما يتقهقر آريس فى ساحة المعركة أمام أثينا بلاس المحارية، ابنة زيوس، التى تتغلب على آريس بحكمتها وإدراكها الهادئ لقوتها، ولا يندر أن يتغلب حتى الأبطال الفنانون على آريس، وخاصة إذا ما مدت لهم أثينا بالاس يد المساعدة.

وعلى هذا النحو أصابه البطل ديوميد برمحه النحاسى تحت أسوار طروادة، كانت أثينا هى التى سددت الضربة، وقد ترددت بعيداً صرخة الإله الجريح، لكن عشرة آلاف محارب قد صرخوا دفعة واحدة، وهم يندفعون إلى ساح الوغى. تلكم كانت صرخة آريس من شدة الألم، ودب الرعب فى قلوب الإغريق والطرواديين، أما آريس الشرس فقد انطلق، مدثراً بغيمة كالحة، مضرجاً بالدم، انطلق إلى أبيه زيوس يشكو أثينا إليه، لكن زيوس لم يستمع لشكواه، فهو لا يحب ابنه الذى لا يتلذذ إلا بالنزاع والمعارك والقتل.

بوسيدون

عرفه الرومان باسم نبتون رب البحار والمحيطات والينابيع والأنهار، وكان يمسك بالأرض حتى لا تهتز أو ترتجف فإذا أراد شراً بالناس هز الأرض فتحدث الزلازل والبراكين وقد عشق بوسيدون الخيل وارتبط بها، وكان مركز عبادته عند منطقة خليج كورنثا حيث تبدأ السفن رحلتها إلى ما وراء البحار.

وعميقاً فى غياهب البحر يقوم قصر خارق الفتنة، قصر بوسيدون محرك

الأرض، آخر زيوس مبدع الصواعق، وهو يبسط سلطانه على البحار فأمواجها رهن إشارة يده المسلحة بالخطاف المثلث الشعب، وإلى جانبه تعيش زوجته الفاتنة أمفيترينا، ابنه نيريوس، شيخ البحر الخالد والتى اختطفها بوسيدون، سلطان الأغوار البحرية من أبيها، لقد شاهدها ذات مرة تقود حلقة راقصة مع أخواتها النيريدات على شاطئ جزيرة ماكسوس فأسره جمالها وأراد أن يحملها معه على مركبته إلا أن أمفيترينا اختبأت عند العملاق أطلس، الذى يرفع القبة السماوية على منكبيه العظيمين.

ومكث بوسيدون يبحث طويلاً عن الفتاة الرائعة دون جدوى، وأخيراً هداه الدلفين إلى مقرها فأثابه بوسيدون برفعه إلى السماء وجعله نجماً من نجومها، واختطف بوسيدون ابنة نيريوس الفاتنة واتخذها زوجة، ومنذ ذلك الحين تقيم امفيترينا مع زوجها فى مملكة ما تحت البحار، تضطرب الأمواج عالياً فوق القصر وتحيط ببوسيدون جمهرة من آلهة البحر وكلهم خاضع لإرادته.

أوربا

هى ابنة ملك صور - والتى سميت باسمها قارة أوربا - وهو ابن ليبيا وبوسيدون إله البحر وقد ترك مصر ليسكن فى فينيقيا مع أولاده الخمسة قدموس وفيونكس «أبو الهول» وسيلس وثاسوس وفينياس.

وتقول الأسطورة: إن زيوس كبير الآلهة رآها فهام بها حباً ولكى يفوز بها تقمص صورة ثور وديع وراح يقفز حولها وهى تمشى على الساحل، وأخيراً تمكن من إغرائها بالركوب فوق ظهره وقفز فى الماء حاملاً حبيبته أوربا إلى كريت وهناك أنجب منها ثلاثة ذكور منهم: مينوس الذى أصبح حاكماً للجزيرة، وتقول الأساطير - أيضاً -: إن أوربا كانت إلهة الليل إذ أن اسمها من أصول سامية ومعناه الواضحة، وتروى الأسطورة أن أوربا حملت إلى الغرب لتزويجها من زيوس، ثم تزوجت من استريوس ملك كريت الذى تبنى أولادها وقد أعطاه زيوس، هدية الزواج تمثالاً برونزياً لرجل اسمه ثالوس، للدفاع عن مملكته ويقولون: إن ثالوس كان يضرب الغرباء بحجر أو بالنار أو يعصرهم بيده.

أرتميس

وقد عرفها الرومان باسم ديانا وهى توأم أبوللون وقد اعتبرها المفكرون والفنانون الإغريق رمزاً للكمال والجمال العذرى، كما كان أخوها بالنسبة للشباب وقد فضلت أرتميس أن تعيش عذراء واهبة حياتها للأدغال والمراعى فهى ربة الصيد حيث صورت دائماً وهى تحمل السهام كما عرف عنها الانتقام ممن يحاول حتى النظر إلى قوامها كما فعل أكتايون الذى كان يصطاد فى إحدى الغابات، ففوجئ بها تستحم، فراح يختلس النظر إليها فيما كان منها إلا أن جعلت الكلاب تنهش لحمه.

وهكذا أصبحت أرتميس حامية للشرف العذرى، كما كانت تعاون النساء ساعة الوضع، كما ارتبط اسم أرتميس بالقمر مثلما ارتبط اسم أخيها بالشمس.

هرميس

ويعرف عند الرومان باسم مركوريوس، وقد ذكرته الأساطير بأنه مبعوث الآلهة، لذا كان يصور دائماً وهو يحمل عصا الرسول ويرتدى خوذة الإخفاء المجنحة والحذاء الطويل المجنح، وقد قام بعد مولده بسرقة ماشية أخيه أبوللون، ولذا اتخذه اللصوص رباً لهم، كما عرف بأنه رب التجارة وحامى الطرق وقائد الأرواح عبر سراديب العالم الآخر، وقد ارتبطت صورته بعضو الإخصاب، حيث كانت تقدم إليه القرابين فى هذا الشكل، وقد عرف ـ أيضاً ـ بأنه رب الطبقات الفقيرة، وقد ارتبطت عبادته بعبادة الإله المصرى أنوبيس رب العالم الآخر وامتزجا معاً فى صورة واحدة أطلق عليها هرمانوبيس، كما عودل بالرب بتاح رب منف.

ديونيسوس

عرفه الرومان باسم باخوس رب الحصاد والحدائق والكروم ورب الخمر والمرح والشهوة والمتعة وكان لا يفيق من سكره أبداً ويصور ثملاً تحيط به مجموعة من أتباعه وهم مخلوقات بشرية لها ذيول الخيل وآذانها.

محبة للعربدة والعبث، ولهذا الإله أهمية فى الأدب الإغريقى والتراجيديا الإغريقية حتى أن كلمة تراجيديا اشتقت من اسم تراجوس أى: «الجدى» وهو حيوان ديونيسوس المفضل لما عرف عنه من طاقة وحيوية وخاصة فى الجماع، ويقال: إن ديونيسوس كان إلهاً وافداً من الشرق ولكن الأساطير الإغريقية ربطته ببلاد اليونان.

ديمتير

وقد عرفها الرومان باسم كيريس، كما عرفوا ابنتها بتحريف اسمها الإغريقى إلى بروسربينا التى كانت تعرف عند الإغريق باسم كور، وقد عبدت الأم والابنة ربتين عظيمتين وارتبطتا بالعبادة الزراعية، حيث كانتا فيما كان يعتقد تحميان الزراعة وتزيدان المحاصيل حتى أن ديمتير كانت تصور دائماً وهى تحمل سنابل القمح فى يدها.

هيرا

وقد عرفها الرومان باسم يونو، وهى شقيقة زيوس وقرينته الشرعية، وكانت الربة المختصة بشئون النساء والحامية للزواج وللأسرة وإلى جانب معبدها فى أولمبيا عبدت فى مدينة أرجوس فى أسبرطة وكذلك فى جزيرة ساموس بالقرب من شاطئ آسيا الصغرى.

أثينا

وتعرف عند الرومان باسم مينرفا، وتروى الأساطير الإغريقية: أن زيوس عندما ضاق ذرعاً بربة العقل والحكمة ميتس وخاصة بعد أن أنذره الكهنة من خطر الإنجاب منها قرر التخلص منها ولم يجد أفضل من أن يبتلعها فى جوفه، وما أن فعل ذلك حتى أصيب بصداع شديد فى رأسه جعله يصرخ من الألم ولم تجد الآلهة ما تفعله له ثم نودى على إله الحدادة هيفايستوس وبعد أن تفحصه زيوس انهال على رأسه بفأس فشجه وسرعان ما قفزت منه الربة أثينا مدججة بالسلاح تطلق صيحات الحرب.

وقد ورثت أثينا الحكمة عن أمها كما كانت ربة الحرب والنزال وحامية الصناع، وقد لقبت بأسماء كثيرة أشهرها: «ذات الوجه الجميل» والعذراء، ذلك لأنها آثرت أن تبقى دون زواج حتى لا تتجس عذريتها، وقد أقيم لها أكبر معبد عرفته اليونان فى تاريخها وهو معبد البارثينون «معبد العذراء» فوق الأكروبول فى مدينة أثينا وقد نسبت الأساطير إلى أثينا أعظم الأعمال.

أبوللون

ويعنى باللاتينية أبوللو، وعرفه الرومان باسم فيبوس «رب النور» أما عند اليونان فكان ـ أيضاً ـ رب الشباب والشعر والموسيقى فهو الذى أوجد القيثارة وقد ولد مع أخته أرتميس من أمها ليتو من زيوس، وقد عرف أبوللو، بأنه رب النبوءات والطهارة ورد الأذى والأوبئة عن الناس وقد اشتهرت جزيرة ديلوس «مسقط رأسه» كمركز لعبادته، وكان معبده فى «دلفى» كعبة اليونان جميعاً ومركزاً للوحدة الدينية والسياسية فيما بعد.

أفروديت

وتعرف عند الرومان باسم فينوس ربة العشق والجمال، وقد صورها الفنانون الإغريق بقوام ممشوق وجسد يتفجر أنوثة، وكانت أفروديت تعنى بأمور النساء والعلاقات العاطفية، ولهذا كانت قلوب العشاق تتوجه دائماً بالدعاء لها، وتقول الأساطير الإغريقية: إن أفروديت ولدت من زبد البحر قرب شواطئ قبرص.

وتعد أفروديت الغذاء الروحى والإلهام الفنى لكثير من الفنانين الإغريق ومن جاءوا بعدهم.

وقد ارتبط ظهور أفروديت فى كثير من الأحيان بابنها إيروس الذى عرفه الرومان باسم كيوبيد، حيث كان يرمى القلوب بسهام الحب، وكانت أفروديت تبدو ـ دائماً ـ وهى تمسك بالتفاحة أو ترتدى قلادتها الشهيرة حول عنقها، وأحياناً كانت تحتضن اليمامة طائرها المفضل.

هيفايستوس

ويعرف عند الرومان باسم فولكانوس رب النار سواء التى تصدر عن البراكين أو التى يشعلها الإنسان، كما كان ـ أيضاً ـ رب الحدادة وتقول الأساطير: إنه كان يملك مصنعاً للحدادة فى قلب مجموعة من البراكين فى جزر ليبارى وكان يعاونه الككلوبيس وهم مخلوقات عملاقة لكل منها عين واحدة فى منتصف الوجه، وكان هيفايستوس يقوم فى مصنعه بعمل أسلحة للآلهة المختلفة، وقد وصفته الأساطير بأنه أعرج وذلك لأن أمه هيرا لم تعجبها خلقته المشوهة بعد ولادته فألقت به من السماء فأصيب بكسر فى ساقه.

هستيا

وقد عرفها الرومان باسم فيستا، وتقول الأساطير الإغريقية: إنها كانت شديدة التمسك بعذريتها حتى أنها رفضت جميع الذين جاءوا لطلب يدها مثل بوسيدون إله البحر وأبوللو إله النور، وقد عرفت «هستيا» بأنها «ربة الموقد» الذى كان يوجد فى المنزل أو يتوسط ساحات المدن كرمز للحياة حيث اعتبر الإغريق الموقد من أهم أجزاء البيت، ولذا اعتبرت هستيا ربة الدار وراعية الأسرة والساهرة على سعادتها وراحتها حتى أن الإغريق كانوا يتقدمون إليها بالصلاة قبل تناول الطعام وبعده.

■ ■ ■

أبوللو رب الشمس

قصة الآلهة كما تصورها اليونان القدماء هى أن أقدمهم اثنان: «أورانوس» السماء، وزوجته «جى» الأرض.. وأكبر أبنائهما «تيتان» ثم «ساتورن» ثم «كورنوس» وكانت جى تفضل ابنها الثانى «ساتورن» على أخيه الأكبر «تيتان» فأخذت تتملق «تيتان» ليرضى بالتنازل عن العرش لأخيه.. ولكن تيتان اشترط لقبوله التنازل أن يتعهد «ساتورن» بأن يبتلع كل طفل ينجبه حتى لا يكون له نسل ووافق «ساتورن» وقبل أن يدفع الثمن غالياً مقابل أن يفوز بالعرش.

إلا أن «ريا» زوجة ساتورن هالها أن يقتل زوجها أبناءها وهم فى المهد، ففكرت فى حيلة تنقذهم، وعندما جلس «ساتورن» على مائدة العشاء، وهتف طالباً أبناءه الثلاثة: «زيوس وانبتون وبلوتو» ليبتلعهم.. أتت إليه بثلاثة صخور كبيرة ملوفوفة فابتلعها وهو يحسب أنه ابتلع أبناءه، فى حين أرسلت هى الصغار الثلاثة إلى بعض أصدقائها لإخفائهم.

وعلم «تيتان» بما كان فأعلن الحرب على أخيه «ساتورن» وزوجته «ريا» وطردهما إلا أن زيوس أكبر أبناء ساتورن استطاع بعد ذلك أن يحارب عمه تيتان وأبناءه العمالقة ثم استولى على عرش أولمب وأصبح أقوى الآلهة.. يحكم السموات والأرض، وجعل أخاه «نبتون» إلهاً على البحار و«بلوتو» ملكاً على العالم السفلى.

فوق قمة أولمب وعلى عرش رائع من ذهب... جلس رب الأرباب «زيوس» أقوى الآلهة، وحاكم الأرض والسماء ـ فى لحيته الوقور، وبإحدى يديه مزراق الصاعقة، وباليد الأخرى صولجان الملك الكبير.

وإلى جوار رب الأرباب كانت زوجته «هيرا» تشاركه الملك العظيم وتفرض سلطانه على الجميع لقربها من حاكم الأرض والسموات وتتدخل فى كل شىء.

من فوق هذا العرش حكم «زيوس» العالم كله، بعدما قضى على أعدائه من أبناء عمه تيتان الرهيب، بأن أرسل عليهم سهامه المدمرة التى صنعها «السيكلوب» أمهر الحدادين العمالقة ذوى العين الواحدة فى وسط الجباه.. الذين كانوا يوقدون النيران فى جوف الأرض، ومن أفرانهم تنطلق أعمدة رهيبة من النيران والدخان تقذفها البراكين.

وكان زيوس خليقاً أن ينعم بتلك الحياة.. إلا أن زوجته «هيرا» التى تشاركه عرش الأولمب، ملأت نفسه سأماً مريراً بطباعها السيئة وخلقها البغيض، وعنادها الذى لم يكن يقف فى وجهه شىء.

ولم يجد «زيوس» العظيم - فراراً من حقد زوجته ومقتاً لها - بدا من أن يحاول الهرب منها بين الحين والحين وفى كل مرة كان يعيش سراً مع حب جديد وعندئذ لم يكن يهتم بأن تكون زوجته الجديدة من بين ربات السماء، أو من بين نساء البشر.

وكانت «لاتونا» واحدة من زوجات زيوس العظيم، وواحدة من الربات اللاتى صبت عليهن «هيرا» جام غضبها وحقدها، بعد أن رأت فى جوفها جنيناً خشيت أن يجتذب قلب أبيه العاشق إلى أمه، فيجلسها معه على العرش بدلاً منها.

وأخذت هيرا مندفعة بحقدها الرهيب تثير غضب «زيوس» على لاتونا ووقع رب الأرباب فى الشرك فطرد «لاتونا» من فوق الأولمب وأرسلها إلى الأرض شقية معذبة.

ومع ذلك فقد ظلت لعنة هيرا تلاحقها وهى حائرة على الأرض.. وحاولت المسكينة عبثاً أن تجد مكاناً تختفى فيه من لعنة هيرا ولما عجزت عن الحصول على المخبأ الأمين.. ألقت بنفسها فى البحر.

وكان بوسيدون إله البحر يتبع بنظراته الزوجة الحزينة التائهة، وأبت عليه الشفقة أن يدعها تغرق فى الماء، فاستقبلها فى جزيرته «ديلوس» التى صنعها ليرفع منها أمواج البحر بضربات رمحه ذى الشعبتين.

وهناك فى هذه الجزيرة السحرية وضعت «لاتونا» أجمل توءمين من أبناء

زيوس العظيم: ديانا، وأبوللو!

ومع ذلك فقد ظلت هيرا تلاحق لاتونا بحدقها ولعنتها.. فى حين كانت الأم مشغولة بتربية ولديها، اللذين وهبا جمالاً رائعاً وذكاء نادراً أثارا عليهما حقد أهل الجزيرة.

وراحت هيرا تملأ صدور النساء حقداً على لاتونا حتى أثارت عليها إحدى ملكات الجزيرة، فاحتكت بالأم المسكينة.. وكان نقاش وصدام ثم وجدت لاتونا نفسها، وقد حكم عليها أن تعود مرة أخرى طريدة شقية هائمة.

غير أن «لاتونا» قبل أن تمضى ثارت على المعاملة السيئة التى لقيتها ومست الإهانة كبرياءها فسلحت «أبوللو» بالدروع، وأعطت «ديانا» حراباً مسنونة، وأمرتهما أن يقتلا أبناء الملكة فراحا يضربان بكل ما فى شبابهما من قوة وغضب حتى قضيا على الجميع.

وعادت لاتونا تبكى من جديد ومست دموعها قلب زيوس الذى كان لا يزال يحمل لها فى أعماقه بقايا غرام... فعطف عليها ولم يجد وسيلة لإنقاذها من غضبة هيرا إلا أن يحيلها تمثالاً رائعاً من رخام.. ناصع الجمال!

وشب أبوللو وديانا فكان موضع إعجاب فى السماء والأرض وخفق قلب زيوس لولديه فأرسل يستدعيهما ليصبحا من الآلهة.. وقدمت لهما «هينى» شراب الخلود لينقطع كل ما يربطهما بالأرض وأمر زيوس ابنته الصغيرة بأن تكون ربة للصيد، فى حين جعل ابنه رباً للشمس، وقائداً لمركبتها الذهبية الرائعة فى رحلتها كل يوم بين الشرق والغرب.

ولما كانت الآلهة تحب. فقد أحب أبوللو فتاة من البشر تدعى «كليمينى» وتزوجها وأنجب منها أولاده: «فايتون»، و«كورنيس»، و«أيسكلوبيس».

وشب أبناء أبوللو، كما شب أبوهم من قبل، بارعين فى كل ميدان نزلوا فيه، وبرع من بينهم «أيسكلوبيس» فى دراسة خواص النباتات والمعادن، واستخلص منها أدوية تشفى جميع الأمراض.. وأعلن «أيسكلوبيس» عن اكتشاف دواء يعيد الحياة إلى الموتى.

ووفد الناس أفواجاً على «أيسكلوبيس» يطلبون منه أن يرد الحياة إلى موتاهم، ويشفى مرضاهم وهنا ثار «زيوس».. فما كان يعجبه أن يتحدى حفيده رغبات آلهة أولمب.. وما كان يرضيه أن يترك الناس تقديم القرابين إلى محاولة استرضاء الفتى الطيب.. فأرسل صواعقه المدمرة، فقضت على «أيسكلوبيس» بن «أبوللو»، وأحرقت أدوات طبه ومكتشفاته.

وحزن أبوللو لما أصاب ولده، ولم يعرف كيف ينتقم لابنه القتيل من قاتله وكان كل ما يمكنه أن يفعل هو أن ينزل غضبه بصانعي الصواعق التى يستخدمها زيوس.. فانطلق إلى براكين ليمنوس، وانحدر من فوهتها إلى حيث يعمل السيكلوب وأهلكهم جميعاً.

وانطفأت نيران البراكين، وانقطعت أصوات المطارق الهائلة... وانتبه «فولكانوس» الإله الحداد إلى السكون الغريب فانطلق إلى مكان صناعة المهرة فوجدهم جثثاً هامدة على الأرض.

وانفجر «فولكانوس» غضباً، وانطلق يحجل بساقه العرجاء صاعداً إلى السماء، حيث شكا لزيوس ما صنعه ولده أبوللو بعمالقته الحدادين، وقدم له السهام التى استخدمها فى القضاء عليهم.

وتأجج الغضب فى صدر زيوس، وارتعد جبل أولمب مع زفرات رب الأرباب وهو ينطق بحكمه الرهيب ينفى أبوللو إلى الأرض، ليرعى الأغنام تحت إمرة واحد من البشر.

وهبط أبوللو إلى أرض البشر.. وعمل راعياً للأغنام عند أدميتوس ملك تساليا. وسرعان ما أدرك الملك أن الراعى الجديد من نوع لم ير مثله من قبل فقد سحرت الأنغام السماوية التى تصدر من ناى «أبوللو» سكان المملكة جميعهم وكانوا يتجمعون حول الراعى الغريب، وهو جالس على شاطئ نهر أمفريسوس، ليستمعوا إلى شدوه الساحر فى نشوة تبلغ حد الذهول... وكم حاول زملاؤه الرعاة أن يتعلموا من هذا النغم الرائع فاستعصى عليهم الأمر، واكتفوا بالالتفاف

حوله أينما ذهب ليتمتعوا بألحانه السماوية على الدوام.. لقد تحول أبوللو من قائد مركبة الشمس إلى رب الشعر والفن والموسيقى!

وأحب الملك راعى الغنم الجديد، وازداد له حباً عندما مكنه بموسيقاه من قلب «الكستيس» ابنة الملك «بيلاس» الذى قرر ألا يزوج ابنته الأميرة إلا لمن يحضر إلى قصره فى مركبة تجرها السباع.

لقد انطلق أبوللو يعزف على أوتار قيثاره السماوى، فهرعت إليه السباع من كل صوب نشوانة باللحن السحرى.. وأسلست له قيادها، وامتثلت لأمره أليفة مستكينة، وهو يربطها إلى المركبة المذهبة التى انطلق بها الملك «أدمينوس» إلى قصر الملك بيلاس..!

وآن لأبوللو أن يستريح.. فقد بلغ من تعلق الملك «أدمينوس» به أن اتخذه صفياً له، ولم يعد يرهقه بالعمل فى رعى أغنامه وسارت به الحياة رخية ناعمة إلى أن مات الملك.. فلم يطق «أبوللو» البقاء فى المملكة بعد وفاته، وهام رب الموسيقى على وجهه لا يستقر فى مكان.

وفى ذلك الوقت كان «بوسيدون» قد طرد هو أيضاً من السماء وكلف ببناء أسوار طروادة، ولم يكن ذلك بالعمل السهل. وناء بوسيدون بحمله، وأوشك على الهلاك.

ثم التقى أبوللو ببوسيدون وأشفق عليه وقرر أن يساعده.. فأخرج نايه من جعبته، وانطلق يشدو بألحان تحركت لها الصخور، واهتزت لها طرباً وصارت تقفز إلى حيث يومئ لها أبوللو بمؤخرة نايه... واستمر فى العزف حتى تراصت الصخور فى ثبات، واستقرت مكونة سور طرواده العظيم!

ومضى أبوللو على ظهر الأرض يؤدى للبشر خدمات عظيمة لم يكونوا ليبلغوها بمفردهم.. وبالرغم من ذلك، فإنه لم يكن موفقاً فى صداقاته!

كان يلعب ذات يوم مع صديقه «هياكنتوس»، ويتسليان بقذف القوص ومر بهما «زفروس» رب الريح الغربى، فلم يرقه لعب الصديقين، وامتلأ قلبه الحقود حسداً وغيرة للمرح البادى عليهما، فقرر فى الحال أن يضع حداً له.

وانتظر زفيروس حتى قذف أبوللو القرص فأرسل ريحاً عاتية من الغرب غيرت اتجاه سير القرص، وإذا به يصدم رأس «هياكنتوس» صدمة قوية قضت عليه لساعته... وصرخ أبوللو ألما وذهولاً والقى بنفسه على جسد حبيبه الميت يبكيه فى لوعة وأسى. وأفاق من غمرة حزنه ووارى جثة صديقه التراب.. ثم تناول بعض الأزهار البرية وغمسها فى بقايا دمه الأرجوانى ثم غرسها فوق مثوى الصديق.. فترعرعت الزهور الجميلة، وسميت منذ ذلك اليوم «زهرة الهيكانتوس».

ولم يكن هذا آخر حادث يصيب صديقاً من أصدقاء «أبوللو» فقد حدث فى يوم آخر أن أخطأ «كيبارسوس» وهو من أصدقاء أبوللو المقربين ورمى غزالاً جميلاً يعتز به رب الموسيقى فأرداه.. وحزن أبوللو لفقد غزاله فتألم كيبارسوس لأنه كان السبب فى حزن صديقه، ولم يحتمل تأنيب ضميره، فقتل نفسه وصرخ أبوللو ثانية ولكنه لم يكن يملك أكثر من أن يحول جسد صديقه الميت إلى شجرة سرو. اعتاد الناس من بعده أن يغرسوها فى المقابر رمزاً للحزن والأسى على فقد أعزائهم.

حتى في الحب.. كان «أبوللو» شقياً فحين كان يرعى الغنم على سفوح جبل أوسرا.. التقى بحورية حسناء اسمها «دافنى» إحدى بنات رب النهر بنيوس فأحس نحوها بميل شديد سرعان ما تحول إلى وجد مشبوب غمر حواسه كالفيضان... وكثيراً ما حاول أبوللو أن يجتذب إليه نظر حوريته الحسناء، وأن يستميل قلبها إليه، ولكن جهوده ذهبت كلها أدراج الرياح.. حتى أنغام قيثاره السحرى ما كانت لتؤثر فى «دافنى» فقد كانت دائماً تفر من طريقه وتهرب من أى مكان يكون فيه.

وقرر أبوللو أن يلجأ إلى القوة ليجبر فتاته على التحدث إليه، وذات صباح انتظر عند منحنى على سفح الجبل، ولم يكد يراها تمر حتى وقف فى طريقها. وتدفقت من فمه عبارات الحب تفضح هواه المكبوت، وتنبئ عن نار الشوق المستعرة فى صدره، وكاد قلب الفتاة يرق للواعج غرامه.. إلا أن ذهول المفاجأة زال أثره سريعاً، وتمالكت نفسها وفرت فى رشاقة الظبى الشارد من طريقه.

واندفع أبوللو وراءها كالريح.. فما عاد يتمالك وعيه بعد أن طغى الحب على وجدانه، وأعمى بصره وبصيرته عن كل شىء ما عدا جمال حوريته.. وتمكن من اللحاق بها. ولم يمد يده إليها حتى صرخت مستغيثة بأبيها:

- النجدة يا أبى.. أدركنى.. أنقذنى.

وأسرع إليها رب النهر، ولكنه عجز عن اللحاق بها لبعدها عن شاطئه.

وعادت الفتاة إلى صراخها الموجع:

- حولنى يا أبت إلى أى صورة أخرى، أو اجعلنى أغوص فى الأرض قبل أن تمسنى يداه.

مد «أبوللو» يده وقبضت أصابعه على شىء حسبه فى نشوته الغامرة ذراع الفتاة وتحسسه فى لذة.. فإذا أصابعه تكاد تتهرأ. وفتح عينيه فإذا أمامه شجرة غار يانعة الفروع، وإذا بيديه تقبضان على فروع منها. أما الحبيبة فلم يعد لها أثر.

وانطلق أبوللو والأسف يغمر نفسه، لأنه كان السبب فى أن صارت الفتاة الممتلئة حيوية شجرة جامدة صماء، ومد يده فجمع بعض أغصان الشجرة الخضراء وصنع منها تاجاً وضعه على جبينه ليكون ذكرى دائمة لفاتنته.. ومضى فى الطريق يعزف على قيثاره لحناً حزين مؤثراً.

كل ذلك كان يحدث على الأرض، فى حين كانت عربة الشمس تجرى وحدها بين الشرق والغرب، بلا قائد ينظم سيرها ويقودها خلال متعرجات السماء.

وبالرغم من أن «زيوس» كان يوجه من عليائه جياد المركبة الذهبية بنفسه، إلا أن سيرها احتل، وبدت الجياد حائرة مضطربة.. حتى الساعات الأثنتى عشرة التى تحيط بالمركبة وتدور حولها خلال رحلتها الأبدية. اختل نظامها فما عادت تحس رقيباً أو حسيباً.

وأحس الآلهة جميعاً بقيمة أبوللو وبراعته فى قيادة المركبة.. فانطلقوا إلى زيوس يكررون الرجاء، ويلحون فى طلب العفو عن رب الشمس وإعادته إلى مكانه السماوى.

ولم تكن هيـرا جالسـة إلى جوار زيوس فى ذلك الوقت. فـأصدر أمره بالعفو عن ولده وإعـادته إلى مكانه بين الخـالدين.. قـائداً لمركبـة الشـمس الحـائرة ليعـود إليها النظام الذى افتقدته طويلاً.

وترك أبوللو قيثـاره ونايه، وصـعـد إلى السـمـاء ليـقيم فـى قـصـر تيـمـيش، ولينطلق مع الفجر حين تفتح أورورا أبواب الشرق، فيحترق بمركبته الفضاء، ويظل سـائراً فى طريقـه المرسوم حتى يصل إلى الغرب حيث يستريح مع جياده الأربعة فى انتظار اليوم الجديد.

فى ذلك الوقت كـان فـايتـون بن أبوللو يعيش مع أمـه «كليـمـينى» فى أرض البشـر، وبالرغم من أن الفتى الصغير كان عفيفاً طيب الخلق.. إلا أنه كان دائماً يفـاخـر لداته بأنه من نسل الآلهـة، وأن أباه «أبوللو» رب الشمس، وجـده «زيوس» رب الأرباب.

ولم يكن أصـحـابه يصـدقـون دعـواه قط. بل طالما سـخـروا منه وهزءوا فكان فايتون ينطلق إلى أمـه صارخاً باكياً طالباً منها البرهـان على أنه ابن رب الشمس حقاً وكانت أمه تقسم له على صدق ما تقول، فيصرخ فيها دائماً: أين الدليل؟

وضـاق صدر الفتى ذرعـاً، ولم يعد يحتمل سخرية أصحابه.. وعندما وقف أمام أمه كعادته يطالبها بالدليل على بنوته لرب الشمس صاحت قائلة:

ـ فايتون.. إذا كـان الشك يعذبك إلى هـذا الحد، فإن الجبل الذى تشرق منه الشـمس غيـر بعيد.. اذهب إليه بنفسك واسـأل رب الشـمس: أأنت ولده حقـاً، أم إننى أغرر بك.

وارتاح الصغير لهـذا الرأى، وفرح فرحـاً شديداً، ونهض من فوره ومضى فى طريقـه إلى جبل المشـرق.. فبلغه بعد عناء وجهد، وصـعـد إلى القـمـة وقد أنهكه الإعياء والتعب، وارتمى فوق صخوره ريثما يسترد أنفاسه المتقطعة.

وكان فـجر جـديد قد بزغ.. وتفـتحت عينا الفتى على ضيـاء بهره وأخذ بلبه، وفغـر فـاه من روعة المنـظر الذى بدا لناظريه: قصـر الشـمس.. يتـلألأ فى فيض

من أشعتها الذهبية وقد انتصب القصر على عمد من ذهب يغطيه سقف من عاج وأبوابه من فضة خالصة.

ووقف الفتى مبهور الأنفاس، ثم خطا إلى الأمام فى وجل، ودلف من الباب الكبير إلى القاعة الكبرى للقصر، وهناك رأى فايتون منظرا عجباً.. لقد كان أبوللو جالساً فى رداء أرجوانى زاه، على عرش من الماس يخطف بريقه الأبصار، تغمره هالة من النور الساطع المتألق، وحوله الساعات والأيام والأعوام فى صفوف منتظمة رائعة.

ولمح أبوللو ولده فايتون واقفاً فى خشية وقد بهره الضوء فناداه فى وداعة ورفق:

أى بنى.. ما جاء بك هذه الساعة؟ اقترب ولا تخف.

وتقدم الفتى فى بطء، تحدو خطواته الرهبة، ويملأ نفسه الإعجاب.. وقال:

- أبتاه.. يا نور كل نور إن صحبى يهزءون بى كلما أنبأتهم أننى ابن رب الشمس، ولم أعد أحتمل إهانتهم لى، ولقد جئتك ولى رجاء عندك: إن كنت ابنك حقاً فاعطنى الدليل!

ونهض أبوللو عن عرش المهيب، وأزاح عن نفسه هالة النور، وأمسك بيد ولده، واجتذبه إلى صدره، وقلبه فى حنان، ثم خاطبه قائلاً:

- بنى.. لك أن تطمئن إلى نسبك الرفيع. وإنى لأقسم لك بسكيس، ربة العز والقوة، أن أجيبك إلى ما تطلب كى تخرس ألسنة الهزئين بك، وترفع رأسك تيهاً على كل أبناء البشر... سل يا بنى ما تريد، ولن أرفض لك طلباً.

وغمرت الصغير نوبة من الفرح الجارف، وهتف بأبيه فى جذل:

- أحقاً يا أبتاه؟ إذن فأقصى أملى أن تسمح لى بأن أقود مركبة الشمس بدلاً منك يوماً واحداً لن أزيد عليه!

وفوجئ «أبوللو» بطلب صغيره، واضطرب ميزانه... فقد أدرك أنه تسرع

بالقسم العظيم الذى لاحنث فيه. وراح يحاول أن يثنى ولده عن هذه الأمنية الغريبة. ويعده أن ينفذ له أى مطلب دعاه مهما يبلغ من العظم أو الغرابة.. إلا أن ابن «أبوللو» أبى إلا هذا المطلب، وصمم عليه وهو موقن أنه مجاب، فما كان لأبيه أن يخنث فى قسمه وعاود «أبوللو» محاولته قائلاً:

ـ إن فى إجابة طلبك خطراً عظيماً يهددك.. فإنك معدود من البشر، إلى جانب حداثة سنك. وهذان السببان لا يسمحان لك بقيادة مركبة الشمس.

فهز الفتى رأسه.. واستأنف أبوه قائلاً:

ـ أى بنى.. إنه لا يمكن لمخلوق مهما تكن قوته أن يسيطر على مركبة الشمس.. فإن الطريق الشديد الانحدار لا تصعده الخيل إلا بجهد يقصر عنه الوصف، كما أن نهاية الطريق لشدة وعورتها تكاد تسقط فيها المركبة منى أنا نفسى، رغم حيطتى وتحكمى فى قيادتها.. ناهيك بالوحوش الكاسرة والمهاوى السحيقة التى تعترض المركبة فى كل رحلة. والجياد يا بنى جامحة تنفث من صدورها الحمم، وإنى أنصحك أن تعدل عن هذا المطلب الخطير، لأنك إن أبيت. فمعنى إبائك الهلاك لك وللعالم بسببك.

ولكن الفتى تشبث بطلبه، ولم يتزحزح قيد أنمل عما عقد عليه العزم. فما كان لأبيه وقد تورط فى قسمه العظيم إلا أن يذعن. فقاد ابنه من يده إلى حيث وقفت المركبة الذهبية المرصعة بالزبرجد والياقوت والألماس، وقد شدت إليها الخيول الأربعة، وأخذت تضرب بحوافرها الأجواء فى تحفز واضطراب. وتزفر الحمم من أنوفها استعداداً لرحلة اليوم.

ولم تمض لحظات حتى فتحت أورورا أبواب الشرق القرمزية.. وعندئذ أمر «أبوللو» ولده بأن يثبت نفسه فى مكانه من المركبة، ثم مسح وجهه بالدواء الواقى من الحرارة والوهج ووضع على رأسه هالة الأشعة وهو يقول: «ما زالت أمامك الفرصة يا ولدى لتعدل عن رأيك فالأمر جد خطير».

وكانت إجابة الفتى صرخة حمقاء أطلقها فى آذان الخيل وهو يهز أعنتها

فى قوة فانطلقت المركبة كالسهم المارق فى طريقها المرسوم.

وسارت الجياد كما اعتادت أن تسير كل يوم، دون أن تحس أن فى الأمر أى تغيير.. فقد كانت بداية الطريق مرحلة هينة لا تحتاج إلى حزم القائد وإرشاده ولكن ما إن بدأت وعورة الطريق، وتلمست الخيل حكمة القائد حتى انقلب الحال إلى غير ما كان عليه فقد أحست الجياد بخفة المركبة وعدم اتزان الزمام.. وبدلاً من أن يعمد الفتى إلى التقليل من سرعة الخيل، ترك لها العنان فاندفعت فى انطلاق مجنون لا حاكم له ولا رابط، وفقدت المركبة اتزانها فمضت تتأرجح ذات اليمين وذات الشمال، تندفع إلى أعلى وفجأة تسقط إلى أسفل، وتأزم الموقف، وأفلت الزمام تماماً من يدى فايتون وامتلأ قلبه رهبة، وخانته شجاعته فاكتفى بأن أحكم قبضته على سياج المركبة ولم يلبث أن راح فى غيبوبة من شدة الرعب وهول الفزع.

ومضت الجياد فى انطلاقها الجامح... كلما أحست باضطراب المركبة خلفها، اندفعت فى سرعتها المجنونة، وبين ارتفاع المركبة وانخفاضها، وتمايلها يميناً وشمالاً.. كانت تصطدم بالجبال فتشتعل قممها ناراً وهاجة وتزلزل الهواء فجفت مياه السحب وتهاوت النجوم شواظاً محترقة وهلك الزرع واستحالت الأرض صحارى قفراء جرداء، وغاضت مياه البحر والأنهار، وتعالت فى الجو صرخات الاستغاثة يطلقها الإنسان والنبات والحيوان.

وامتلأ قلب رية الأرض رعباً فانطلقت على عجل إلى زيوس رب الأرباب تستحلفه وتتضرع إليه أن يرفع عنها هذا البلاء وفزع زيوس وهو يرى من عليائه ذلك الفتى الأحمق يجرى بالمركبة على غير هدى فى فضاء اللانهاية وخشى رب الأرباب أن يدمر طيش هذا المخلوق الصغير الكون، فدعا إليه الآلهة كلها، فهرعوا إليه ومن بينهم أبوللو رب الشمس الذى تخلى عن واجبه، وأخذوا جميعاً يفكرون فى وسيلة لإنقاذ الكون.

وعجز الجميع عن التفكير، ولم يجد زيوس بداً من أن يطلق أحد سهامه

الصاعقة نحو الطائش الصغير الذى تثير صرخاته ثائرة الخيل فتندفع فى انطلاقها.

واستقر سهم زيوس فى صدر فايتون فسقط صريعاً على أرض المركبة. ولم يلبث أن سقط منها فى الفضاء إلى نهر بادوس.

أما أبوللو فما كان فى وسعه إلا الحزن على ولده، ثم انتظار وصول المركبة إلى قصر تميش بعد أن تهدأ ثائرة الجياد ثم ليبدأ مع اليوم الجديد رحلة الجبارة الخالدة!

ومضت الحياة تسير..

■ ■ ■

باندورا.. هبة السماء

تمكن زيوس من اغتصاب عشر الكون بعد معارك ضارية مع أبيه وأعوانه وتمكن من القضاء على شرور المردة والمسوخ والتياتن، وفى مجرم الآلهة على قمة جبل أوليمبوس جلس كبير الآلهة ينظم شئون الكون ويوزع المهام على كل رب من الأرباب وقد هيأ النعيم ليسكنه من يطيعه ويرضيه، وسعر الجحيم يردى فيه من يعصيه ونقم عليه، ولم يبق إلا إعمار الأرض من جنس البشر والحيوانات ويمدهم بسبل الحياة.

كان زيوس يحدد ذكاء إبميثيوس وولاء بروميثيوس ومساندتهما له فى معركته الشرسة فلم يجد خيراً منها لإتمام هذه المهمة.

قبل بروميثيوس المهمة بسعادة بالغة وكذلك ابيه بثيوس الذى طلب من أخيه أن ينفرد بهذا العمل الجليل فبدأ بخلق الحيوانات البرية وجعل فيهم الجسارة والدهاء ووفر لهم سبل الحمية من الطبيعة فكساهم بالفراء والجلد السميك والحوافر والأنياب وسرعة الحركة، وجعل للطيور الريش والمخالب والقدرة على الطيران وذلك للدفاع عن النفس والقدرة على المقاومة لبقاء النوع وجعل للحيوانات البحرية الحراشيف والأصداف وكثرة التناسل.

وعندما جاء خلق البشر لم يكن هناك ما يضيفه من خصائص تميزه عن الحيوان، توقف وقد أعياه التفكير حتى لحق به أخوه بروميثيوس فأشار عليه بالماء المسنون، فخلط الطين بالماء وشكل إنساناً على هيئة آدم وجعله يمشى قائماً وفيه من صفات الآلهة الكثير، فجعل بشرته ملساء لا ريش ولا أصداف، لا مخالب ولا أنياب، ونفخ فيه فأحياه، وكاد يهبه خلود الآلهة، إلا أن ذلك لم يرض زيوس فقدر على البشر الفناء وأذاقهم الموت.

أصبح الإنسان فى الميثولوجيا الإغريقية نصف إله، وصارت أقداره بيد الآلهة. رضى الإنسان بهذه الأقدار ولكن ولاءه كان لصانعه بروميثيوس الذى أخذ لنفسه مكاناً فوق ربوة عالية يشرف منها على مخلوقاته الصالحين وقد غمرتهم السعادة والعيش فى سلام فى مجتمع ذكورى لا فساد فيه ولا أحقاد ولا جور وظلم، لم يعرف الألم ولا تثيره نوازع. وقنع البشر بهذه الحياة الهادئة الرتيبة التى تنقصها حرارة الحياة ودفئها، فسكن الكهوف وشعاب الجبال وهام فى الوديان ولكنه سعيد بخلقه وخالقه.

على قمة جبال الألومبوس كانت الآلهة والأرباب ترصد سعادة الرجل وتمده بسبل الحياة من ماء المطر ونسيم الهواء وإنبات الزروع وتعينه على صيد الحيوانات وثورات الطبيعة.

كان بروميثيوس يعيش على الأرض بين البشر ولا يسمح له بالحياة فوق جبال ألومبوس مع الآلهة فلم يكن إلهاً كاملاً ولا بشراً كاملاً، فظل هو وأخوه ينتقلان بين ملكوت السموات والأرض، وكانت الأرباب تخشى دهاء بروميثيوس وقربه من زيوس، فى حين كان البشر يرون فيه المعلم الناصح والأب الحنون وراعى شئونهم، يحبونه ويجلونه ويقدمون له فروض الولاء والطاعة، ولكنهم يعيشون يلهبهم صقيع الأرض، لا يعرفون معنى الدفء ويأكلون لحوم الصيد نيئة.

كان بروميثيوس يأسى لحال مخلوقاته وهو يعرف سر النار المقدسة التى ينعم بها الآلهة فوق قمة الأوليمبس فتشع عليهم الدفء وتنضج لهم الطعام وتلين لهم الحديد وغير ذلك من منافع فأراد بروميثيوس أن ينعم على البشر بنعمة تكون لهم أعظم النعم فلماذا لا يأتيهم بقبس من النار المقدسة، ولكنها محرمة على البشر وكيف يشاركون الآلهة أنعمها.

ما زال بروميثيوس يفكر ويعلم أن كل من استباح النار المقدسة من غير الآلهة تعرض لغضب زيوس وعقابه، ولكنه يريد أن ينعم على البشر بشىء يخلده عندهم ويرفع مقداره، فرأى ذلك فى النار التى ينعم بها الأرباب ويحرم منها البشر.

جلس زيوس ينادم أربابه ومحاظيه منهم بروميثيوس ينعم الجميع بدفء النار المقدسة ويتناولون ما لذ من الطعام الناضج واللحوم الطرية وقد شيت على النار فطاب مذاقها ولأنه مضغها فزاده ذلك إصراراً على أن ينقل هذه النعمة وما يليها من أنعم لعباده من البشر.

استغل بروميثيوس انشغال زيوس ببعض الأمور وانصرافه عن المجلس فاختلس قبساً من النار المقدسة بين طيات ملابسه، وعاد كالبرق الخاطف إلى مكمنه على الأرض وجمع حوله البشر وأهداهم الدفء الذى سرقه، وانتشر لهيب النار على الأرض ووصلت ألسنتها إلى عنان السماء، فلوح لزيوس ببوادر المعصية ومحاولة البشر صنع أقدارهم بأنفسهم.

غضب زيوس كما لم يغضب من قبل وثار ثورة عظيمة اهتزت لها السماء والأرض وأعلن عن رغبته العارمة فى الانتقام من جنس البشر فينزع منهم نعمة الدفء ويجعلهم فى زمهرير يقضى عليهم ويدمرهم وأخذ يفكر كيف يكون الانتقام من بروميثيوس سارق اللهب ومبدل الأقدار، وقرر أن يبدأ به، وأمر فأتيا به مكبلاً بالأصفاد الثقيلة التى جعلته غير قادر على الحركة لثقلها، وقف أمام الإله الأعظم مرتعد الفرائص، عبثاً يحاول تبرئة نفسه من هذا الذنب العظيم، ولكنه لم يتمكن من أن يثنى زيوس ويهدئ من غضبه.

أمر زيوس أن يحمل مقيداً بما عليه من أقذار وأوساخ إلى قمة جبال الثلج بين الأعاصير والرياح الباردة ويصلب فى أعلى قمة وسخر عليه رخا حاد المخالب والأظافر لينهش فى جسده الضخم، يهتك بنيانه ويمزق أحشاءه حتى يصل إلى كبده فيلقمها من الصباح إلى غروب الشمس وفى الليل يعود هذا الجسم فتلتئم جراحه وينبض قلبه وتعمل كبده وينتظم نفسه،ومع مطلع الشمس يمد بروميثيوس بصره فى الأفق يرقب جزعاً ورعباً اقتراب الرخ لينهش من جديد ويمزق ويهتك، وظل بروميثيوس كل يوم يلقى من العذاب أقصاه ومن الهوان أدناه ومن الرعب منتهاه، دهوراً وأحقاباً.

كان هرقل ابن زيوس الذى أوتى من القوة أعظمها ومن المكانة أعلاها، وهو نصف الإله فهدته إنسانيته إلى مكان بروميثيوس فذهب إليه وعرف حاله فأشفق عليه وتمكن من القضاء على الرخ وفك قيده وعاد به إلى أبنائه وعبيده من البشر الذين فرحوا بعودته وعرفوا قصته وما عاناه من أجلهم، عاد لهم المعبود الأول وبنوا له المعابد وقربوا له القرابين، وزاد استمتاعهم بمباهج الحياة استعرت النار فأدفأت الأبدان وأنضجت الطعام وآلانت الحديد، غير أن قلوبهم ما زالت باردة ومشاعرهم جامدة.

نظر زيوس من عليائه إلى أولئك البشر الذين يعيشون حياة ظاهرها السعادة والرضا فليس هناك موبقات ولا آلام وأمراض ولا علل وأسقام، ولا أحقاد وانتقام، فأراد أن ينغص عليهم هذه الحياة وأن يجعل من بروميثيوس وقد كان مصدر سعادتهم مصدر شقائهم.

تفتق ذهن زيوس فى أنيكون مصدر شتاة البشر من جنسهم فيشغل قلوبهم ويبدل مشاعرهم ويثير أحقادهم، وكان مجتمع البشر من الرجال فى حين مجتمع الآلهة ذكوراً وإناثاً وهو الأعلم بطبيعة الأنثى.

جمع زيوس مجتمع الآلهة وعرض عليهم الأمر، ورغبته فى أن يرسل إلى البشر هدية تغير من طبيعتهم وتشغل عقولهم من عبادة الخارج ميثيوس وتسوق هذا المجتمع الهادئ إلى هرج ومرج ويشعل بداخلهم نارًا هى أشد وأقوى من تلك النار التى سرقها بروميثيوس، لكن زيوس ابنه هيفستوس إله الفن والنار أن يبدع أنثى من طين للرجال على أن يضفى عليها آيات الجمال ومظاهر الفتنة من رقة الكلام ونعومة الملمس، فجعلها غادة هيفاء ممشوقة القوام كاملة الأوصاف، وجعلها بين يدى زيوس الذى بهر بها أثنى على ابنة عمه.

دعا زيوس جميع الآلهة والأرباب وطلب منهم أن ينفثوا فيها أجمل ما عندهم وأروع ما يكنون من أسرار، لتكون أجمل وأبهى وأفتن من ذلك الرجل الذى خلقه بروميثيوس.

فأقبلت عليها فينوس وأضفت عليها من مفاتن حسنها ما يجذب إليها الرجال، وهالت عليها منيرفا من مستودع الحكمة ما يجعلها تسير حياة الرجل، وعلمتها ولاتونا الحياء الذى يثير غرائز الرجال، ومشقتها دانا فأكسبتها الرشاقة والخفة التى تلفت الانتباه، وكانت حيرا إله الثرثرة فأملتها سحر الكلام، أما كيد بيد فجعلها فى عينيها لحظ الحب وسهام الغرام وذا أبوللو فجعل على لسانها طلاوة وفى نيرانها حلاوة وفى صوتها موسيقى وألحانًا.

وعندما انتهت الآلهة من إصباغ ذلك المخلوق البديع بكل ألوان الجمال ونفثت فيه الإثارة والجاذبية، جاء دور هرمز رسول الآلهة للبشر فأراد أن يجعل فيها الشراسة والجراءة، والخبث فوضع فيها قلب جرو ناكر ونفس لص ماهر وعقل ثعلب ماكر، ثم جاء زيوس ونفخ فدبت فيها الحياة، نبض قلبها وزفرت أنفاسها، وأبصرت فزاغ بصرها وهى ترى الآلهة مندهشين بجمالها وكمال حسنها ورقة طبعها، وظهر حياؤها فتورات عن أنظارهم.

بهر الآلهة بما صنعوا وفتنوا بما وضعوا واستحسنوا ما فعلوا وتحيروا فى الاسم يطيلقونه على هذا المخلوق البديع، نظر زيوس إليهم وقال: لقد وضع كل منكم فيها أجمل ما عنده من طيب وخبيث لنهديها إلى أولئك البشر فأجذعت فيها كل الهدايا فليكن اسمها باندورا «كل الهدايا» وأمر هرمز أن يحملها هدية بروميثيوس وكل البشر.

كان بروميثيوس يعلم أن زيوس لن يرضى عنه ولن يسامحه على فعلته فكيف يرسل له هدية، وأيقن أن بها أسراراً لا يعلم كنهها، وفتنة يصعب الإفلات منها وغواية لابد واقع فيها، فرفضها غير آسف ولا نادم، وبين الرفض والإلحاح بالقبول حضر بروميثيوس فوقع بصره عليها فارتجف رجفة العاشق وجذبته مفاتنها فاشتعل قلبه بحسنها وتبدل حاله بلحظها وسجد لزيوس شاكراً على هذه الهبة العظيمة التى طغت على الدنيا بروعتها والزهور بعبيرها والنار بدفئها والشمس بشروقها وأصيلها، والقمر ببهائه واستولت على حواسه وملكت دنياه فطلب من هرمز أن يهبه إياها.

نظر بروميثيوس إلى أخيه مشفقاً على حاله، وحذره من أن زيوس لن ينسى لهما ما فعلا وأن هذا المخلوق فتنة ستفسد حياتهم وخدعة ستغير أحوالهم.

لم يسمع أبيميثيوس نصح أخيه بعد أن مال وذاغ بصره واحترقت مشاعره فما زال يتوسل إلى هرمز أن يهبه إياها ولا يلتفت إلى ما قاله أخوه ذلك الذى عمى بصره وجمد فؤاده ومات حسه.

تردد هرمز فالهدية مرسلة لبروميثيوس ويجب أن تسلم إليه وهم أن يعود بها إلى السماء، إلى أن تذكر لما صنعت وعلام جلبت وأن مكانها الأرض لتغير من حياة الرجل، فتسعر فيهم نار الرغبة، وتذيقهم السعادة والشقاء، الجود والعناء وتكون لهم الداء والدواء.

اقترب هرمز من أبيميثيوس وقال له: هذه الهدية ما كانت لك ولكنى أجدك أحق بها وأولى فلتسعد بها وتهنأ ولتكن لك الحلم الذى تحقق والجنة الموعودة.

تغيرت حياة أبيميثيوس فعرف دفء الحديث وجلاء الأنس وجمال العشرة، وذاق طيب الطعام وهمس الكلام وأبحر فى زرقة العيون، وتعطر بأنفاسها وهام من جدائل شعرها، وتنعم بملمسها الحريرى فغاب عن الدنيا وغابت عنه الوحشة والوجدة والهد وعاشا حياة الآلهة ينهلان من لذة الحياة وسعادة الفردوس.

قال زيوس لهرمز: أما آن الأورن لنبعث لباندورا هدية زواجها السعيد ولينفذ فيمن فكرونى وعبدوا بروميثيوس وأقاموا التماثيل والمعابد قدرى وليحل عليهم غضبى لتأخذ إليهم هذا الصندوق وتوصله إلى باندورا دون أن تعبث به وتفتحه.

فى ضوء القمر وقد توسد ابيمثيوس صدر بادورا فى شرفة قصرهما المنيف، بغزلان من خيوطه الفضية آيات العشق وتتراقص أحلامهما على مياه البحيرة الصافية التى اكتست برقائق من اللجين المذاب ويعطرهما عطر الورود المنتشرة فى الحديقة ويداعبهما نسيم عابر يربت عليهما بحنو يذيب القلب ويرهف الحس أريقت السماء وظهر فى الأفق طيف هرمز وظل هذا الطيف ينساب فى ضوء القمر حتى مثل أمامهما وقد بدى عليه اهتمامه بما يحمله.

تقدم هرمز نحوهما وعلى وجهه ابتسامة الماكر وفى عينيه بريق المخادع وعلى هيئته تواضع المنافق وطلب منهما أن يستريح من طول السفر وجهد العمل وثقل الخبر.

كتمت باندورا إعجابها بذلك الصندوق الذهبى المرصع بالأحجار الكريمة والمحكم غلقه وتمنت أن تحوذه وأن يكون لها.

رأى هرمز عينى باندورا وقد لمعت وحكمتها وقد ذهبت ونفسها وقد ذهلت، فاطمأن إلى نجاح مهمته وأنها لابد وأن تأتى بثمارها.

أقترب هرمز من باندورا وقال لها لقد كنت سبباً فى سعادة هذا المخلوق فأراد زيوس الإله الأعظم أن يهبك السعادة وأن يهديك بهدية تكون لك خالصة وتتفردين بها دون مخلوقاته ولكنه يشرط عليك ألا تفتحى هذا الصندوق إلا بإذنه ليريك بديع صنعه وعظيم خلقه ولكن حبه فلا تغفلى قدره ولا تخلفى أمره وتركها وذهب من حيث جاء.

أوشك شعاع الشمس أن يجلى ظلام الليل وقد غط أبيميثيوس فى النوم هانئاً بأحلامه السعيدة، أما باندوَرا فقد جفاها النوم وعرفت عيناها السهر واعتراها الأرق فانشغل بالها وتبدل حالها منذ أن وقعت عيناها على هذا الصندوق الغامض.

ترى ماذا فى هذا الصندوق الجميل من منظره العجيب من خبره.. ماذا يحوى من كنوز ودرر وتيجان.. ولماذا أغلق بإحكام؟ وظلت على حالها حتى أعياها التفكير واستسلمت لأحلام بين اليقظة والمنام.

لابد أن يكون ما بالصندوق خير عظيم تكتمل به سعادتى ويتم هنائى.

أشرقت الشمس إيذانا بيوم جديد، أفاق أبيميثيوس من النوم متمنياً يوماً جديدًا من السعادة والمرح والحب فوجد باندورا وقد جلست القرفصاء تحملق فى الصندوق وقد وضعته أمامها، وقد أحمرت عيناها من السهر وشرد ذهنها وأشعث شعرها وذهب بهاؤها.

اقترب منها يداعبها فذهلت عنه، تحدث إليها فلم تلتفت إليه، ثم عادت تنظر إليه وقالت:

ترى ماذا فى هذا الصندوق العجيب، وماذا يحوى من أسرار، إننى أشعر بقوة غريبة تجذبنى إليه وتردنى نفسى أفتحه لأعرف ما به.

قال أبيميثيوس: دعينا نعود إلى سعادتنا وفرحنا ولهونا نستمتع بمباهة الدنيا وجمال الطبيعة حتى يأذن لك زيوس وتعرفى ما به.. هلم معى واتركى الصندوق فأنا أنتظر منه خيراً.

رفضت باندورا التحرك من أمام الصندوق ولم يتمكن من أن يثنيها عن رأيها، ولأول مرة منذ أن تلاقت أنفاسهما يخرج من القصر وحده وترك باندورا تحدق فى الصندوق وقد تغيرت طبيعتها فلا تنام إلا وقد احتضنت الصندوق الذى سلب لبها وأذهل عقلها وصلب جنونها.

مرت الأيام وباندورا على حالها، لم تترك غرفتها وزادت هواجسها وطاش خيالها ومات حلمها وهى تنتظر أمر السماء بأن تفتح الصيندوق.

نفد صبر باندورا فأقدمت على فتح الصندوق غيرَ عابئة بأمر السماء وغضب الإله وحاولت أن تفض عنه غطاءه وتكسر محبسه لتجلى ما به لتهدئ نفسها ويسكن قلبها وتقر عينها، ولكنها لم تتمكن لإحكام غلقُه وصعوبة فتحه، فضاق صدرها وزاد حنقها ودفعت به ليرتطم بالحائط وتتصدع زواياه وتسمع أصواتاً تخرج منه وهى تناديها.

باندورا... باندورا.. أنت خلاصنا.. أخرجينا من هذا الجب السحيق وخلصينا من هذا السجن المظلم الكئيب.. أنقذينا من هذا الهول العظيم.. باندورا.. باندورا... خلصينا من هذا العذاب الأليم.

ذهلت باندورا لما سمعت ورق قلبها لهذه التوسلات فقامت إلى الصندوق ترجه وتهزه وترفعه وتنزله، وكلما عصى عليها فتحه وكشف سره ازدادت عندها الرغبة فى معرفة ما به وما هى مصادر تلك الأصوات.

ذهب جهدها.. كلت يداها فركلته حانقة، أنقلب الصندوق عدة مرات، فإذا بالقفل ينكسر والمزاج ينزلق ويكشف النقاب ويفتح الغطاء، وانطلقت منه خفافيش سوداء تنعق كالبوم وتعوى كالذئاب وتنبح كالكلاب، فملأت الحجرة وراحت تحوم حول باندورا التى ارتعدت فرائصها وأسرعت تغلق الصندوق، وسكنت فى ركن مظلم من الغرفة.

هجمت الخفافيش على باندورا تنشب فيها مخالبها تمزق جسدها وتشوه وجهها، ومع كل زفرة ألم وقطعة لحم تنهش تسمع باندورا أصوات الخفافيش.. أنا الألم.. أنا المرض والسقم أنا الجوع والنهم.. أنا القحط والعدم.. أنا النفاق والشقاق.. أنا... أنا الخوف والوجل وانطلقت الخفافيش من الغرفة لعملاء دنيا البشر بشتى أنواعا لرذائل والموبقات لتحول حياتهم من السعادة إلى الشقاء ومن الهدوء والراحة إلى الصخب والعناء ومن البراءة والصدق والإخلاص إلى الخبث والمكر والخديعة والنفاق.

باتت باندورا طريحة الأرض تسخنها الجراح، تلملم ما تمزق من جسدها، وتئن قسوة آلامها وتلعن طيشها ونزقها وتلعن الهدية التى أرسلتها الآلهة وظلت على حالها حتى جاءها أبيميثيوس تؤلمه جراحه ويعتريه الجهد والتعب ورقد جوار باندورا ينعيان حظهما التعس، وكلما أنت وتألمت من جراحها وسخطت على الآلهة، ذكرها بأنه نصحها بأن الصندوق لن يأتى منه خير.

وبينما هما على هذه الحالة من الجوع والسقم والسخط والألم فإذا بهما يسمعان صوتاً ضعيفاً يخرج من الصندوق يناديها.. بنادورا لماذا تركتينى.. أنا لك الرحمة لماذا أغلقت على الباب.. أنا لك الشفاء من الألم والبراءة من السقم والخلاص من الندم.

فأنت باندورا تحاول الوصول إلى الصندوق فسقطت مغشياً عليها، أخذ أبيميثيوس يحبو حتى وصل إلى الصندوق ففتح الصندوق. فإذا بفراشة جميلة بياضها شاهق وحركاتها دائبة وصوتها رخيم تقول: أنا روح الأمل وجاءت حول

الجسد المسجى يئن من وطأة الألم ونادت: باندورا أنا لك الترياق والدواء وأنا لك النجاة وحطت على جسدها ترفرف بجناحيها فالتأمت الجراح فعاد للجسد البض ملمسه الناعم وعادت للعيون بريقها وللوجه نضارته وللصوت حلاوته وعذوبته وعاد الابتسامة وهى ترى روح الأمل ترفرف على كل جراح البشر تزيل آلامه وتشفى جراحه وتبرئ أسقامه وتزيل وحشته وحدته.

ومازالت هذه الروح هى الملاذ الأخير فما دام الأمل بقيت الحياة مهما عبثت بالبشر الأقدار وزادت الآثام وساءت الأحوال وزلزلت الأرض وغضبت السماء. مازال الأمل هو طوق النجاة وملاذ الإنسان.

■ ■ ■

أساطير الأبطال
بجماليون

كان يعيش فى قبرص شاب وسيم يدعى «بغماليون» وكان هذا الشاب فناناً موهوباً فى نحت التماثيل، ولم يكن يصل لمستوى فنه وعبقريته أى إنسان آخر فى زمنه، فكان ينحت التمثال من العاج أو الحجر، فيبدو. كأنه مخلوق حى من لحم ودم. وكان بغماليون يكره النساء بشدة ويرى أن المرأة مخلوق ناقص كله عيوب وأنها وراء كل الكوارث التى تصيب الرجال ولم يكن موقفه هذا يحتمل المناقشة أو التغيير لذلك أخذ على نفسه عهداً بألا يتزوج أو يفكر فى النساء، وقرر أن يهب حياته لفنه الذى أبدع فيه.

وعلى الرغم من موقف بغماليون السابق من النساء، فقد كانت أجمل تحفه فنية صنعتها يداه عبارة عن تمثال لامرأة فائقة الحسن، لم يكن التمثال مجرد صورة عادية ولكنه كان آية فى الجمال والروعة. وكان تجسيداً لكل أوصاف الحسن والجمال ولعله أراد بهذا التمثال رسم نموذج للاكتمال يكشف به قبح النساء ويشعر الرجال ببشاعتهن، أو أنه لم يستطع أن يمحو من خياله ما استطاع أن يمحوه من حياته وواقعه، ولكن هذا التمثال أصبح هم بغماليون الأكبر فكان يصنع بأصابعه الساحرة لمسات فنية جديدة يضيفها فى كل يوم حتى أصبح التمثال أروع تحفة فنية يمكن صناعتها.

ولم يعد بغماليون يستطيع أن يجمل تمثاله أكثر من هذا الحد فقد أصبح أجمل من أى امرأة أو أى تمثال آخر فقال بغماليون مخاطباً تمثاله الجميل: كنت جملية وأصبحت الآن أجمل، كنت رائعة وأصبحت الآن أروع.

ولكن بغماليون أصابه أمر لم يكن يخطر بباله فقد أحب تمثاله حباً شديداً

وأصبح لا يقدر على فراقه لحظة واحدة، يقضى معه ساعات الليل الطويلة يقبله ويمد جسده ويدغدغ يديه ووجهه، كان يفعل كل ذلك وهو يتخيل أنه أمامه امرأة حقيقة وليس تمثالاً، ثم حاول بغماليون لفترة من الزمن أن يقلد الأطفال الصغار، فيفعل معها ما يفعلونه مع دماهم - يلاطفها ويلاعبها ويكسوها بالملابس الفاخرة، يأتيها بالهدايا الثمينة كالعطور والورود الجميلة، والعصافير - ولكنه كان عبثاً يحاول أن يبعث الحياة فى شىء ميت، وأدرك بغماليون أنه لن يستطيع الاستمرار فى هذا الوهم، ومنذ ذلك الحين تحول بغماليون إلى ضحية تستحق الرثاء والشفقة، وكانت عشترون «فينوس» ملكة الحب على علم بما يحدث لبغماليون فلما وصل به الحال إلى هذه الدرجة القصوى من البؤس والقنوط رقت لحاله وقررت أن تساعده، ولما جاء عيد «عشترون» بدأت تنصب الزينات وتقام الأفراح احتفالاً بها، وكانت المعابد تزدحم بالعشاق الذين يأتون من كل صوب حاملين هداياهم وقرابينهم إلى ملكة الحب، لكى ترضى عنهم وتتوسط لهم لدى معشوقاتهم لكى يبادلهن حبهم وهيامهم.

ذهب بغماليون بالطبع، ليشارك هذه المرة ولم يكن من قبل يهتم أو يبالى بمثل هذه الاحتفالات والطقوس، وقد حمل هدية ثمينة تليق بمقام «فينوس» التى أصبحت آخر رجاء له.

وقف بغماليون وسط المعبد وأخذ يناجى «عشترون» يطلب منها أن تجد لبغماليون البائس عذراء تشبه تمثال المرأة الذى صنعه بيديه ووقع فى غرامه وتجرع كأس عذابه حتى الثمالة، وبعد طول وقوف ورجاء رأى بغماليون الشعلة تضطرم فى الهواء فوق المعبد ثلاث مرات، وكان هذا دليلاً على رضا «عشترون» واستجابتها لتوسلاته ورجائه، فاستراحت نفس بغماليون وشعر بالتفاؤل وبدأ الأمل يتسرب إلى قلبه مرة أخرى.

ولما رجع بغماليون إلى منزله ألفى حبيبته منتصبة على منصتها فنظر إليها نظرة طويلة ملؤها الرجاء والأمل ثم أقبل عليها وأمسك يدها وضغط عليها بقوة، لكنه تراجع بسرعة والدهشة تتملك جوارحه! شعر بغماليون

بحرارة غريبة تسرى فى جسده! هل استجابت عشترون وحدثت المعجزة؟! لم يصدق بغماليون نفسه فى أول الأمر فما حدث كان يشبه الصدمه. ثم أقبل على عذرائه مرة أخرى، وقبل شفتيها فوجدهما لذيذتين بين شفيته ثم ضمها إلى صدره فطوقته بذراعيها، أما بقية الأسطورة فتقول: إن بغماليون أطلق على عذرائه اسم «فلاطية» وإنهما تزوجا وإن ملكة الحب عشترون باركت زواجهما وحضرت حفل زفافهما بنفسها وإنهما أنجبا طفلاً «بافوس» أطلق اسمه فيما بعد على مدينة «قبرص».



ثيسيوس

لم يكن بين أبطال أثينا من هو أعز على أبنائها من ثيسيوس، ولا عجب فقد صنع بطولاته بيديه القويتين، وانتزعها انتزاعاً من بين براثن الأخطار، فحينما رحل أبوه «إيجيوس» إلى أثينا ليجلس على عرشها فى عهدها الملكى الأول، تركه جنيناً فى بطن أمه وقال لها وهو يودعها مشيراً إلى صخرة هائلة: إذا كان ما فى أحشائك غلاماً، وشب قوى البأس بحيث يقدر وحده على دحرجة هذه الصخرة فسيجد تحتها سيفى الأعظم وخفين ينتعلهما، ويستطيع عندئذ أن يلحق بى، ويكون خليفتى على العرش.

وجاء الوليد ذكراً وشب قوياً غاية القوة، وما علم بقصة تلك الصخرة حتى رفعها بيديه فى غير عناء كبير، ثم تقلد سيف أبيه، وانتعل خفيه، وأعلن عزمه على اللحاق به، ولما أخبرته أمه بأن أباه أعد لرحلته سفينة جيدة قوية الشراع، أبى أن يركبها إلى أثينا، لأن الرحلة إليها بالبحر هينة لا مشقة فيها ولا خطر، أما الطرق البرية إليها فتحفها المخاطر والأهوال، إذ يكثر فيها القراصنة والوحوش وقطاع الطريق، وجدير بمن كان مثله ينشد إكليل الأبطال أن يركب الصعاب ويتحدى الأخطار.

وهكذا ودع أمه وجده، ثم اتجه إلى أثينا وحده، لا يؤنسه إلا سيف أبيه الباتر، وقلبه الفتى الشجاع، فلقى فى الطريق أولئك الأشرار الفاتكين، الذين أشاعوا الرعب فى قلوب المسافرين، فقتلهم أجمعين.

وتحدثت بلاد اليونان كلها بما صنع ثيسيوس البطل الشاب، فسبقته شهرته إلى أثينا فاستقبله أهلها استقبال الغزاة، ودعى إلى مأدبة تكريم فى قصر الملك أبيه، من غير أن يعلم هذا انه ابنه الذى تركه جنيناً فى قرية نائية بالجنوب.

وأوجس الملك خيفة من شهرة البطل الفتى الذى احتل أعلى مكانة فى قلوب

الأثينيين، وأوحت إليه زوجته ميديا وكانت ساحرة عرفت بسحرها حقيقة ثيسيوس، أن يدس له السم فى كأس الشراب أثناء تلك المأدبة. فلما هم الفتى بتناول الكأس المسمومة رافعاً سيفه بتحية الفروسية التقليدية. عرف الملك ذلك السيف وحامله، وسرعان ما اختطف الكأس من يده ثم احتضنه فرحاً وفخوراً به، بينما فرت ميديا ناجية بنفسها إلى آسيا.

وأعلن الملك على رءوس الأشهاد أن ثيسيوس ولده وولى عهده ووارث ملكه، فأقيمت معالم الأفراح، وزاد الشعب به تعلقاً، ولعرش ولده ولاء!

وسنحت بعد ذلك فرصة مواتية، كى يزداد ثيسيوس فى نظر الأثينيين قدراً ومكانة، فمن قبل ذلك بسنوات جاء ابن ملك كريت إلى بلاط أثينا زائراً، فاقترف الملك خطأ ما كان له أن يتورط فيه، إذ بعث بضيفه الشاب فى مهمة خطرة، هى اقتناص ثور وحشى هائج، فقتل الثور الأمير.

وغضب ملك كريت لمصرع ولى عهده، فاجتاح مملكة أثينا، وأعلن أنه سيسويها بوجه الأرض فلا تقوم لها قائمة أبد الدهر أو يبعث إليها ملكها مرة أخرى كل تسع سنين بجزية فريدة فى بابها هى سبع عذارى وسبعة شبان من أعرق الأسر فى المدينة، ليقذف بهم إلى وحش هائل يلتهمهم التهاماً!!

ولم يكن هذا الوحش سوى «المينوتور» الرهيب: نصفه الأدنى ثور، ونصفه الأعلى بشر، وفى رأسه قرنان، وقوته قوة الضياغم، وشراسته شراسة النمور.

ولهذا الوحش الأسطورى تاريخ مسطور مشهور، فأبوه ثور أبيض رائع أهداه الإله «بوسيدون» إلى «مينوس» ملك كريت كى يقدمه إليه قرباناً على مذبح هيكله، ولكن مينوس أفتن بجمال الثور وقوته فعز عليه أن يذبحه قرباناً، واستبقاه فى قصره الملكى معززاً مكرماً، فغضب الإله «بوسيدون» وانتقم منه بأن أشعل فى قلب زوجته «باسيفاى» الحسناء حب ذلك الوحش حباً جامحاً جعلها تمكنه من نفسها، وتلد مسخاً يحمل آية عارها، وفضيحة زوجها الملك وذلته بين الناس ولم يسع هذا أن يقتل ذلك الوحش فعهد إلى مهندسه العبقرى «دايدالوس» فى حبسه داخل

حظيرة هائلة ليس إلى الخروج منها سبيل، وإلى هذه الحظيرة كان شباب أثينا وعذاراها يقادون فيعجزهم الخروج، ويأتى عليهم المينوتور!

وحلت نوبة الجزية عقب وصول ثيسيوس إلى أثينا، فأبى إلا أن يكون من بين الشبان السبعة، وألح فى ذلك إلحاحاً شديداً، حتى قبل والده على مضض كبير!

ولما حان وقت الرحيل، قال ثيسيوس لأبيه: لقد انتويت قتل الملك المينوتور بعون الآلهة، كى أخلصكم من هذه الجزية الشنعاء، وسأعود بعد ذلك فى سفينة الوفد الأثينى جاعلاً لها شراعاً أبيض، بدل الشراع الأسود الذى كان شعار الحداد على ضحايا أثينا الأبرياء.

ولما وصل شباب أثينا إلى كريت، عرضوا على الناس فى موكب حافل قبل أن يلقى بهم إلى «المينوتور» وكانت «أرياند» ابنه مينوس الحسناء ممن شهدوا ذلك العرض، فراق فى عينها «ثيسيوس» الوسيم القوى وأحبته لساعتها، وانصدع فؤادها إشفاقاً عليه، فبعثت من فورها إلى «دايدالوس» مهندس والدها العبقرى ليهيئ لها وسيلة للخروج منه، ثم بعثت إلى ثيسيوس خلسة بأنها ستعينه على النجاة إن هو وعد باصطحابها إلى أثينا حيث يتزوجها.

ولم يبد الفتى اعتراضا، فقدمت إليه، «أرياند» كرة من الخيط الرفيع المتين زودها بها دايدالوس، وأمرته أن يربط طرف الخيط فى باب الحظيرة من الداخل، ثم يبسط الخيط من الكرة وهو ماض فى طريقه، فيدله الخيط على طريق النجاة.

وفعل ثيسيوس ما أشارت عليه به، ثم تقدم ثابت الجنان رابط الجأش يفتش عن ذلك الوحش مينوتور إلى أن عثر عليه نائماً فى بعض الشعاب، فانقض عليه، وأخمد أنفاسه غير مستعين بشىء سوى قبضتيه القويتين، ثم عاد أدراجه مستهدياً بذلك الخيط، ورفاقه ورفيقاته من ورائه يهتفون فرحين.

وتحت جنح الليل اختطفوا «أرياند» وركبوا سفينتهم عائدين إلى آثينا ولكن الأميرة المنكودة ماتت فى الطريق فحزن عليها ثيسيوس حزناً عظيماً.

وفى غمرة ذلك الحزن الفادح على منقذة حياته، نسى ثيسيوى ما وعد به

أباه فلم يستبدل الشراع الأبيض بالشراع الأسود. وكان الملك إيجيوس منذ سفر وحيده فوق مركب الأكروبول الشاهق، لتقع عينه على السفينة من أقصى الأفق، فلما رأى الشراع الحالك، أيقن بهلاك قرة عينه، وألقى بنفسه من فوق قمة الأكروبول فمات لساعته غريقاً فى البحر. وسمى البحر منذ ذلك اليوم بحر «إيجه» نسبة إليه.

وتسلم ثيسيوس عرش أبيه فكان أحكم الملوك وأنزههم مقصداً ولكن هل يكف مثل ثيسيوس عن طلب المخاطر ومصارعة الأهوال؟ وهل يلهيه الملك والسياسة عن هواية تجرى فى عروقه مجرى الدماء؟

لقد كان يخرج إلى المجاهل لصيد الوحوش، فلما سئم ذلك خاطر بنفسه بالرحلة إلى بلاد «الأمازون» حيث سلالة النساء المترجلات الفارسات اللائى لا يخضعن لمشيئة رجل، ويمتن كما ولدن أبكاراً، وهناك قنص واحدة منهن تدعى «هيبوليتا» وعاد بها إلى قصره فاستولدها ابناً دعاه «هيبوليتوس».

وحاول الأمازون الانتقام لذلك الخرق الفاضح لناموسهن فاقتحمن أثينا ليخطفن الطفل الوليد وأمه، ولكن ثيسيوس ردهن على أعقابهن مدحورات، وبعث بابنه إلى بلدة أمه فى جنوب اليونان حيث نشأ هو ليشب فى أحضان جدته.

وماتت هيبوليتا بعد حين فانصرف ثيسيوس عن الزواج إلى نصرة من يستنصره من الملوك والأبطال إلى أن عشق فيدرا أخت أرياند فتزوجها وعاشا فى أرغد حال وكبر ابنه هيبوليتوس وصار شاباً رائع الحسن والبأس يحقر نعومة الترف، ويزدرى هوى النساء فأعجب ثيسيوس بولده أيما إعجاب، وتوثقت بينهما المحبة أيما توثق.

وشغف هيبوليتوس زوجة أبيه حباً، فأرقت ليلها، وعافت طعامها والحق أنها لم تكن مذنبة فى ذلك لأن ربة الحب «أفروديت» هى التى زينت لها ذلك العشق الآثم، كى تنتقم من هيبوليتوس لانصرافه عن عبادتها.

وعولت فيدرا على الانتحار ولكن مربيتها العجوز ردتها، ووعدتها أن تنقع غلتها وتشفى نفسها بطيب وصال من تحب، ثم ذهبت إلى الفتى تستعطفه لسيدتها، وكان والده على سفر، فأنكر عليها ذلك، وغادر القصر معلناً أنه لن يعود إليه إلا وأبوه فيه.

ولم تمض دقائق حتى حضر ثيسيوس من سفره فاستقبله النسوة فى الحديقة مولولات، لأن سيدتهن الملكة فيدرا ماتت لتوها وفى يدها رقعة إلى زوجها الملك، فأنكب الملك عليها باكياً معولاً، وهو يقسم لتكون رغبتها التى انطوت عليها رسالتها أمراً مقدساً.

وتلا الرقعة مثنى وثلاثًا ثم صاح فى حاشيته كالليث الهائج: ما أشقانى بالذى قرأت! اعلموا أن ابنى قد اغتصب زوجتى عنوة، فقتلت نفسها تكفيراً وأسى، اسمعى أيتها الآلهة صوتى وأنا ألعنه، وأنفذى لعنتى فيه!

وأقبل «هيبوليتوس» مسرعاً فإذا أبوه يلقاه باللعنات ويعلنه بالنفى المؤبد، فخرج يتعثر إلى سفينة يركبها إلى منفاه ولكن أفروديت لم تمهله، بل تذرعت بلعنة أبيه، أخرجت من اليم وحشاً هائلاً افترسه، ثم ظهرت أرتميس إلهة الصيد لأبيه فأخبرته بالحقيقة فمات أنبل الملوك، بطل أثينا الأعظم حزناً على وحيده البرىء الشهيد!

■ ■ ■

سيزيف

تقول الأسطورة: إن الآلهة حكمت على سيزيف ملك كورنثة بتصعيد حجر إلى أعلى الجبل، لكنه لم يتمكن من بلوغ الهدف أبداً، وكان الحجر الضخم يسقط منه دائماً، وكان بالتالى يعيد الكرة إلى ما لا نهاية.

لم يتفق علماء الميثولوجيا فيما مضى على أسباب هذا العقاب.

قال البعض: إن سيزيف كان ملكاً طموحاً منافقاً خرب البلاد.

وقال البعض الآخر: إنه ارتكب عملاً محرماً، ألا وهو الإفشاء بالأسرار الإلهية، وأيا كانت جريمته، فإن الأسطورة تقول: إن زيوس أرسل إليه «ثاناتوس» إله الموت، لكن «سيزيف» نجح فى تقييده، فخلت امبراطورية الموتى من سكانها تدريجياً، إلى أن جاء يوم أجبر فيه زيوس سيزيف على الإفراج عن تاناتوس ونقل «سيزيف» إلى الجحيم، لكنه توصل إلى الهرب منه، وعاش بعد ذلك سنيناً طويلة قبل أن يعاقب على جرائمه.

وفى الجحيم، كلفته الآلهة بعمل لا يُنتهى، لكى لا يجد وقتاً للتفكير فى الهرب أو ارتكاب جرائم أخرى.

هو ابن «أيول» الرب الآمر لجميع الرياح، وكان مؤسس مدينة «كورنثوس» التى كانت تعرف فى الأزمنة الغابرة باسم إيفيرا.

لم يكن أحد فى اليونان القديمة يجارى سيزيف دهاء وحيلة ومكراً، واستطاع «سيزيف» بفضل دهائه جمع ثروات لا تحصى فى كورنثوس، وطبقت شهرة كنوزه الآفاق.

وقد جاء ثاناتوس الكئيب إله الموت، لكى ينقله إلى مملكة هاداس الحزينة، لكن سيزيف، الذى أحس مسبقاً باقتراب إله الموت تمكن من خداع ثاناتوس،

وتكبيله بالأغلال، وتوقف الناس عن الموت على الأرض، ولم تعد تقام الجنائز الفخمة. ولا تقدم القرابين لآلهة العالم السفلى، واختل على الأرض النظام، الذى سنه «زوس» وحينئذ أرسل «زوس» قاذف الصواعق إله الحرب الجبار «أريس» إلى سيزيف، وقد قام آريس بتحرير ثاناتوس من الأصفاد، فقام هذا الأخير بقبض روح سيزيف، وقادها إلى مملكة أشباح الموتى.

لكن سيزيف عاد فخدع الآلهة من جديد، فقد أمر زوجته: ألا تدفن جثمانه، وألا تقدم القرابين لآلهة العالم السفلى، وقد عملت زوجة سيزيف بنصيحة زوجها، انتظرها دس وبيرسفونه قرابين الدفن طويلاً، لكن دون جدوى، أخيراً دنا سيزيف من عرش هادس وقال:

يا هادس العظيم، يا سيد أرواح الموتى، يا من تعادل «زيوس» جبروتاً، دعنى أذهب إلى الأرض النيرة، ولسوف آمر زوجتى أن تقدم لك القرابين الكثيرة، وبعدها أعود إلى مملكة الأشباح.

صدق هادس سيزيف وتركه يذهب إلى الأرض، لكن سيزيف لم يعد إلى مملكة هادس، بل بقى فى قصره الفاخر يحيى المآدب المرحة، وهو سعيد، لأنه الوحيد من بين الفنانين، الذى تمكن من العودة من مملكة الأشباح المظلمة.

غضب هادس ومن جديد أرسل ثاناتوس لقبض روح سيزيف، دخل ثاناتوس قصر أكثر الفنانين مكراً ودهاء، فوجده خلف مائدة عامرة، قبض إله الموت ـ الذى يكرهه الآلهة والناس ـ روح سيزيف، التى طارت إلى الأبد إلى مملكة الأشباح.

إن عقاب سيزيف قاس فى الحياة الآخرة، جزاء كل ما ارتكب على الأرض من مكر وخداع، لقد حكم على سيزيف بدحرجة صخرة هائلة نحو قمة جبل عال شديد الانحدار.

إن سيزيف يعمل بكل ما لديه من قوة، ويتدفق العرق منه مثل حبات البرد، بسبب العمل القاسى، ها هو يقترب من القمة رويداً رويداً، وإذ يصبح قاب

قوسين منها تفلت الصخرة من يديه، فتتدحرج بصخب نحو الأسفل، مثيرة سحب الغبار، ومن جديد يبدأ سيزيف عمله.

وهكذا يستمر سيزيف إلى الأبد فى دحرجة الصخرة. ولن يستطيع أبداً بلوغ الهدف، قمة الجبل.

وهكذا ترى أن سيزيف هو البطل الأبوردى، إنه هذا البطل بحكم عواطفه وعذاباته، واستحق هذا العقاب البالغ الذى ينذفع به كيانه كله لتحقيق لا شىء، استحقه، لأنه احتقر الآلهة وكره الموت وأحب الحياة بحماس، وهذا هو الثمن الذى كان عليه أن يدفعه لقاء ما تمتع به من مباهج الأرض، ولا تقول لنا رواياته المختلفة شيئاً عن حياته فى العالم السفلى، وإنما تترك لنا الأساطير هذا الأمر لخيالنا، ينفث فيها الحياة.

ولا نرى فى هذه الأسطورة إلا الجهد الذى يبذله الجسم كله مندفعاً ليرفع الصخر الضخم، يدحرجه ويدفعه إلى أعلى مئات المرات من جديد.

ونستطيع أن نتخيل وجه صاحبه وقد زمت، وخده قد التصق بالحجر، والكتف ينفعل بالكتلة المترية، والقدم يسنده، وهو يبدأ من جديد وذراعاه ممدودتان على آخرهما، وكفاه مبسوطتان قد كساهما الطين، واستند عليهما تماماً، وفى نهاية النهاية لجهد طويل، وقد استغرق فيه فى مكان وزمانٍ لا سماء لهما ولا عمق، يصل بالحجر إلى القمة، وحينئذ يرقب «سيسفوس» الحجر ينزلق مندفعاً فى لحظات إلى العالم السفلى ليبدأ به من جديد إلى القمة، ويهبط سيسفوس إلى السهل.

وهنا أعجب «بسيزيف» وهو عائد أثناء تلك الهدنة بين الدفع الأول والدفع الثانى.

لقد تحول وجهه إلى حجر من طول ما جهد مع الحجر، أتخيل هذا الإنسان نازلاً بخطوات متثاقلة لكن ثباته إلى العذاب الذى لا يعرف له نهاية، تلك الساعة، كالوقت الذى يستغرقه التنفس، والتى تعود دائماً كما تعود إليه عذاباته، هذه هى ساعة الوعى، وفى كل لحظة من تلك اللحظات، عندما يترك المرتفعات

وينحدر تدريجياً إلى عرائن الآلهة، أجده أسمى من قدره، أقوى من صخرته.

وإذا كانت هذه الأسطورة مأساوية، فذلك لأن صاحبها واع.

ومن أين يمكن أن يأتى العذاب فى وجوده إذا كان لديه أمل فى النجاح مع كل خطوة يخطوها؟ إن عامل اليوم يعمل كل يوم فى حياته فى نفس الأعمال، وهذا القدر الذى لعامل اليوم ليس أقل، لكنه مأساوى فقط فى اللحظات النادرة التى يصبح فيها واعياً، إن سيسفوس بروليتارى الآلهة، الذى لا قوة له، والمتمرد، يعرف مدى حالته البائسة كلها، إنها ما يظنه خلال هبوطه. إن عذاباته واضحة جلية، وانتصاره واضح كذلك، ولا قدر هناك لا يمكن أن يتجاوزه الاحتقار.

■ ■ ■

أرفيـــوس

أرفيوس.. لسان الطبيعة، ونجى الآلهة، ووحى السماء إلى الأرض اليونانية، وصاحب القيثارة ذات الرنين والأنين!

كان يعزف.. فيشيع الحياة فى الصخر، ويقف أبوللو العظيم فى مركبته الذهبية «الشمس» مطلاً برأسه من عليين، يسمع ويطرب.. وكذلك كانت تصنع ديانا، فطالما كانت تنزل من مركبتها الفضية «القمر»، فى أعلى أجواز السماء، لتلبث هنيهة بباب أرفيوس، تتزود لرحلتها الليلية المرهقة، من مشرق الدنيا إلى مغربها.

وكانت الوحوش تسكن إليه، وتجتمع من حوله تنصت وتتلذذ وتغفو.. والأشجار.. لها جذور متغللة فى أطباق الأرض، ومع ذلك كانت حين تسمع أرفيوس تنزع إليه، وتسير وراءه خبباً! وكم شهد الناس حول بيته غابة من الدوح العظيمة، والأيك الذاهب، سعت إليه تلتذ موسيقاه، ثم هى تتصرف فى المساء فتنغرس فى أصولها، وقد ازدادت نضارة وازدهاراً!!

ومع ذلك.. فقد كان ذا غرة مشرقة وابتسامة حلوة ما تكاد تفارق ثغره الصغير الجميل، وكان جم الحياء، لم ينهر مرة أحد رواده، أو المترددين عليه، بل كان يلقى الجميع ببشاشة الأخوة، وهشاشة الود.

وكانت له زوجة أجمل من روعة الفجر، وأفتن من وشى الأصيل، وأندى على قلبه من أنفاس الصباح.

اسمها يوريديس... مصدر إلهامه، ومعين عبقريته، وجمال لحنه، وأغنية حبه، وأنشودة هواه، سئل مرة:

ـ ماذا تمتلك من الدنيا يا أرفيوس؟

فأجاب:

قيثارتى.. ويوريديس!

كانت يوريديس تجمع الأزهار البرية فى ربرب من أترابها، لتصنع منها باقة تقدمها لأرفيوس، وكانت كلما راقتها سوسنة، أو وقعت فى نفسها زنبقة، طبعت عليها قبلة ندية وضمتها إلى الباقة وهى تقول:

وأنت أيضاً لحبيبى أرفيوس.

وبينما هى كذلك إذا بأفعى هائلة تنسل من بين الأشجار، فتلدغ قدمها الصغيرة الجميلة المطمئنة فى الحشيش الأخضر، فتصرخ المسكينة صرخة مدوية، ثم تنطرح إلى الأرض، وتتناثر الورود والرياحين التى جمعتها حولها. كأنها تنضد سرير موتها.

وتجتمع صديقاتها مذعورات، فتعولن وتبكين، وتحملنها إلى أرفيوس الذى يستطار من هول الكارثة، وينخلع فؤاده من فداحة المصاب، ويحاول المستحيل لإنقاذ أعز الناس عليه، ولكن.. ولكن هيهات لقد ماتت! واحتلكت الدنيا فى عينى أرفيوس التعس، وأجدبت قيثارته من ألحان المرح، واستروحت إلى البكاء والنين، فيا رحمتاه لمن ينصت إليها ويصغى لها، زفرات حارة تصعدها أوتارها، وأنات مؤلمة ينبثق منها الدم تتبعث من أنغامها.

وأرفيوس مع ذلك منزو عن العالم، عزوف عن الناس مستغرق فى وحدته القاسية، يفكر فى يوريديس.

وصمم على ألا يفقدها كما يفقد الناس أحباءهم، بل لابد من رحلة طويلة إلى الدار الآخرة، إلى هيدز، حيث إله الموتى بلوتو، فيتضرع إليه أن يرد عليه زوجته التى لا حياة له إلا بها.

فكرة غريبة وتصميم عجيب، رجل من دار الفناء، له جسم وفيه نفس تتردد من إخمصيه إلى ذؤابة رأسه، كيف ينفذ إلى دار الموتى وعالم الأرواح، ومملكة الظلال والأشباح؟

لكنه أمل ملأ قلبه* على كل حال، وها هو ذا يحمل قيثارته، ويبدأ رحلته ولا يدرى إلى أين؟

ضرب من الآفاق على غير هدى، وذرع الأرجاء فى ضلال وحيرة، حتى رثت له الآلهة فرشدته وأنارت له سبيله، فاهتدى إلى ضفاف ستيكس «النهر الذى يحيط بالدار الآخرة» حيث وقف شارون النوتى الجبار، الذى يحمل أرواح الموتى فى زورقه، يعبر بها أنهار الجحيم للقاء بلوتو العظيم.

وصاح شارون صيحة راجفة حينما لمح أرفيوس، وزمجر قائلاً:

يا ابن العدم.. يا سليل الفناء، يا من لم تفض روحه بعد، ماذا جاء بك إلى هنا، ولا تزال تتعثر فى برد حياتك الرث، وتتكفأ فى قيد دنياك الوبيلة، عد من حيث أتيت، وإلا فوا حق بلوتو لأسحقن عظامك، ولأقذفن بك إلى ستيكس، فيطويك أليمًا وتشويك الحمم، عد.. عد.. عد أقول لك.. وى وكأنك لا تسمع!!

ولكن أرفيوس يثبت غير مهتم بما قاله، ويتناول قيثارته، ثم يعزف لحناً من ألحانه الباكية فيزلزل به أركان شارون!

شارون.. هذا الفظ غليظ القلب أقسى حراس جهنم، يذوب رقة ويمتلئ حناناً ورحمة لما رأى وما سمع، فيهرول إلى أرفيوس معتذراً عما بدر منه من سوء اللقاء، وعبارات البذاء ويسأله فى لين ورفق عن حاجته فيجيب:

- لا شىء إلا لقاء بلوتو.

فيسأله شارون:

- وكيف.. وهذا بدنك لا يحتمل زفير الجحيم؟

فيجيب أرفيوس:

- لا عليك ما دامت هذه - ويشير إلى القيثارة - بيمينى.

فيقول شارون:

ـ يا صاحبى أنت لا تعرف هول ما تريد أن تقتحم، وإنى مخلص لك أمين، إنك غض الأهاب، موفور الشباب وأن جهنم لا تبقى ولا تذر، وأنها أبدا ترمى بشرر كالقصر، وإنى أمحضك نصحاً علمتنى موسيقاك كيف أمحضك إياه، وأستنقذك من عذاب مقيم، وإلا فلتفكر فيما أنت مقدم عليه، فإن من دونه مهالك، وإن من دونه أنكالاً وأهوالاً.

وتبسم أرفيوس بسمة حزينة، كانت رداً صامتاً على ما حذر شارون، ثم أعد قيثارته، وانطلق يتغنى أغنياته.

وما يكاد يفرغ من هذه الزفرة الحارة، حتى تنحدر الدموع من عينى شارون، ويتقدم إليه معتذراً، فيحمله فى الزورق ويجوس به عباب ستيكس، وما يكاد يفعل حتى يرى أرفيوس تلاطم الأمواج فيسأل شارون عما يهيج النهر.. برغم سكون الريح، فيقول:

ـ إنك وأنت من أنت، من فوقه سبب هياجه ولو خلى بينك وبينه لما أنجاك منه شىء حتى تكون فى أعماقه.

ولكن أرفيوس يبتسم ابتسامته الحزينة ويتناول قيثارته فيوقع إحدى أناته المشجية، فيهدأ ستيكس الصاخب، وتصفو صفحته بين دهشة شارون وشدة تعجبه.

وتطول الرحلة ويعبران «أشيرون» نهر العدم و«ليث» نهر النسيان و«كوكيتوس» نهر الآلام و«فليجتون» نهر الحمم واللهب، ويصلان آخر الأمر إلى «هيدز» ـ دار الموتى ومملكة بلوتو، بعد عقبات وأهوال تغلبت عليها جميعاً قيثارة أرفيوس، بألحانها الرقيقة، وأنغامها الباكية.

وتبدأ من هذا الشاطئ الأخير رحلة شاقة فى ظلام دامس وحلك شديد، وفى مسالك ملتوية وشعاب متداخلة لا تجدى معها موسيقى أرفيوس فتيلاً، وهنا يبدو له أن يقصر هذا السفر الطويل بالسؤال عن يوريديس كيف حملها شارون فى زورقه، وكيف عبر بها هذا الفجاج إلى المقر الأخير، وهل كانت تبكى؟ أم كانت راضية بالقضاء الذى فصلها عن أحب القلوب، وأقصاها عن أعز

الناس، وهل حدثته عن الشاب أرفيوس؟ أم كانت فى شغل عن كل شىء بما هى فيه؟ وهل كل روح من أرواح الموتى تستغرق كل هذا الزمن فى عبور أنهار هيدز وفيافيها وهل تألمت يوريديس حين كانت تعبرها؟

وكان شارون يجيب عن هذه الأسئلة المتتابعة إجابة مستفيضة حيث وصلا إلى بوابة كبيرة الحجم تصل إلى قصر بلوتو. ولكن كلباً ضارياً بادى التواجز بارز الأنياب كان رابضًا عندها، فلما لمح أرفيوس وهو من غير الأموات هاج وماج، وتوثب يريد البطش بهذا اللاجئ الممنوع.

وتنبه أرفيوس فحرك أوتار القيثارة، وتغنى على أوتارها ألحانه وآلامه، فثاب الكلب وهدأ، وبعد ذلك تقدم إلى الضيف الحبيب يلحس قدميه، ويتمسح به، ويا للموسيقى!

ثم هذا عرش بلوتو وإلى جانبه زوجته ربة الربيع برسيفون كسيرة القلب تعلو أساريرها عبوسة قاتمة، وتجثم على قلبها لوعة دائمة يا لبرسيفون ويا لهذا المنفى السحيق!

ولشد ما دهش بلوتو حين بصر بهذا المخلوق الذى استطاع أن ينفذ إلى هيدز، وفيه رمق من حياة.

وقبل أن ينبس بلوتو جثا أرفيوس لدى قاعدة العرش، وطبع على الأرض قبلة كلها احترام ووقار، ثم تناول قيثارته، وطفق يتغنى قصته المشجية، يرسلها خلال أنغامه، الحزينة، وملء ألحانه اليتيمة، حتى أتمها.

وكانت الموسيقى الممتزجة بالغناء الحلو والشعر السامى، قد تغلغلت فى السويداء من قلبى الزوجين وكانت الرنات الممتزجة بالأنات، والهديل ليس مثله هديل، قد أحدث أثره فى نفسيهما حتى أن دمعة مترقرقة شوهدت تتسكب على خد برسيفون!

وفى الحق.. لقد هاجت قصة يوريديس شجون برسيفون، لما لحظت فيها من الوشائج بينها وبين قصة حياتها التعسة، فى هذا الملك البغيض!

وانزعج بلوتو لمجـرد وسـواس ولج فى صـدره ولما شـاهد من تـأثر زوجتـه وانسكاب هذه العبـرة الحـزينة على خـدها الشـاحب. حـتى لقـد خـيل إليـه أن شيـاطين الحب قد قفزت من فم أرفيوس الخبيث، ومن موسيقاه الشاحبة، إلى قلبها الغض الصغير.

وقال بلوتو:

ـ انهض أيهـا الشــاب.. فـوحق أورينـوس «السـمـاء» لقـد كـدت تكون من الهـالكين، لولاً قصتك البـاكية، وموسيقـاك المبللة بالدموع.. والآن مـاذا جاء بك إلى هنا؟ وما الذى تطلب أن ينتهى إليك من إحسان بلوتو؟

فركع أرفيوس ركعة التذلل والضراعة، ثم قال:

ـ مولاى.. يوريديس يا مولاى.. تأمر فتعود أدراجها معى إلى الحياة الدنيا!

فأجاب بلوتو:

ـ طلبت المحال أيها العبد، ولكن بلوتو الكريم لن يرد رجية بائس مثلك.. لك ما سألت وستعود يوريديس معك، ولكن على شريطة واحدة، ألا ترها حتى تخرج من هيدز، إنها ستتبعك فلا تلتفت وراءك أو تغادر دار الموتى!

وركع أرفيوس ركعة الشكر، ثم قال:

ـ سأنفذ مشيئة مولاى، وأمر بلوتو فأحضرت روح يوريديس وبدأت الرحلة إلى الدار الأولى يدلجان فى ظلمات بعضها فوق بعض والحبيبان يدلجان خبباً.

وكان قلب أرفيوس يدق.. يدق.

وإنهما ليكادان يبلغان العدوة الأخيرة من نهر ستيكس، حتى يوجس أرفيوس خفية، ويظن ـ ويا شر ما يظن ـ أن يوريديس قد ضلت سبيلها من ورائه، فينسى شرط بلوتو، ويلتفت فجـأة خلفه ليرى أنها مـازالت تتبعه، ولكن يا للهول.. لقد رآها باسطة ذراعيها إليه، كمن يتلمس طريقه فى الظلام، وحين تراه يلتفت إليها فـيخل بالشـرط الذى عـاهد الآلهـة عليـه، تنثنى من لدنه راجعـة أدراجـها إلى

هيدز.. متمتمة فى صوت ضعيف خافت:

- وداعاً يا أرفيوس.. يا حبيبى أرفيوس وداعاً.

فيصرخ المسكين صرخة يكون معها فى هذه الحياة الدنيا. حياة الشقاء والآلام.

ويظل على شاطئ ستيكس سبعة أيام مفجعاً محزونا.. يحاول عبثاً أن يعود إلى هيدز ولكن.. هيهات!

ويدخل الدنيا محطم القلب، موهون القوى.. لا يطيب له عيش، ولا يسيغ لذة من لذائذها ويتخذ مأواه من شعاب جبل تزمزم الرياح فى جنباته وتزمجر الوحوش فى يرانه ويكون أولئك خير أصحابه.. ويا ما أعز الرفاق.

وتلقاه مجموعة من النساء ممن اعتدن التخلف إليه فى أيامه الماضية، فيحتلن عليه ليعزف لهن من ألحانه ولكنه يعزف عنهن ويشيح ثم يفر منهن فيقتفين أثره، فيمعن فى الفرار فيتضايقن، ويصبنه بسهامهن ويرجمنه بالحصى حتى يموت!

ويسمعنه إذ هو يموت يقول:

- يوريديس.. يوريديس!

فترد الأصداء نداء الحزين، ولا توال الأشجار والأطيار تهتف إلى اليوم هتاف موسيقاه المحزون «يوريديس.. يوريديس».

وانطلقت روحه البرية تعبر بدورها ستيكس وكل ما مر به قبل ذلك ويتلقاه شارون الجبار باسماً محيياً، ويجلسان معاً فى الزورق، يقصان ذكريات الماضى القريب، ويتلقاه الكلب عند البوابة، فيهرول إليه ويتمسح به، وفاء وذكرى ويتلقاه بلوتو كذلك فيهنئه بالعودة.

أما يوريديس.. فلشد ما يكون فرحها بعودة حبيبها.

■ ■ ■

آجاممنـــون

وتعتبر أسطورة آجامنون تجسيدًا للشر.. كل الشر.. الغدر.. الظلم.. الخيانة.. وسلوك المفاسد والموبيقات للوصول لغايات خبيثة وأغراض دنيئة.

لعنة قابيل:

تآمر ثويسترس لقتل أخيه أتريوس للاستيلاء على عرش مملكة موكيناى بمساعدة ابنه أيجيستوس الذى قتل غدراً وشرد أسرته.

نجا الطفلان آجاممنون ومنيلادوس ولدا أتريوس من المذبحة التى راح ضحيتها باقى الأسرة عندما هرب بهما الخادم الأمين ديلادوس إلى مملكة سبيكون حيث تمكنا من الاختفاء إلى أن تتوقف عنهما مطاردة عمها وابنه.

ظن تويستوس وابنه آيجيستوس أن الأمر قد استوى واستقر لهما الحكم ودان لهما الملك وأنهما قد خلصا من أتريوس وأسرته وانقطع نسله.

بعد فترة وقد خف عليهما الطلب، انتقل بهما الخادم ديلادوس إلى كالودون أيتوليا فى كف الملك أوينيوس وكان صديقاً لوالدهما حتى وصلا إلى طور الفتوة والشباب وكان خادمهما يذكرهما بالعرش وغدر العم وقسوة ابن العم.

رحل الشابان إلى اسبرطة ينشدان عند الملك ترنداريوس العون لاسترداد ملكهما والانتقام من العم القاتل مستغلين عداوة الملك ترنداريوس لعمهما.

وجد الملك تراندريوس الدافع لغزو مملكة موكيناى وتخليصها من ثوريستوس فجهز حملة وتنازل أثويتيس عن العرش وخرج من موكيناى وكان ابنه إيجيستوس قد سبقه من الخروج منها خوفاً من انتقام أبناء عمه منه ولجأ إلى الملك كولارابيس يلوذ بالأمان.

استقرت مملكة موكيناى بعد أعتلى أجاممنون عرشها ودانت له بعض

الممالك الإغريقية بعد أن ذاع سيطه ونشر عدله وفرض الأمن والسلامة وحل الرخاء ودان له الشعب بالولاء.

كان تناتالوس ابن عم آجاممنون يحكم مملكة بيزا المجاورة وكان حقداً وكرها لعمه بروتياس الذى لم يساند والده حين غدر به أخوهم ثويستيس.

قويت شركة آجاممنون وزادت سطوته فتحين الفرصة وهاجم مملكة بيزا وقتل ابن عمه وضمها لعرشه.. أحسن آجاممنون معاملة أرملته كلوتمنسترا التى كانت تتمتع بقسط وافر من الجمال والخبث.

عرض آجاممنون الزواج على كلوتمنترا فرفضت فى أول الأمر ولكنها كانت تود السلطة والنفوذ وهاهى قد أصبحت أسيرة لا حول لها ولا قوة.. فلماذا لا ترضى حتى تتمكن من الخلاص من هذا الذى تحول من مظلوم إلى ظالم ومن مغدور إلى غادر ومن مسلوب إلى سالب وناهب.

كانت كلوتمنسترا أختًا لهيلينى الجميلة وابنة لتونداريوس الذى ساعد آجاممنون فى استعادة عرشه.. فأخذ آجاممنون كلوتمنسترا إلى والدها وطلب منه العفو والموافقة على تزويجه ابنته.

عفى تونداريوس عن آجاممنون وبارك زواجهما وبعد فترة تزوجت هيلينى مينلادوس شقيقه آجاممنون وعاش الجميع فى سعادة وأنجبت كلوتمنسترا ثلاث بنات هذا الكترا وإفيجينيا وخروسوثميس وولداً واحداً هو أورستيس.

حرب طروادة:

كانت هيلينى أجمل نساء الإغريق وزوجة مينلادوس وقد فتن بجمالها القاصى والدانى. وعرفها باريس أوسم شباب طروادة وفتن بها فخطفها ولاذ بدياره.

ثارت ثائرة الإغريق واعتبروا ذلك امتهاناً لهم، فصمموا على اجتياح طروادة وتخليص هيلينى وتأديب باريس وقومه الطرواديين.

تجهزت الجيوش الإغريقية وعقد لواءها لأخيليوس العظيم، ودارت رحى

الحرب التى استمرت عشر سنوات والتى تعتبر أكبر الملاحم الإغريقية.

كان آجاممنون أحد قواد هذه الحملة العظيمة وغاب عن زوجته كلوتمنسترا طول هذه السنوات العشر كانت خلالها ترعى شئون المملكة ومصالح الشعب سنوات طوال وذلك قبل أن يظهر إيجبستوس وينتهز فرصة غياب ابن عمه آجاممنون لينتقم ويستعيد عرش موكياى.

طال زمن الحرب ونشب خلاف بين القادة الإغريق وكان ضحيته بالاميديس القائد الإغريقى الذى حكم عليه بالإعدام رجماً بالحجارة.

حزن ناويليوس لقتل ولده وعقد العزم على الانتقام من كل ملوك الإغريق وأمرائهم، ولكن كيف وهو لا يملك جيشاً وليس لديه سطوة.

تفتق ذهن ناويليوس عن فكرة خبيثة يضارع بها أبالسة الجحيم ورأس الشياطين فأخذ يجوب بلاد الإغريق يتقرب من زوجات وبنات الملوك والأمراء المرابطين فى أرض المعركة والغائبين عن بيوتهم وزوجاتهم وأسرهم.. يحضهم على الرذيلة ويدفعهم إلى طريق الخيانة مبين لهن أن أزواجهن يتمتعون بالسبايا والجوارى وقد تركوهن تنهش فيهم الغريزة والمتعة وتسلط عليهن الواحدة تلو الأخرى يذبح فيهن العفة والطهارة، فصار العشق تاجاً والفسق منوالاً والخيانة مشروعة والفضيلة سقماً وهما.

شاعت الرذيلة فى البلاد وتحولت دور الحكم أوكاراً للفسق والمجون وكانت كلوتمنسترا الملكة الأم أكثرهن استلذاذاً وترحيباً بهذا النمط من الحياة ووضعت كل المشاعر النبيلة تحت قدميها ونحرتها على مذبح الشهوات التى أطلقتها من عقالها.

تلاقت رغبات كلوتمنسترا مع أطماع إيجيستوت الذى أخذ يتقرب منها يبث فيها عبارات الغزل وتظاهر بعشقها فبادلته عشقاً بعشق وسبحا معاً فى بحور الفسق وغاصت فى سراديب الخيانة واتفقا على قتل آجاممنون إذا ما عاد من المعركة.

كان رجال القصر لا يملكون عليها قوامة ولم يتمكنوا من ردها لجادة

الصواب فكانوا يتابعون ما يحدث فى صمت وقد زاد عنادها وتجبرها مستمدة قوتها من إيجيستون الذى زين لها ما تفعله وأعانها عليه.

كان زيوس كبير الآلهة يرقب ما يحدث دون أن يتدخل فترك الفضيلة تنحر والفساد يعم والأعراض تستباح وتختلط الأنساب والكل يسعى لهواه وقضاء لذاته واكتفى بأن حذر إيجيستوس وهدده وتوعده ولكن إيجيستوس لم يأبه بهذا التهديد والوعيد فقد كانت إفروديتى ربة الرغبة والحب والمجون توسوس له بأن زيوس يغار منه وأنه لا سلطان على قلوب العاشقين، وتزكى فى نفسه رغبة الانتقام من آجاممنون بأن يهتك عرضه ويستولى على مملكته ولم تجد فى ذلك عناء.

كلما غاب الزوج عن زوجته تخمد نار الحب إن وجد وتبحث المرأة عن بواعث الكراهية لتستعين بها على ارتكاب الخطيئة وسلوك دروب الخيانة، وما أكثر هذه البواعث عند كلوتمنسترا فآجاممنون قاتل زوجها الأول تانتالوس وقتل ابنها التى أنجبته منه وعندما لاحت الحرب أسرع فى الاشتراك فيها بل وقدم ابنته آيفيجينيا قرباناً للآلهة وها قد مرت العشر سنوات هجر فيها فرشها فغابت عنها متعتها ولذتها وهو قد تزوج من الأميرة كاساندرا ابنة الملك الطروادى برياموس بعد سبيها وأنجب منها طفلين وقد تأكد لها ذلك، ما الذى يمنعها من أن تعيش حياتها ولم التردد والتآمر على قتله إذا ما حضر.

مقتل آجاممنون

وضعت الحرب أوزارها بعد حصار طروادة لزمن طويل وبقى توطيد أركان الحكم فعمت بلاد الإغريق الفرحة بهذه العودة المظفرة وأقيمت الأفراح فى كل الممالك.

أرسلت كلوتمنسترا إلى زوجها بأن يرسل لها ميعاد وصوله لتعد له الاستقبال اللائق بالملك المغوار والقائد العظيم والمحارب الشجاع فأخبرها بأنه يستعد للعودة ولكنه لا يعرف موعداً محدداً إلا أنه استتاب الأمر وسقوط

طروادة نهائياً ستقام المشاعل على جبل إيدا إيذاناً بعودة الملوك والأمراء إلى ديارهم.

صفت كلوتمنسترا فريقاً من حملة المشاعل يحتل كل حامل مشعل قمة جبل يكون فى مرمى بصر الآخر على طول الطريق بين طروادة ووموكيناى، يرصد الشعل فيقوم بإشعال شعلته.. وفوق القصر موكيناى يظل أحد الحراس يرصد آخر شعلة يخبر الملكة بأن آجاممنون قد بدأ التحرك فى طريقه إلى البلاد.

ما أقصى ساعات الانتظار فهى تمر بطيئة مملة قاتلة وكانت كلوتمنسترا تستعجل الأيام وتدفع الساعات لأن تمر للتخلص من ذلك الكابوس الجاثم على صدرها فحرمها النوم وأرقها السهاد وكان إيجيستوس يشاركها هذا الأرق والقلق فهو يعد نفسه لاستعادة ملكه والانتقام لأبيه.

سيطر الإغريق على طروادة وقتولا وذبحوا فيها من الطرواديين، دمروا مبانيها وخربوا ديارها وقتلوا سكانها وانتشى المنتصرون وغادروها غير آسفين على ما حدث وقد أتوا على الأخضر فيها واليابس، ردموا الأنهار بالجثث وأشعلوا النار على جبل إيدا تأكيداً على سقوط طروادة وإيذاناً بالرحيل عنها والعودة إلى الديار ملهوفين لأسرهم وزوجاتهم وآبائهم بعد طول غياب.

سرعان ما أضيئت المشاعل لتنقل أخبار العودة.. أسرع الحارس الموكل برصد الإشارة من فوق قصر آجاممنون إلى سيدته يزف إليها الخبر.

تغير وجهها وبقدر لهفتها لهذه الساعة كانت خائفة وجلة فقد حانت ساعة المواجهة وبدأت تراودها الأفكار.. ماذا سيحدث إذا فشلت خطتها وتخلى عنها إيجيستوس وكشف آجاممنون هذه المؤامرة؟! ماذا لو سبقها إليه أحد الموالين إليه وأخبره بعلاقتها الآثمة فيأخذ حذره؟!

لم تفق من هواجسها إلا على صوت إيجيستوس الذى أسرع إليها وأخذ يطمأنها على نجاح الخطة وأنهما على وشك الخلاص من عدوهما المشترك.. واخبرها بأنه قد أرسل أحد أعوانه المخلصين إلى شاطئ البحر يرقب وصول

السفن ويعمل على إبعاد أى نفر يحاول الاقتراب من آجاممنون.

استعادت كلوتمنسترا طبيعاتها الغادرة وبعد أن ذكرها إيجيستوس بإنفاقهما وزين لهما المستقبل بعد الخلاص من ذلك الغادر القاسى.. فبدأت تعمل على تنفيذ المؤامرة.

وصلت سفينة القائدة آجاممنون إلى شواطئ ناوبليا سالمة برعاية هيرا التى أمرت الرياح فارتعد البحر وعلت الأمواج ومزقت السفن وغرقت بعضها بقادتها والكنوز التى نهبت من طروادة.

أنحنى آجاممنون يقبل أرض الوطن ورفع يده إلى السماء يبتهل لسلامته وغنائمه وعودته إلى زوجته وأبنائه.

أسرع تابع إيجيستوس فأرسل إليه من يخبره بوصول آجاممنون ومرافقته أعد إيجيستوس كميناً داخل القصر من عشرين رجلاً مات قلبهم وقويت سواعدهم وأشهروا سيوفهم وشحذوا خناجرهم.

أقيمت الأفراح واصطف الرعايا على جانبى الطريق تحى الموكب العظيم الممتد يتقدمه البطل آجاممنون يتهادى فى عجلته الحربية بسيفه يبرق ودرعه تنطق وإكليل النصر يتوج جبينه وعربات كثيرة محملة بالغنائم وجند كثيف يخلفه.

وصل الموكب إلى قصر الملك وكانت كلوتمنسترا فى كامل زينتها وبهائها تنتظره عند باب القصر لترحب به، وقد افترشت الأرض بالورود وبسط البساط الأحمر موطئ لقدمى البطل المغوار والزوج العزيز.

طلبت كلوتمنسترا من زوجها أن يسير على البساط الأحمر الأرجوانى وهو ممشى الآلهة.. رفض آجاممون حتى لا تغضب عليه الملائكة، ولكنها أصرت على ذلك فهو عندها أفضل من الآلهة.. لم يكن يدرى ما تدبره هذه الخبيثة.

وطأ البساط وهو يمنى نفسه بحياة هانئة سعيدة مع زوجته وأبنائه وسط رعاياه ومحبيه، يستشرف غداً ينعم فيه بالراحة والأمان والاستقرار، وهى

بجانبه تزفه إلى الموت وتسوقه إلى نحره وتنظر فيه معشوقها إريجستوس وقد غمرها بحبه وحنانه ومعسول كلامه.

لقد أحبها آجاممنون وعرف فيها الزوجة الوفية والصدر الحنون والأم الرءوم والصديقة المخلصة ينظر إليها فتبتسم له وتشعل فيه نار السنين التى قضاها بعيداً عنها فعاد الحب يتدفق فى صورة وهى قد كرهته وعادت إليها صورة زوجها الذى قتله وابنها الذى نحره وأبنتها التى ضحى بها وغربته التى طالت سنين وزواجه وأبنائه من غيرها فتشتعل فى قلبها نار الحقد والغيرة.

وقد آجاممنون فى شرفة قصره منتشياً يلوح لمستقبليه يرد إليهم التحية وبينهم وقف إيجيستوس ينتظر اللحظة المناسبة ليتدخل وكان تهناك بين المرافقين كاساندرا وأولادها وأتباعه المخلصون.

كانت كاساندرا ذاهلة لا تعرف مصيرها وسط هذا الزخم العظيم وهى التى اختار أبوللو إله عالم الغيب فوهبها بعض علمه فدار أمام عينيها مشاهد لم ترغب فى تصديقها ولا يمكنها أن تعلنها فى هذا الموقف، فقد رأت آجاممنون مخضبًا بالدماء جثة هامدة وكلوتمنسترا تمسك بخنجر يقطر دما وبجانبها شخص لا تعرفه.

فزعت كاساندرا وصرخت صرخة عظيمة ولكنها لم تسمع.. وأخذت تلوح لآجاممنون لم ير يديها التى تاهت وسط آلاف الأيدى.

تأبطت كلوتمنسترا يد آجاممنون ودلفت به داخل القصر وظلت تغدق عليه من مشاعر الحب والحنان فأسلم نفسه لها وهو لا يعلم مصيره المحتوم وساعاته المتبقية.

التقطت كلوتمنسترا قطعة من القماش واقتربت بها من أجاممنون فظن أنها تريد أن تجفف بها ما علق بوجهه من ماء الورد الذى ألقى عليه.

وفجأة ظهر أفراد الكمين والتفوا حوله وشلوا حركته وقامت كلوتمنسترا

بالباسه ما كان بيديها فغطته من رأسه إلى إخمص قدميه، عندما ظهر إيجيستوس وطعنه طعنة قاتلة بسيفه فتهاوى الجسد على الأرض فأسرعت كلوتمنسترا واستلت خنجراً ولم تترك الجسد إلى وقد فصلت عنه الرأس.

صرخ بعض الخدم صرخة مدوية وصلت إلى الجموع الغفيرة والتى ما زالت مرابطة أمام القصر أسرعت كاساندرا نحو القصر فعاجلتها كوتمنسترا بطعنة نافذة أردتها صريعة.

نشبت معركة سريعة بين أتباع آجاممنون المخلصين وأتباع إيجيستوس وكلوتمنسترا الذين أحاطوا بالقصر وتمكنوا من السيطرة عليه.

خرجت كلوتمنسترا إلى شرفة القصر وبيدها رأس آجاممنون وبجانبها وقف إيجيستوس مزهواً فرحاً بالانتصار على غريمه.

تمكن إيجيستوس من فرض سطوته على البلاد وأباد نسل آجاممنون وأستولى على قلب كلوتمنسترا واعتلى العرش بعد أن قضى على معارضيه إما بالقتل أو النفى. تمرست كلوتمنسترا على الخطيئة واستعذبت الخيانة واختارت طريق الهلاك وهى معتقدة أنها التى اختارت قدرها وصنعته، اختارت الرجل الأفضل ورفعته اختارت الرجل الذى يحبها وعشقته وعاشت فى ذلك اختارها لينتقم ويعيد عرشه ومال أبيه وهو الذى أفقدها زوجها وقتل أولادها وسلبها كل شىء وعاش فى ذلك الوهم سنين وهو لا يعلم أنه كان أداه للآلهة لتنفيذ قدرها وتحقيق لعناتها التى أورثها تانتالوس لابنه بلويس، ثم أورثها لابنه أتريوس الذى أورثها لابنه آجاممنون.

■ ■ ■

حصان طروادة

منذ ثلاثة آلاف سنة كانت تقوم على شواطئ البحر المتوسط الشرقية. فى بلاد آسيا الصغرى المعروفة بتركيا اليوم، مدينة عدت من أغنى وأعظم مدن ذلك الزمان، هى طروادة وقد دمرت وأحرقت فى نهاية حرب دامت عشر سنوات. بينها وبين المدن اليونانية.

ويعود سبب هذه الحروب إلى خلاف وقع بين ثلاث إلهات نخر الحسد قلوبهن، ومفاد ذلك أن أريس، ربة التفرقة. لم تكن محبوبة فى جبل الألمب. فأرادت أن تنتقم لنفسها بإثارة الفتنة بين الآلهة. ففى عرس دعيت إليه جميع الآلهة، ما عداها، ألقت بين المدعوين تفاحة ذهبية تحمل عبارة «إلى أجمل إله» فوقع خلاف بين الألهات «أفروديت وهيرا وأثينا» على من منهن تستحق التفاحة، وطلبن من زفس أن يكون حكماً بينهن، ففضل الوقوف على الحياد. وأشار عليهنّ بأن يذهبن إلى جبل بايدا، قرب طروادة، ويحتكمن فى الأمر إلى الأمير الشاب باريس ابن ملك طروادة، وكان والده قد أبعده إلى جبل ايدا، وكلفه برعاية غنمه، بسبب نبوءة بأنه سيتسبب بخراب طروادة.

وقد أخذت باريس دهشة كبرى عندما ظهرت أمامه الإلهات الثلاث، وراحت كل منهن تعده بالوعود البراقة إن هو اختارها للتفاحة الذهبية.

فهيرا وعدته بأن تجعله سيداً على أوروبا وآسيا. وأثينا تعهدت له بأن تقود الطرواديين إلى نصر ساحق على اليونان، أما أفروديت فوعدته بأن تمنحه أجمل امرأة.

وكان باريس شاباً ضعيف النفس ينساق وراء شهواته، فمال دون تردد إلى ما وعدته به أفروديت، ومنحها التفاحة الذهبية.

وأجمل امرأة كانت هيلانة ابنة زفس من زوجته ليدا، وقد بلغ من جمالها أن تقدم لطلب يدها جمهور كبير من الأمراء اليونانيين، وقد تخوف زوج والدتها، الملك تيندار إن اختار لها من بينهم زوجاً، أن ينقم عليه الباقون ويتحدوا ضده، لهذا طلب منهم أول الأمر أن يتعهدوا بمؤازرة الزوج الذى يختاره لهيلانة وأن يقفوا إلى جانبه إذا تعرض لأى مكروه، فتعهدوا جميعاً بذلك، وكل منهم يعلل النفس بأن يكون ذاك الزوج السعيد الحظ، ثم اختار تيندار مينيلاس ملك اسبرطا زوجاً لهيلانة الجميلة.

وسارت الأمور سيراً حسناً بين الزوجين مينيلاس وهيلانة، إلى أن برت أفروديت بوعدها لباريس، وجاءت به ضيفاً على مينيلاس الذى استقبله استقبالاً لائقاً، وكانت قواعد الضيافة بين الضيف والمضيف تقضى بأن لا يسىء أحدهما إلى الآخر، وأثناء وجود باريس فى ضيافة مينيلاس، اضطر هذا الأخير إلى السفر إلى جزيرة كريت، وعندما عاد، وجد أن ضيفه قد خانه واختطف زوجته الجميلة هيلانة، وعاد بها إلى طروادة.

فجن جنون مينيلاس، وصمم على استرجاع زوجته، وطلب المساعدة من ملوك وأمراء بلاد اليونان، فاستجابوا لندائه، وكلهم راغبون فى القضاء على طروادة، تلك المدينة القوية التى كانت تخافها وتحسدها كل المدن اليونانية، فجهزوا أسطولاً من ألف سفينة، وأسلموا قيادتهم إلى أغاممنون، ملك ميسانا وشقيق مينيلاس، واستعدوا للإبحار نحو طروادة، لكن رياحاً هوجاء هبت على البحر ومنعتهم من التحرك، وقد طال هبوبها أياماً وأياماً، عندئذ استشاروا المنجم كالشاس فى الأمر، فأنبأهم بأن أرطميس، إلهة الغابات، غاضبة عليهم لأنهم اصطادوا أرنباً برياً، والأرنب من الحيونات التى تحبها وتحميها، ولابد لاسترضاء الإلهة الغاضبة من تقديم إيفيجانى، بنت الملك أغاممنون البكر، ضحية لها، فاضطر أغاممنون، حفاظاً على مركزه إلى الخضوع للرغبة الإلهية، وكتب إلى زوجته طالباً إرسال إيفيجانى إليه، مدعياً أنه سيقيم لها عرساً كبيراً، ولما جاءت المسكينة قدمها ضحية على مذبح الإلهة أرطميس، بالرغم من توسلاتها وصراخها.

ماتت إيفيجانى وهدأت الرياح، وسارت السفن بسلام، ووصل اليونانيون المتحمسون إلى طروادة، وضربوا الحصار حولها ولكن طروادة كانت مدينة منيعة، عندها جيش باسل يحسن الدفاع عنها، وقد طال الحصار مدة تسع سنوات دون أن يحرز النصر أى من الفريقين وبرز فى هذه الحرب عدة أبطال أشهرهم هكتور فى صفوف الطرواديين، وأشيل فى صفوف اليونانيين وقد قتل أشيل هكتور وربطه إلى عربته وجره حول أسوار طروادة ثم قتل أشيل بدوره.

وتحمست الآلهة، وانقسمت إلى فريقين فأفروديت إلهة الجمال، وآريس إله الحرب، وأبولون إله الفنون، ساندوا الطرواديين، بينما هيرا زوجة زفس، وأرطميس، وپوصيدون إله البحار، وقفوا بجانب اليونانيين. وكان زفس يميل ضمناً إلى الطرواديين لكنه تخوف من انتقال الحرب إلى جبل الأولمب نفسه فقرر فى النهاية الوقوف على الحياد.

وطال أمد الحرب، ودخلت فى عامها العاشر، وسئم اليونانيون وكاد اليأس يتسرب إلى نفوسهم، وأدركوا آخر الأمر أن لا أمل لهم بالنصر إلا بدخول المدينة، وأخذ الطرواديين على حين غرة، وراحوا يفكرون بحيلة توصلهم إلى غايتهم فطرأت لأوليس، أحد ملوكهم فكرة خارقة، هى فكرة «حصان طروادة».

فقد أمر أحد النجارين المهرة أن يصنع حصاناً هائلاً من الخشب، يستطيع أن يحمل داخله عدداً كبيراً من الرجال ولما تم له ذلك، أقنع أوليس عدداً من القادة بالصعود إلى داخل الحصان، فصعدوا والخوف يملأ قلوبهم، لأن فى الأمر مغامرة خطرة، إن خطة أوليس تقضى بأن ينسحب الجيش اليونانى من المعسكر ويختبئ عن أنظار الطرواديين فى أقرب جزيرة، حتى إذا انطلت الحيلة على هؤلاء وأدخلوا الحصان إلى مدينتهم، عاد الجيش اليونانى ليقتحمها لكن إذا انكشفت حقيقة الحصان للطرواديين يتابع الجيش طريقه عائداً إلى بلاده، بينما يكون قد قضى على من اختبأ داخل الحصان.

وقد فطن أوليس لهذا الخطر، ولكى يتداركه رأى أن يبقى رجلاً واحداً فى

المعسكر اليونانى، يتولى إقناع الطرواديين بإدخال الحصان إلى داخل أسوار مدينتهم.

وفى ليلة حالكة، باشر اليونانيون بتنفيذ خطتهم واستفاق الطرواديين صباحاً ليروا مشدوهين من أعلى أسوارهم مشهداً غريباً عجيباً لم تصدقه عيونهم فقد شاهدوا الحصان الهائل أمام باب المدينة وسط معسكر خال خاو من المحاربين، لا أثر لأى حياة فيه، كما لاحظوا غياب المراكب اليونانية فى البحر فاستنتجوا فى الحال أن اليونانيين قد أقروا بهزيمتهم وأبحروا عائدين إلى بلادهم.

فالحرب إذ قد انتهت، وانتهت معها الآلام والمآسى، وخرج الطرواديون جماهير جماهير إلى معسكر اليونانيين، وراحوا يتجولون فى أرجائه. ويتجمعون حول الحصان الخشبى الضخم، فينظرون إليه بإعجاب، ويتساءلون عما سيفعلون به، وعندما تكاثرت تساؤلاتهم، خرج اليونانى الذى ترك فى المعسكر، من مخبئه وكان اسمه سينون، وهو خطيب مفوه فقبض عليه الطرواديون، وقادوه إلى ملكهم بريام فأخذ يبكى أمام الملك مدعياً إنه لا يرغب أن يكون يونانياً وقص عليهم قصة لقنه إياها أوليس، هى نسيج رائع من الخيال والخبث والدهاء.

فزعم أن أثينا، إلهة الحكمة، قد غضبت غضباً شديداً على اليونانيين لأنهم تجرؤا وسرقوا تمثالاً لها من طروادة، فاستشار هؤلاء المنجم عما يرضى الإلهة الغاضبة فقال لهم:

ـ لقد ضحيتم بعذراء حتى هدأت الرياح وركبتم البحر إلى طروادة والآن عليكم أن تقدموا ضحية يونانية جديدة حتى ترضى عنكم أثينا وتترككم تعودون بسلام.

وقد وقع اختيار اليونانيين على سينون بالذات ليكون تلك الضحية، وعندما استعدوا للقيام بمراسم الذبيحة، تمكن من الهرب تحت جنح الظلام، واختبأ فى حفرة، وبقى متخفياً حتى أبحروا وعادوا إلى بلادهم.

صدق الطرواديون أقوال سينون، ولم يشكوا لحظة واحدة بروايته، وهدأوا

من روعه، ووعدوه بأن يستقبلوه فى طروادة كواحد منهم، وعندما أيقن سينون أن قصته قد انطلت على الطرواديين، أكمل لهم الفصل الثانى منها.

فقال بشأن الحصان:

- إن اليونانيين قد صنعوه إكراماً للإلهة أثينا، وجعلوه ضخماً هائلاً ليتعذر على الطرواديين جره إلى مدينتهم، فيعمدون إلى تحطيمه، ويثيرون بذلك غضب أثينا عليهم. أما إذا تمكنوا من إدخاله إلى طروادة، فإنهم سينالون كل عطف وعون منها.

عندما انتهى سينون من الكلام، كانت قصته قد فعلت فعلها فى نفوس الطرواديين، ولم يشكك فيها سوى الكاهن لاوكون الذى قال:

- إنى أخشى اليونانيين وهديتهم.

وكذلك كاسندرا ابنة الملك بريام، لكن معارضتهما لم تلق آذاناً صاغية، وتدخل الإله بوصيدون الذى كان يكره الطرواديين شديداً، وأرسل من البحر أفعيين مخيفتين، زحفتا نحو لاوكون وطوقتا عنقه حتى خنقتا أنفاسه، وكان لموته الفظيع أثر عميق فى نفوس الطرواديين، إذ اقتنعوا بأنه قد نال جزاء معارضته لإدخال الحصان إلى المدينة، فهبوا هبة رجل واحد، وربطوا الحصان وجروه إلى داخل المدينة، وأوقفوه أمام معبد أثينا، ثم لجأوا إلى فراشهم والسعادة تملأ قلوبهم، وناموا نوماً هانئاً لم تعرفه أجفانهم منذ عشرة أعوام.

وما أن حل الليل، وغط أهل طروادة فى نومهم العميق، حتى خرج اليونانيون المختبئون داخل الحصان، من كوة فى ظهره، وتدلوا بالحبال إلى الأرض، وأسرعوا بخفة ورشاقة إلى أبواب المدينة، وفتحوها على مصراعيها، وعاد الجيش اليونانى فى الليلة ذاتها، ودخل المدينة النائمة، وراح الجنود يضرمون النار فى مختلف الأحياء، فاندلعت الحرائق فى كل مكان واستفاق الطرواديون على لهيبها مذعورين، وقبل أن يفهموا ما يجرى ويركضوا إلى سلاحهم كانت النيران قد أكلت مدينتهم ونزلوا إلى الشوارع والفوضى تعم صفوفهم، وفتك بهم

اليونانيون فتكاً ذريعاً، فلم يعد هناك معارك، بل مجازر بكل ما فى الكلمة من معنى، وتمكن بعض المقاتلين الطرواديين، فى ضواحى المدينة، من تجميع صفوفهم، وشنوا هجوماً على اليونانيين، وكبدوهم خسائر فادحة فى الأرواح كما لجأ بعضهم الآخر إلى تبديل ثيابه وأسلحته بثياب يونانية، واندسوا فى صفوف أعدائهم وأعملوا فيهم تقتيلا، وصعد قسم من الطرواديين إلى سطوح المنازل، وانتزعوا قرميدها وراحوا يقذفون به رءوس اليونانيين، وقد أزال المدافعون عن قصر الملك بريام برج القصر قطعة قطعة، وقتلوا بها العديد من المهاجمين، لكن بالرغم من بسالتهم وتفانيهم فى الدفاع عن مدينتهم انهاروا فى النهاية ودخل اليونانيون القصر وقتلوا الملك الشيخ أمام أعين زوجته وبناته.

وما أن طلع الفجر حتى تلاشت كل مقاومة من طروادة ومات جميع قادتها إلا واحد منهم هو انياس ابن الإلهة أفروديت فقد قاوم اليونانيين حتى النهاية وعندما رأى أنهم لم يعد هناك أية جدوى من المقاومة، تسلل عبر الشوارع بمساعدة والدته أفروديت إلى منزله ليصطحب زوجته وطفله ووالده، وقد قتلت زوجته عند خروجها من المنزل فحمل والده العجوز على ظهره، وأمسك بطفله من يده، وهرب خارج طروادة.

ومدت أفروديت يد العون أيضاً إلى هيلانة التى تسببت بطيشها بهذه الحرب الرهيبة، وأخرجتها من طروادة، وقادتها إلى زوجها مينيلاس، فاستقبلها ببشاشة وفرح، وأعادها معه إلى اسبرطا.

وعند الصباح تحولت طروادة أكبر مدن ذلك الزمان، إلى أطلال يتصاعد منها الدخان، ولم يبق من سكانها سوى جماعة من النساء اللواتى فقدن أزواجهن وأولادهن وكن ينتظرن بحزن ويأس أن ينقلهن اليونانيون إلى ما وراء البحر حيث سيتحولن إلى جوارى أو سبايا.

ثيذيوس

خرج إيجوس الملك الأثينى متخفياً متفردًا يتفقد حال البلاد وأحوال الرعية وكان فى شرخ الصبا وعنفوان الشباب، امتطى حصانه البهيم وانطلق إلى أقاصى ملكه.

ارتعد الجو واشتد البرد وفتحت السماء مزاريب المياه فانطلق أيجوس يبحث عن مأوى يقيه لسعة البرد ومياه المطر.. الحقول واسعة ولا ملجأ إلا كوخ ينبعث منه ضوء خافت كان له دليلاً فتوجه إليه وربط الحصان بجذع ناتئ وسط ظلام دامس.

طرق إيجوس الباب، وهو يرتجف وأخذ ينادى من بالكوخ.. صوت رقيق يجيب، ويد تمسك شمعة تكاد تظهر الجزء الأعلى من جسد املها.. لم يتبين أيجوس الوجه الملثم ولكنه أطال النظر لذاك الذراع العاجية والأنامل المدببة الناعمة، فساح بخياله فيما تبقى من الجسد.

رحبت صاحبة الكوخ بضيفها وهى لا تعرف من هو.. أحضرت بعض الحطب المشتعل ووضعته فى وسط الكوخ وزادت عليه من الحطب الجاف. ازداد الضوء وبدأ إيجوس يشعر بالدفء والسكينة.

ماذا.. خرجت الكلمة من الضيف والمضيفة.

سكنت الفتاة.. وقال إيجوس.. أراك وحيدة فى هذا المكان الموحش المقفر ألا تخشين شيئاً.. قالها وهو ينزع عنه ثيابه المبتل وتدثر بخرقة بالية كانت جواره.

يرعانا زيوس العظيم فأبعد عنا الضوارى ويحمينا إيجوس الملك فيمنع عنا اللصوص وقطاع الطريق بعد أن نشر العدل وعم الرخاء مملكة أثينا صحاريها وريفها.

تقولين نحن.. من يعيش معك؟

والدى الذى ذهب يجمع الحطب ويذهب به إلى سوق المدينة فيبيعه ثم يعود بمئونة شهر.. توقف المطر وهب نسيم وامتزجت رائحة الياسمين بشجيرات الزيتون المزروعة حول الكوخ، فكانا عبقاً يشعل القلوب ويلهب المشاعر.

انحصر الثوب الفضفاض فأظهر سقيان فى بياض الثلج ونعومة الحرير.. قال إيجوس اكشفى وجهك ولا تخافى منى غدراً أو أذى.

كشفت الفتاة عن وجه فيه ضوء القمر بدراً وعيون المها تسبى وشفاه تسكر وتستر لؤلؤاً كالنجوم تبرق.

لقد جمعت جمال فينوس ودلال أفروديت وبهاء عرائس الأنهار والبحار.. ما اسمك يا مليكة بلا عرش؟

ما كان لك أن ترى وجهى أو تعرف اسمى بدون إذن والدى بذلك، ومن والدك رجل من الفقراء والضعفاء.. ولا نرتجى من الإله شيئاً سوى أن نحيا بأمان بعيداً عن الجاه والسلطان والمال والعمران.

هذا الجمال خلق ليكرم ويعيش فى القصور ويلبس التيجان وينعم بالسلطان.. اقترب أيجوس من الفتاة التى ما زال لا يعرف اسمها.. من أبوها وأمها.. وأمسك بيدها ففزعت وتراجعت إلى ركن مظلم وقالت بحق جميع الآلهة ألا تفض الخاتم إلا بحقه وكانت هذه الكلمات بمثابة غشاء ذهب بأيجوس فى نعاس طويل لم يفق منه إلا على يد خشنة تهدهده وضوء الشمس يغمر الكوخ.

رجل عجوز جاوز زمن الصبا منذ عقود ورسم الزمان على وجهه علامات الشيب والعجز ولكنه متماسك القوة عريض المنكبين.

من أنت أيها الغريب وعليك أمارات الملك والعظمة ظاهرة على ملابسك والحصان الواقف عند الباب؟

عابر سبل مار بدياركم ولى عليكم حق الضيافة دون أن تسألونى عن اسمى وبلدى.

الكريم يكرم ثلاثًا وبعدها يكون رحيله واجباً.

مرت ثلاثة أيام وإيجوس يكد ويعمل فى توسيع الكوخ يساعد العجوز فى جمع الحطب ويذهب إلى السوق فيبيع ويشترى.

وفى اليوم الثالث طلب من الرجل أن يزوجه ابنته فوافق الرجل لما رأى فيه من كرم الطبع وحسن الخلق.

مر شهر على زواج إيجوس فى هناء ومتعة.. ثم استأذن العجوز والفتاة بالرحيل وكتب وصية وضعها تحت صخرة طلب منهما ألا يفتحا هذه الوصية إلا بعد حول.. فإما أن يعود إليهم أو يذهبوا هم إليه.

مر عام ولم يعد الرجل إلى زوجته.. فذهبت وفتحت الوصية التى حوت هذه الكلمات.. إذا كان لى عندكم وديعة تركتها فى يد أمينة فضعيها بسلام وإذا كان غلام فسميه ثيذيوس وليشب فارساً وإذا ما صلب عوده وقويت سواعده فلينتعل حذائى الذى تركت وليمتشق سيفى الذى أهديت وليشد الرحال إلى أثينا ليكون ولى عهدى وصاحب التاج بعدى.

عرضت المرأة الوصية على أبيها فيكون ثيذيوس عرضة للهلاك أو الموت.

أرسل الجد ابنته وابنها إلى جبال الأنديز عند أخواته وكانوا يعيشون فى قبيلة تشتهر بالفروسية والصلابة والقوة فنشأ ثيذيوس فارساً مغواراً لايهاب الموت ولا يخشى الأهوال وتعلم فنون القتال ثم عاد وكان جده قد فارق الحياة فعرضت أمه عليه الوصية وعرف ما بها ولبس النعال وامتشق الحسام وسلك طريقه إلى أثينا.

استعدت أثينا لعيدها الرياضى السنوى وفيه يفد على أثينا أبطال من جميع البلاد والممالك المجاورة للمصارعة والمنافسة فى الألعاب الرياضية، وتبعهم أفواج وحشود للمتابعة والفرجة.. وعندها تلبس أثينا ثوب البهجة والأنس والفرحة.

كان رينوس ابن مينوس ملك كريت فتى يانعاً وشاباً مفتول العضلات بهى الطلعة، يحضر كل عام إلى أثينا ليشترك فى الألعاب والمنافسات الرياضية، وكان دائم الانتصار على شباب أثينا وبعد انتهاء دورة الألعاب يلف دروب أثينا

يحمل الميداليات الذهبية تزين صدره وسط الآثينيين من أهل البلاد والحشود الأخرى بعد أن يفوز فى المصارعة والملاكمة والعدو ورمى القرص والمبارزة والصيد والفروسية.

كان إيجوس يقلد رينوس الميداليات الذهبية وسط هتافات الأثينيين وقلبه يتمزق وحقده يتقد فى صدره فكم كان يتمنى أن يكون له ابن من قوة رينوس وهيبته، يرث عرشه ويحمى ملكه ويهتف له الأثينيون بدلاً من أن يهتفوا لهذا الفتى الغريب الذى يخلب لبهم ويؤثر عقولهم.

خشى إيجوس من هذا الفتى الذى تزداد شعبيته ويعلو نجمه أن يطمع فى ملك أثينا فيزيله عن العرش، فدبر له مكيدة وأرسل بعض زبانيته يترصدونه ليلاً فى إحدى الطرق، انقضوا عليه وما تركوا فى جسده موضعًا إلا ونهشوه ولا عضواً إلا بتروه وتركوه تنهشه الضوارى والجوارح.

عرف مينوس ما حدث لابنه من بقايا جسده التى وصلت إليه وأخذ يلملم أشلاءه ووارها الثرى وسط أحزان الأب المكلوم والرعية الثائرة لمصرع خير شبابهم وولى عهدهم.

جيش مينوس جيشاً كثيفاً وأسطولاً عظيماً لا تنقصه الحماسة والرغبة فى الانتقام، وصلت أخبار الحشود إلى إيجوس فأغلق البوابات وخفر الأسوار واعتصم الأهالى والرعية خلف أسوار القلاع واستعد الجميع للدفاع عن بلادهم.

لاحت فى الأفق أشرعة السفن العملاقة، وارتعدت أثينا تحت وطأة صيحات الانتقام وطبول الحرب وموجات الجند التى أخذت تحتل الشواطئ والسهل الواسع، وطوقت الأسوار ونصبت الخيام إذاناً بحصار طويل بجيش كالجراد لا أول له ولا آخر فألقت الرعب فى قلوب الآثينيين.

أثينا المدينة الزاهرة وهدية الآلهة إلى فينوس وعروس البحور وسيدة البلاد، صارت محاصرة وقد نهبت حقولها وخربت ضياعها واقتلعت ثمارها وأصبحت تحت إمرة مينوس الملك الغاضب.

طال الحصار وقلت الأقوات وضجت الرعية وانتشرت الأمراض والأوبئة وما كان أمام إيجوس إلا احد أمرين، إما الموت جوعاً ورعباً قابعاً ذليلاً خلف الأسوار هو ورعاياه، وإما الخروج من ساحة الموت فهو يعلم أنه لا قبل له ولا يملك جنوداً يمكنهم دفع هذا البلاء الذى جلبه على نفسه وشعبه بفعلته الشنعاء التى جعلته لا يمكنه الاستنصار بأى قوى خارجية.

استشار كبير كهنة معبد فينوس الذى أخبره بضرورة تقديم القرابين ونحر الذبائح حتى يمكنهم سماع قضاء الآلهة فى رفع هذا البلاء عن أثينا.

كان قضاء الآلهة مراً كالعلقم، فقد أشار بضرورة الانصياع لما يريد مينوس ليكفر به أيجوس عن فعلته والويل لأيجوس إذا فكر فى محاربته.

أرسل إيجوس رسولاً إلى مينوس للوقوف على مطالب الكريتيين ويعرض عليه الصلح، وفك الحصار.

كان قتل رينوس ابن الملك مينوس غيلة وغدراً وفى دروب أثينا وتحت جنح الليل وبتدبير إيجوس الملك الآمر الذى جعل من مطالب الكريتيين وملكهم قاسية مذلة.

فقال مينوس لرسول أيجوس، لقد قتل الفتى الأعز والأمير الأغر والبطل الأشم الذى لا يعد له شباب أثينا ورجالها.. أما وقد ضربتكم الذلة والمسكنة وندمتم على فعلتكم فلتكن فدتكم عشرة من شباب أثينا وعشرًا من فتياتها ليكونوا طعاماً للمنطور وألفاً من الأنعام من الخيول النواصب وربع محصول الحبوب.. على أن تكون ذلك جزية تدع كل عام فإذا أذعن الملك لمطالبنا رحلنا عنكم ورفعنا عنكم الحصار.

كاد إيجوس يرفض هذه الشروط القاسية المهينة، ولكنه عجز عن مواجهة ثورة الشعب الجائع المريض، فطلبوا منه أن يرضخ لمطالب مينوس أو يسلم المدينة أو يكون دمه فداء هذا الشعب المنكوب.

قبل إيجوس صاغراً شروط مينوس ورحل الكريتيون عن البلاد بعد أن

زخرت سفنهم بالغداء المطلوب وبينهم عشر فتيات من أجمل الأبكار الأثينيات وعشرة فتيان من ريعان الشباب على موعد فى العام القادم للوفاء بالجزية المتفق عليها.

باتت آثينا تتشح بالسواد زمناً وهى خاضعة وكل بيت يخشى على أبنائه وبناته الذين سيأتى عليهم يوم يكونون فيه طعاماً لذلك المنطور الذى لا يعرفون له هوية ولا شكلاً غير أنه غول من الغوابر أو وحش من الضوارى.

كان ثيذيوس فى طريقه إلى أثينا قد قابل كثيراً من المخاطر والمجازفات تمكن مس خلالها من القضاء على بعض الضوارى الشرسة والمجنحات القاتلة وخلص إحدى الأميرات من أسر عصابة من قطاع الطرق ورافقها حتى عادت إلى أبيها عزيزة مكرمة فطلب منه أبوها أن يزوجه ابنته على أن يبقى معهم يزود عن بلادهم ويدفع عنهم الشرور، إلا أنه أبى ذلك ورحل فى اتجاه أثينا، وبلغ هذه المغامرات رسول سبقه إلى آثينا الأمر الذى جعل المدينة كلها فى استقباله عندما وطأت قدماه البلاد.

دخل ثيذوس أثينا والحزن يخيم على البلاد والوجوم على كل الوجوه والبؤس والشقاء يخيم على كل بيت.

دخل ثيذوس قصر الملك فوجد الملك مهموماً يفكر فى الجزية التى حان أوانها، شعر أيجوس بوقع أقدام حراس القصر فرفع بصره ينظر ملياً فى الفتى الذى يتوسطهم.

شاب مفتول العضلات ممشوق القوام وسواعد فتية ووجه صارم وعيون تقدح شجاعة وعزم.. أمعن إيجوس النظر فعرف نعاله وتعرف على سيفه، فقفز عن عرشه يضم الفتى ويقبله.

ابنى العزيز لماذا تأخرت بك الأقدار ولم ترسلك الآلهة قبل أن أقدم على فعلتى الحمقاء وكنت رفعت عن كاهلى هذا الهوان وتلك المذلة.

لقد عرفت ما حل بك والجزية المفروضة على أثينا وأعرف أن ليس لديكم

القدرة على مواجهة الكريتيين ولكنى مستعد لأن أكون أحد الفتيان الذين هم طعمة للمنطور.

- لا يا بنى لن تحمل عنى لعنتى وتكون ضحية حمقى وعبثى، فقد أمضيت سنوات لأراك وليكون لى ولى عهد يرث ملكى ويجلس على عرشى وقد وهن العظم منى وصرت إلى الموت.

- أى ملك يكون مخضباً بدماء الأبرياء وأى عرش يكون بالمذلة والهوان وكيف يكون الحكم والرعية بضربهم سوط الجوع وتنتشر فيهم العلل.. وقد يكون ذهابى معهم والتضحية بى فيه بعض العزاء لهذا الشعب البائس الذليل.

رفض الملك طلب ولده فزاد ذلك من إصرار الفتى الذى قال: إن لم أذهب معهم فسيكون الموت لى شرفاً وقبل أن ترحل السفن حاملة ضحايا قسوتنا واستبدادنا لأكون قرباناً عليها لمن هم أهلى وعشيرتى.

ذرف الأب دموع الأسى والحزن على فراق ابنه الذى طالما انتظره، وها هو يفقده ويبعث به إلى ساحة الموت والردى دون رجعة.

كان ثيذوس مؤمناً بما وهبته الآلهة من قوة وجلد وعزم شديد وشجاعة فى مواجهة الأخطار ومصارعة الموت، وقد صمم فى قرارة نفسه أن يواجه هذا المنطور فإما أن يصرعه ويقتله ويعود مرفوع الرأس وينقذ أثينا من هذا الهوان ويكون جديراً بالملك وإما أن يموت فداء له.

كان الملك ورهط كبير من الرعية فى وداع السفينة وهى تغادر شواطئ أثينا محملة بالجزية وفلذات الأكباد من خيرة شباب أثينا الذين سيصبحون بعد أيام طعاماً للمنطور الخبيث.

وكان الفتية والفتيات وقد أصابهم سهم الموت يرتجفون والسفن تلاطم الأمواج وهم يتمنون أن يبتلعهم البحر الذى سيكون بهم أرحم من الموت نحراً وذبحاً ونهشاً، إلا ثيذيوس الذى كان قد عبر البحار بخياله وقد صرع المنطور وقضى عليه.

على شواطئ كنسوس كانت جموع غفيرة فى انتظار الغنام والجزية، ولترى أولئك الشبب الذين سيقدمون للمنطور بدلاً من أبنائهم وكأنوا مع ذلك يشعرون نحوهم بالأسى والحزن.

وكانت بينهم فتاة غضة الإهاب، يفور فى وجهها دم الشباب وعلى جسدها أمارات الفتنة الطاغية نظرت إلى الفتيات البائسات والفتية المرتعدين، فعرفت فيهم الشاب ثيذيوس ذلك الفتى الذى أنقذها من الأسر وفداها بنفسه وروحه، فغشى عليها وما أفاقت إلا فى قصر الملك الذى أخذ يسألها عن السبب وعلى وجهه الذعر والخوف.

أخبرت الفتاة أباها عن الفتى الذى أنقذها ورعاها حتى وصلت إلى خدرها آمنة مطمئنة والذى بعد سويعات سيكون طعماً للمنطور.

أرسل الملك فى طلب الفتى ثيذيوس فمثل بين يديه وفى حضور الغادة الهيفاء وطلب منه البقاء معهم وذكره بعهده بأن يكون زوجاً لابنته وأنه سيرسل بدلاً منه فتى آخر.

رفض ثيذيوس طلب الملك وابنته وصمم أن يكون بين رفاقه ولابد له من مواجهة هذا المنطور ليخلص البلاد والعباد من شره وتركهما وعاد إلى حيث رفاقه.

ذهبت الفتاة إلى غرفتها تبكى وتولول على هذا الحبيب الذى يساق إلى نحره وهى غير قادرة على إنقاذه.

هرعت الوصيفة نحو أميرتها تكفكف دمعها وتهدئ من روعها.

أرأيت ذلك الفتى الذى بت أحلم به ليالى يؤرقنى السهاد ويضنينى العذاب أرأيته وهو مقدم على الردى بقلب جسور وقد استحيت صفرة الموت أن تعلو وجهه.. أرأيت عينيه وقد ملأتها زرقة السماء وشعره المسترسل على منكبيه كشعاع الشمس مضيئاً ولا لن يكون هذا الفتى طعاماً لذلك المنطور.. ولكن كيف؟ كيف أنقذه وأبعد عنه الشرور؟

قالت الوصيفة وقد عرفت أن الأميرة قد شغفها حب القتى: يا سيدتى إنه متفتح كالزهرة وإنه الجدير بحبك وخليق بك ويحتاج منك العون والمساعدة.

كيف وأنا أقف مكتوفة الأيدى لا حول لى ولا قوة.

إنه بادى الشجاعة موفور القوة وقد رأيت سيفه الذى لم أر مثله من قبل، فلا يجرده والدك الملك منه وأنا أعرف حارس اللابيرنت الدهليز المؤدى إلى وادى المنطور، فلتذهبى إليه وتأمريه بأن يفلت الفتى فيذهب إليه فى جوف الليل ويأخذه على غرة ويتمكن منه.

ولكن دهاليز اللابيرنت إذا ذهب منها فلن يعرف طريق العودة وإن لم يمت صريع المنطور سيموت صريع متاهات ذلك الدهليز الذى يمتلئ بهوات سحيقة ومنعرجات كثيرة وشعاب خطيرة.

لا أهون من ذلك ولا أسهل.. فما علينا إلا صنع حبل من الكتان يمسك هو بطرفه ونحن بالطرف الآخر فيكون فى ذلك عوناً له فى ذهابه وإيابه.

طارت الأميرة من الفرحة لما سمعته من حسن تدبير وصيفتها فقبلتها ووعدتها بسخاء إذا نجحت فى خطتها وعاد إليها حبيبها سالماً.

عرف الملك ما دبرته ابنته ووصيفتها فأقرهما على ذلك واستدعى الفتى ثيذيوس ودججه بالسلاح وأمسك هو بطرف الحبل.

سلك ثيذيوس طريق اللابيرنت ودهاليزه محترزاً موطئ أقدامه حتى وصل إلى فوهة مغطاة بالعشب فتخللها فإذا بالمنطور يغط فى نومه مطمئناً فعرج على أحد الكهوف يصدر منه أنين فوجد بعص الفتية والفتيات مقيدين بسلاسل.. أسرع ثيذيوس وفلك قيدهم وطلب منهم الفرار.

فر بعضهم وطلب آخرون الانتظار معه لمواجهة هذا الوحش الضارى.

نظر ثيذيوس فوجد المنطور برأس إنسان ويداه ونصفه الأسفل جسد تنين بذيله الطويل يتوسد صخرة ويتكئ أخرى.

اقترب ثيذيوس ورفاقه فأحكموا قيد قدميه الخلفية وشدوا الوثاق على ذيله، فشعر المنطور وهب ليقف على قدميه المقيدتين فاختل توازنه وسقط على الأرض فما كان من ثيذيوس إلا أنه امتشق سيفه بسرعة وهوى على عنقه ففصل الرأس عن الجسد، وترك المنطور جثة هامدة ودماؤه تسيل تشرب منها الرمال وترتوى.

قطع ثيذيوس الحبل الذى يربطه بالملك فما عاد فى حاجة إليه وعاد ورفاقه جميعاً من الفتية والفتيات من دروب الغابة التى عرف مسالكها.

أقيمت الأفراح فى كريت وأثينا وقدمت القرابين للآلهة وعمت البهجة وزاد السرور حين تزوج ثيذيوس من ابنة الملك مينوس وحل الوئام بين المملكتين وكان المنطور فداء لهما.

■ ■ ■

هـرقـل

لم تكن الربة «هيرا» زوجـة رب الأرباب «زيوس» على شىء من طيبـة القلب وحسن الخلق.. بل كانت عنيدة حقوداً سيئة الطباع، فأشقت زوجها حتى لم يعد يطيق الحـياة على عرشـه فى السمـاء وهـى إلى جواره، ووجد لذة فى أن يهبط إلى الأرض بين الحين والحين، فرارا من حقد زوجته، حيث يتخذ صورة مخلوق بشرى ويتجول فى الأرض باحثاً عن مغامرات غرامية.

وقابل فى إحدى مغـامراته «الكمينى» إحدى بنات البشـر فتزوجها.. وكان هذا الزواج أحـد أسبـاب الصراع الضخم بينه وبين هيـرا زوجتـه التى تشـاركه عرش أولمب.

لم تكره الربة هـيرا أحداً كمـا كرهت ذلك المولود الذى أنجبته الكمينى من الإله زيوس العظيم فلم تكد عينا هرقل الصـغيـر تتفتحـان على الحـياة، حتى انطلقت هيرا إلى ربات الحظ، تطلب منهن أن يقطعن خيط حياته.

وكانت الربة هيـرا أقرب زوجات زيوس إليه وأقواهن ـ تعلم أنها ستنتصر فقد كانت عزيزة على الربات الثلاث «كلوتو» ناسجة خيط الحياة و«لاخسيس» مقسمة الحظوظ، و«أنروبوس» الموكلة بقطع الخيوط التى تنسجها «كلوتو».

إلا أن زيوس العظيم كان يملك متى أراد أن ينقض حكم كل الربات، فعجزن عن القضـاء على الوليد الذى كان مقدراً له أن يعيش، وأن يختـار كل المخاطر والأهوال، ولم يكن أمام الربات بعد ذلك لإرضاء صاحبتهن، إلا أن يجعلن حياته كلها مشقة ونصباً وإجهاداً!.

وبدأت متاعب هرقل وهو لا يزال فى المهد. فبينما هو راقد ذات يوم، أطلقت عليه الربة هيرا أفعوانين هائلين ليفتكا به، وانقض الوحشـان على الطفل، والتفا

حول جسده، وكاد ينفشان سمومهما.. إلا أن الصغير الذى وهب قوة لم توهب إلا للآلهة، أطبق على عنقيهما بقبضتين جبارتين، وأخذ يضغط عليهما فى قوة وعنف حتى احتبست أنفاسهما. وهمدت الحياة فيهما.

وبهت كل من فى الدار وهم يرون الصغير يضحك وفى يديه أفعواتان لم ير مثل ضخامتهما أحد قط، ومنذ هذا الحادث آمنت «الكمينى» أم هرقل بأنه سيكون لابنها هذا شأن عظيم، وقررت من فورها أن تعده لحياة البطولة الخالدة التى كان قد قدرها له رب الأرباب.

ومرت السنون.. والصبى ينتقل بين أيدى معلمين يدربونه على القتال والصراع، وإصابة الأهداف، وقيادة العربات، ويلقنونه الغناء والإنشاد والعزف على القيثار.. إلى أن برع فى ذلك كله، وملأ صيته الآفاق، وبذ فتيان عصره من الأمراء والنبلاء، وأبناء الآلهة جميعاً!.

وذات يوم أخطأ الفتى وهو يتلقى دروس الغناء على أستاذه «لينوس» وأراد المعلم أن ينزل عقابه بالفتى المخطئ.. ولم يكد يمد إليه يده، حتى دفعه الفتى بيده دفعة جبارة ألقت به إلى الأرض جثة هامدة!

ولم يكن بد من أن يعاقب البطل الصغير على جريمته، فصدر الحكم بنفيه فى الجبال، حيث اضطر أن يمارس فنون المصارعة والقتال مع الوحوش، فازداد بذلك دربة وقوة، كما ازداد شهرة حين صرع بيديه أسداً كان يثير الرعب فى قلوب أهل «طيبة».

والتقى البطل الصغير، فى منفاه بامرأتين: «كاكيا» الآثمة، و«اريث» الفاضلة، وعرضت عليه كل من المرأتين أن تكون رفيقته ومرشدته وأغرته أولاهما بأن تمنحه الثراء والسلطان، ووعدته الثانية بأن تهبه القدرة على الكفاح والنضال، ونجحت تعاليم أستاذه «ردامنتوس» فوافق الثانية، فكانت قصة الكفاح الخالد الطويل.

فى ذلك الوقت كان «أمفتريون» حاكم «طيبة» فى صراع دائم مع أوركمنيوس

وأبلى هرقل إلى جانب «أمفتريون» بلاء رائعاً فى ذلك الصراع، فرأى الحاكم أن يكافئه على بلائه الرائع بتزويجه من ابنته الأميرة «فيجارا».

وعرف هرقل منذ ذلك اليوم، سنوات طويلة، معنى السعادة بجوار أخلص زوجة وأعز أبناء. ولكم تمنى أن تدوم هذه السنوات ولا تنتهى أبداً.. إلا أن هيرا الحانقة كانت لا تزال تلاحقه، فتسللت مسرعة من قمة الأولمب إلى حيث مضجع هرقل، ولمست جبهة البطل، وهو نائم، بأطراف أناملها، فإذا به يصاب بلوثة جعلته يتوهم أن كل من يحيطون به أعداء يضمرون له الشر، وإذا به يندفع دون وعى إلى غير هدف.. يطوح بيديه يميناً وشمالاً، ويردد صرخات مجنونة تثير الذعر فى كل من يصادفه، والويل لمن شاء له سوء حظه أن يعترض طريقه، حتى لقد هب ذات يوم من نومه فى ثورة مجنونة، وانقض على أبنائه ففتك بهم جميعاً.

وازدادت لوثة «هرقل» حتى كاد يقتل «أمفتريون» نفسه وأطلت عليه الربة أثينا من عليائها - وقد أحزنها جنونه، ومس شغاف قلبها - فهبطت إليه، وضربت رأسه بحجرها المقدس الكريم، فأذهبت عنه لوثته.

وأفاق الفتى، وقد عاد إليه عقله، واستعادت ذاكرته كل ما اقترفه من آثام، فاستبد به حزن عميق، ولم يعد يطيق الحياة بين قوم شهدوا محنته ولحقتهم لوثته، فلم يجد بداً من أن ينفى نفسه بعيداً عن العالم، وهام على وجهه شريداً، وظل يجوب الآفاق شهوراً.. حتى انتهى إلى معبد «دلفى» فاجتاز أبوابه وجثا على ركبتيه أمام المحراب يبكى ويتضرع للآلهة أن تهديه إلى ما يكفر به عن إثمه الكبير..!

وأسرعت «هيرا» إلى جوار «زيوس» فى محرابه على قمة الأولمب وهو يستمع إلى توسلات «هرقل».. وحين لمست منه انعطافاً إلى العفو عنه، لجأت إلى وسائلها الملتوية، حتى اضطرته إلى الحكم على الفتى بأن يخضع لسلطان، يوريسيثوس ملك أرجوس، وأن يمتثل لكل ما يكلفه من أعمال.

وشهد بقية الآلهة الأولمب ما كان، وعرفوا مدى الصعاب والمشاق التى سيلقاها الفتى من تنفيذ العقوبة.. فأسرع كل منهم يمد يد المعونة للبطل الفتى..

فمنحته الربة أثينا خوذة لرأسه، ووهبه «هرمز» سيفاً حاداً وأعطاه أبوللو سهماً وقوساً وأهداه بوسيدون جواداً، وسلمه هيفايستوس حذاء من نحاس.. حتى «زيوس» رب الأرباب نفسه، قدم له درعاً قوياً رائعاً.

كانت نفس «يوريسيثوس» مملوءة حقداً وغيرة.. ولطالما أذله وأثار كامن حقده، أن يكون أضعف قوة وأقل بطولة من ابن عمه «هرقل» الذى طبقت شهرته الآفاق، فقرر أن يستغل حكم الآلهة لإرضاء غروره، وإطفاء نار حقده بأن ينزل بالبطل الذى وضع تحت سلطانه بالرغم منه، كل ما يستطيع من أذى وبطش وملأت الربة «هيرا» رأسه أفكاراً عجيبة عن اثنى عشر عملاً من أشق الأعمال التى يمكن تصورها، وهى تعلم أن فشل هرقل فى أداء عمل واحد منها، قد يؤدى به إلا الهلاك.. وهو ما كانت تريد!

وجلس يوريسيثوس فوق عرشه، ومن حوله أضخم رجال حرسه وأقواهم، فى انتظار وصول هرقل وكان جل همه أن يسخر بشجاعة البطل ويهزأ به أمام الجميع.. إلا أنه لم يكد يرى هرقل بقامته العملاقة الرهيبة، وجسده الذى تهتز من تحته الأرض، داخلاً قاعة العرش، حتى ارتعش بدنه واضطرب وتجمدت أطرافه وأحس قلبه يكاد ينهار.. وتلاحقت أنفاسه فى رعب، وهو يحاول كبح جماح نفسه، واتجه إليه هرقل وقال فى غير وجل:

ـ أيها الملك... إن «زيوس» رب الأرباب وسيد جميع البشر جعلنى تحت امرتك وقد جئتك ملبياً أمره، ممتثلاً لمشيئته، لأنجز كل ما تكلفنى من أعمال.. فاطلب ما تريد تجدنى رهن أمرك وطوع إشارتك.

وأجاب يوريسيثوس وهو يجهد أن يثبت صوته المرتعش:

نعم يا ابن العم.. إنك لتعلم أن إرادة «زيوس» هى إرادة الآلهة جميعاً، وأن أوامره تسرى على الجميع، صغيراً وكبيراً، وغنياً وفقيراً.. وإنى لذلك مضطر أن أكلفك مهامًا شاقة ينبغى أن تقوم بها. إلا أنى سأحاول أن تكون هذه المهام سبيلك إلى الصيت والشهرة والمجد وأول ما أطلبه منك أن تقضى على أسد

«نيميا» الذى يختبئ فى غابة أرجوس، والذى يقطع الطريق على الجميع، ويثير الرعب والفزع فى قلوب أهل البلاد!

واحنى هرقل رأسه فى هدوء وثقة، ودار على عقبيه، واتخذ طريقه إلى غابة نيميا، لتنفيذ أوامر «يوريسيثوس».

اخترق هرقل منحنيات غابة نيميا، بحثاً عن الأسد الذى أقض مضاجع أهل أرجوس ولم يكن يشعر بشىء من الخوف أو الرهبة.. فقد سبق أن قتل أسد «طيبة» بيديه فى غير مشقة أو جهد كبير، ومن أجل ذلك ضحك البطل ساخراً عندما دوى فى سمعه ذلك الزئير المروع، الذى هز الغابة، ونبهه إلى الجهة التى يكمن فيها الليث الكاسر، وكان الليث قد أحس اقتراب عدوه، فانتفض وكشر عن أنيابه، وأطلق زئيره الرهيب، كأنه أمواج صاخبة تلاطم الصخر الصلد فى بحر عريض.

وثبت هرقل أمضى سهامه فى قوسه، وشد القوس بقوة، فانطلق السهم فى سرعة وعنف، ولكنه لم يصب الأسد فى جنبه، بل انزلق على جلده السميك، بعد أن انكسر طرفه، وثار الأسد للعدوان المفاجئ، فالتفت إليه، وتوثب لهجوم عنيف، وأسرع هرقل إلى سهم آخر أطلقه كبرق خاطف، غير أنه تهشم وسقط على الأرض، دون أن يصيب الأسد بأدنى ضرر.. وفى لحظات كان الأسد الغاضب قد وثب عرضاً، واستعد للانقضاض على عدوه الرهيب، وملأت نشوة القتال قلب هرقل، فاستعد له.. وقبل أن ينقض عليه الأسد، كان هو قد أسرع فأهوى على رأسه بهراوته الثقيلة ذات البروز، وترنح الأسد الضخم، إلا أنه احتمل الضربة، وإن جعله الإعياء يهرب فى تثاقل وبطء إلى داخل الأحراش.. انقضت تلك الليلة، وكانت الجولة الثانية فى الليلة التالية.

وفى هذه المرة انقض هرقل فى قوة بهراوته على رأس الليث، ولم يترنح الأسد، بل وثب فى دفاع خاطف على عدوه، وتلقاه هرقل بذراعين مفتوحتين تزخران بالعنفوان والقوة، بعد أن ثبت قدميه العريضتين فى الأرض، وطوق عنق الأسد فى عنف جبار، وتخللت أظفاره لبد الأسد لتنشب فى عنقه وحاول الأسد التخلص من القبضة الهائلة، وأخذ يدور بجسده فى صخب، وحمى القتال

الرهيب، وملأ الزئير المزعج جو الغابة.. إلا أن ذراعى هرقل وأصابعه كانت كحلقة من فولاذ يشدد بها الضغط على عنق الليث، حتى اختنق فانهار فى النهاية. وسقط على الأرض جثة هامدة لا حراك فيها.

وحمل هرقل جثة الأسد بعد أن شق جلده وارتداه. وراح يخترق شوارع أرجوس فى طريقه إلى قصر الملك، والتف الناس حول البطل يحيونه فى حرارة، ويصفقون له، ولم يهتم هو بشىء من ذلك، قدر اهتمامه بأنه أتم أحد الأعمال التى عليه أن ينجزها ليوريسيثوس العنيد.

ودخل هرقل قاعة العرش، حيث يجلس الملك، ورفع جثة الأسد بيديه. وأخذ يؤرجحها بقوة، ثم ألقى بها بين قدمى «يوريسيثوس».

وروع الملك.. وقبل أن ينهض مسرعاً من القاعة، أصدر أوامره بعدم السماح لهرقل قط، إذا عاد من إنجاز أى مهمة باجتياز أبواب المدينة، بل عليه أن يقف خارج الأسوار ويقدم تقريراً بما قام به.

وهز هرقل كتفيه بلا مبالاة، ومضى منصرفاً، وهزهما مرة أخرى فى سخرية عندما أبلغ بالمهمة الثانية التى عليه أن يتمها.. وكانت القضاء على «وحش ليرنا».

وكان وحش ليرنا أفعواناً ضخماً له مائة رأس، اتخذ من مستنقعات ليرنا مأوى يعيش فيه لا يغادره إلا للبحث عن فريسة ولم يتمكن أحد قط فى بلاد اليونان من القضاء على هذا الوحش الرهيب، الذى كان كلما بتر له رأس برز مكانه رأسان جديدان. وهكذا كانت رءوسه تزداد عقب كل محاولة لقتله. ويزداد معها الوحش ضراوة وعنفاً.

وانطلق هرقل إلى المستنقع الرهيد.. ولم يكد يقترب منه حتى أبصر رءوس الوحش تتموج فى الهواء، فاغرة أفواهها وتنطلق من ألسنتها زفرات من نار.. ووقف هرقل عند حافة المستنقع وأمسك بقوسه وأرسل منها فى لحظات سرياً من السهام القاتلة، أصاب كل منها أحد الرءوس البارزة، فوجئ هرقل بالرءوس يزداد عددها، فما كان من وسيلة إلا أن يهاجم الأفعوان بهراوته ليسحق الرأس

دون أن يبترها، فأخذ ينهال بضربات هائلة عنيفة سريعة على الرءوس الرهيبة، إلا أنه لم يحرز نجاحاً قط، خاصة حين لجأ الأفعوان إلى الاختفاء فى مياه المستنقع.. ولم يجد هرقل بداً من أن يؤجل مهمته بضع ساعات.

وفكر هرقل فى وسيلة يقضى بها على الأفعوان.. ولما اهتدى إليها انطلق إلى حداد صنع له قضيبين من حديد، لكل منهما طرف عريض، وأشعل على حافة المستنقع نارا قوية، ووضع طرفى القضيبين فيها حتى توجها.. وكان قد طلب إلى تابعه أن يسرع خلفه بأحد القضيبين فكلما بتر رأساً من رءوس الأفعوان، أسرع التابع فكوى مكان الرأس المبتور بالحديد المحمى قبل أن يظهر الرأسان الجديدان.

ودام القتال الرهيب يوماً كاملاً، ولم تنبت للوحش فى هذه المرة رءوس أخرى، بل راحت الرءوس تتناقص، والقضيب المحمى لا يدع فرصة لخروج غيرها.. حتى سقط آخر رءوس الأفعوان، وغمر دمه سطح المستنقع كله، وأسرع هرقل وهو يعلم أن ذلك الدم سم زعاف ـ فغمس أطراف بعض سهامه فيه، لتصير مسمومة لا يبرأ من جرحها مخلوق.

وانتهت المهمة الثانية.. لتبدأ مهمة شاقة جديدة، فقد كان على هرقل أن يأتى بالغزال الأركادى المقدس حياً، ويقدمه ليوريسيثوس...!

وكان غزال أركاديا المقدس ذو القرون الذهبية والحوافر النحاسية معبود أرتيميس ربة الصيد، التى منحته سرعة فائقة، فلا الخيل تلحقه، ولا الريح تسبقه.

وتذكر هرقل الحذاء النحاسى، الذى كان هيفايستوس إله الكفاح قد منحه إياه، فلم يجد إلا هذا الحذاء عوناً له على السباق الرهيب الذى كان عليه أن يؤديه حتى يستطيع اللحاق بالغزال العجيب!

والحق أن السباق كان سباقاً رهيباً عجيباً.. إنه سباق بين حذاء نحاسى مقدس، وحوافر نحاسية مقدسة.

وفى هذا السباق الغريب، كان النحاس يحدث رنيناً هائلاً فوق الحقول وممرات الجبال، وظل الرنين يملأ أجواء الأرض، أياماً وأسابيع وأشهراً..

والغزال يمرق هارباً فى سرعة عجيبة، وهرقل خلفه مطارداً يجتازان الجبال والوهاد، ويعبران البحار والمحيطات.. حتى قاما بدورة كاملة حول العالم وعادا ثانية إلى بلاد اليونان!

وكان الغزال قد أصابه التعب، فأبطأت حركته وهدأت سرعته وأخذ هرقل يقترب منه رويداً رويداً.. حتى بلغه وحين هم بالقبض أحس بالأرض تميد به وسمع من خلفه صراخاً رهيباً لم يكد يلتفت إليه، حتى وجد الربة «أرتيميس» وراءه، غاضبة مزجرة تصرخ فيه:

- أأنت الذى تحاول خطف معبودى؟! أتعلم أننى لو شئت لأرديتك بأحد سهامى؟

وخر هرقل ساجداً تحت قدمى الربة وتضرع إليها قائلاً:

أيتها الربة.. إننى لا أتبع غزالك من تلقاء نفسى، ولكنها مهمة أمرت بإنجازها إرضاء لزيوس رب الأرباب، ولست أريد بالغزال سوءًا، وإنما على أن آخذه حيًا إلى «يوريسيتوس» ومتى قدمته إليه انتهت مهمتى، فأعيده إليك فى سلام انحنت الربة وأخذت تداعب عنق الغزال المجهد وتربت عليه، ثم اتجهت إلى عينى هرقل فأبصرت فيهما الصدق، وتذكرت أنها لم تقدم إليه أى عون يوم صدر الحكم الغاشم ضده، فقررت أن تعينه فتسمح له بأن يأخذ الغزال إلى يوريسيثوس على أن يعيده إليها سالماً بغير جراح.. وقد كان.

وأتم هرقل مهمته كما أمر، ثم أثار الرعب فى قلب الملك، حتى استسلم وتخلى عن الغزال بعد أن كان قد صمم على الاحتفاظ به وعاد الغزال الأركادى المقدس حراً، يجرى، ويلعب.. ولا يستطيع أحد قط الاقتراب منه!

ثم كانت المهمة الرابعة أمام هرقل أن يأتى للملك بخنزير أريمانثوس.. حياً!

وكان الخنزير الضخم يعيش بالقرب من جبل أريمانثوس بأركاديا مثيراً الرعب فى قلوب الأهالى الذين هجروا أراضيهم، وتركوه يعيث فيها تخريباً وإفساداً دون أن يجرؤ واحد منهم على التعرض له خوفاً من بطشه الرهيب.

وكأنما أدرك يوريسيثوس أن فى مقدور هرقل أن يقتل هذا الوحش الهائل.. ومن أجل ذلك لم يترك له الفرصة للقضاء عليه، فكان أمره بأن يحضره إليه حياً. حتى يكلف هرقل من المشقة والنصب ما قد يؤدى به إلى التهلكة!

وانطلق هرقل إلى حيث يكمن الخنزير الوحشى، ومعه كلاب صيد كثيرة يستعين بها على مطاردته ليجهده، ويتمكن من القبض عليه حياً.. وأحس الخنزير بكثرة أعدائه من الكلاب، فخرج من مكمنه، وأخذ يصعد سفح الجبل.. والكلاب من ورائه، وهرقل فى أثرها، يتتبع آثار أقدام الخنزير، وكلما استمر الخنزير فى صعوده، اختفت آثاره بسبب الجليد المتساقط على أعالى الجبل.. الذى كان عائقاً لهرقل وكلابه عن التقدم السريع.

ومضت الأيام والأسابيع، والخنزير لا يزال مندفعاً فى جريه صاعداً، وهرقل وكلابه يتبعونه، والتعب قد أدركهم جميعاً، وكادوا يسقطون صرعى الإجهاد والإعياء.

واضطر هرقل آخر الأمر إلى التوقف، وأخذ يفكر فى وسيلة يصل بها إلى غايته.. واقتنع وهو يدبر الأمر، أن من العبث الاقتراب من الخنزير ومصارعته بيديه، لما لهجماته من عنف وضراوة، وما لأنيابه من حدة وقوة، كما أن من العبث متابعته، ومحاولة إمساكه على أرض صلبة، يستطيع أن يصول فيها ويجول، وأدرك هرقل أن سبيله الوحيد هو أن يدفع بالخنزير إلى أماكن جليدية، ذات مغارات عميقة يمكن أن يقع فيها، ويكون من السهل بعد ذلك الإمساك به حياً. ودبر هرقل الأمر، فأطلق كلابه خلف الخنزير بحيث تضيق عليه وتدفعه إلى الممرات العليا من الجبل.. واستمر الصيد والصائد فى مطاردة عنيفة خمس ساعات، أجهدت الخنزر وبلغ به التعب حداً بعيداً، فلم ينتبه إلى مغارة جليدية عميقة كانت تمتد هناك، فانكفأ على وجهه، وسقط فى الهوة صارخاً صرخة هائلة.

وكانت هذه هى الفرصة التى انتظرها هرقل طويلاً، فاندفع إلى حيث سقط الخنزير، وألقى عليه شباكه، حمل البطل صيده الرهيب، وسار فى طريقه حتى بلغ أبواب القصر.

وكان حارس الباب، حين وصل هرقل يغط فى نوم عميق، فتسلل البطل بحمله إلى الداخل، وولج باب قصر الملك، ثم واصل سيره حتى دخل إلى قاعة العرش حيث يجلس يوريسيثوس وكان قد ضاق ذرعاً بحمله الثقيل فألقى به من فوق ظهره وحل الشبكة التى تحيط به.

وحملق «يوريسيثوس» فى الخنزير الذى بدأ يثوب إلى رشده، وفوجئ الملك بالوحش يدور على عقبيه، ينفخ بمنخاريه استعداداً للهجوم.. وملأ الرعب قلب الملك فانطلق هارباً ومن خلفه الخنزير الثائر.. وهرقل يكاد يستلقى على ظهره من شدة الضحك ولم ينقذ يوريسيثوس إلا دخوله إحدى حجرات القصر وإغلاقها من خلفه بالمتاريس.

ومنذ ذلك اليوم ازداد حقده على هرقل، وقرر أن يبحث له عن مهام وضيعة حقيرة تحط من كبريائه مدى الدهر.

وهكذا.. وجد هرقل نفسه مكلفاً بالمهمة الخامسة، وكانت تنظيف زرائب أوجياس «أمير «أوليس».

والحق إن هذه المهمة كانت أحقر المهام التى كلف بها هرقل.. فقد كانت زرائب أوجياس التى تقع على جبل أوليمبوس، تضم قطيعاً من الثيران، يتجاوز عددها ثلاثة آلاف رأس غير بضعة آلاف أخرى من الماعز.

ومرت سنون تجاوزت الثلاثين والحظائر مهملة لا تنظف قط.. حتى انبعثت منها روائح كريهة، وتراكمت تلال الروث فوق التربة فأفسدتها، وتآكلت أخشاب الحظائر، وانهار سقفها وحوائطها.

وعجب هرقل وهو ينظر إلى هذه الحظائر الواسعة، من تصميم يوريسيثوس على أن يتم تنظيفها كلها فى يوم واحد.. ولكنه مع هذا أخذ يفكر طويلاً، وهو يصعد التل إلى حيث يقع قصر أوجياس وتقدم منه وقال له:

أى أوجياس. أنا قادم إليك بأمر من زيوس لأنظف حظائرك، وأزيل أقذارها!

وضحك أوجياس ساخراً وقال:

ولكن هذا أمر فوق طاقة البشر. فقد كلفت مائة من أشد رجالى القيام بهذا العمل، وظلوا يعملون شهراً، وكانت النتيجة هى ما ترى، أصبحت الزرائب أقذر مما كانت.

وضحك هرقل وقال:

ولكنى أراهنك على أن أقوم بهذا العمل فى يوم واحد.. فكيف تكافئنى إذا اديت المهمة بنجاح؟

وأجاب أوجياس: لأعطينك عشر ما أملك من ماشية وأغنام عن طيب خاطر ووافق البطل، ثم قال لأوجياس:

إذن مر رعاتك بأن يخرجوا كل ما فى الحظائر من ثيران وماعز بعيداً عن الوادى فإن الأرض ستهتز وأنا أقوم بتنظيف الحظائر دفعة واحدة.

ولم يكن هرقل كاذباً فيما قال.. فقد انطلق، وبيده معول ضخم، إلى بقعة كان قد اختبرها جيداً على جانب نهر بنيوس الصغير، وأخذ يضرب بمعوله لتحويل مجرى النهر إلى سفح التل حيث تقع الحظائر وانحدرت مياه النهر انحداراً عنيفاً إلى أسفل، مكتسحة أمامها فى سرعة عظيمة مزمجرة.. كل شىء، حيث تصب آخر الأمر فى مجرى نهر قديم كان هرقل قد اكتشفه فى بطن الوادى.

وأخذ هرقل يضحك مقهقهاً وهو يرى المياه الجارفة تكتسح الأقذار من الحظائر فى لحظات وعندما اطمأن إلى أن كل شىء قد تم كما يريد.. عاد من جديد يضرب بمعوله فى قوة هائلة، فسد الثغرة التى كان قد فتحها فى شاطئ نهر بنيوس وعندما نجح فى وقف فيضان النهر أنطلق إلى أوجياس وطالبه بالمكافأة ولكن هذا رفض قائلاً: إن النهر هو الذى قام بعملية التنظيف وليس هرقل! فسكت هرقل على مضض.. ثم انطلق عائداً إلى يوريسيثوس بعد أن قال:

فلتحذر منى يا أوجياس.. فإن عشر أغنامك التى منعتها عنى، لا تساوى مقعد عرشك الكبير.

وقد تحقق تحذير «هرقل» فلم تكد تمضى سنوات حتى ذهب لمحاربة أوجياس وقتله.. وضاع بذلك عرش أوجياس مقابل عشر ما كنت تضمه حظائره.

أثبت نجاح هرقل للجميع بطولته الخارقة وقوته التى لا تجارى.. ومع ذلك ظل يوريسيثوس مصراً على تكليفه بأعمال أخرى كثيرة شاقة. وكانت المهمة السادسة هى قتل طيور «ستيمفاليان» المتوحشة.

وكانت هذه الطيور التى تبنى أعشاشها فى جزيرة وسط بحيرة قريبة من ستيمفاليان ذات مخالب وأجنحة ومناقير من نحاس.. غذاؤها لحم الإنسان الذى تهاجمهم بمناقيرها المخيفة ومخالبها المروعة، حتى تقضى عليه. ثم تحمله إلى الجزيرة لتعيد الكرة مع غيره من البشر!

لقد كانت مهمة هرقل هذه المرة رهيبة حقاً.. غير أن الآلهة التى كانت تناصره، لم تتركه هذه المرة أيضاً فقد أطل هرقل أمامه، فإذا الربة منيرفا قادمة ومعها آلهة نحاسية لها صليل يثير الرعب فى القلوب، وعرف أن عليه أن يهز هذه الآلهة، فتنزعج الطيور وتخرج من أعشاشها، وعندئذ يتمكن من إصابتها وهى طائرة بسهامه السامة.

وفعل هرقل ما أمرت به منيرفا.. وخرجت الطيور منزعجة من أعشاشها، وصوب سهامه المسمومة إليها ولم يكن الأمر بالسهولة التى تصورها.. فقد كان عدد الطيور ضخماً لم يكد يسقط بعضها حتى تحولت نحوه سحابات كثيفة منها تهاجمه فى قسوة، وتحاول تمزيقه بمخالبها ومناقيرها.

وبدأ هرقل يتراجع ثم أخذ يضربها بهراوته ذات البروز.. وتراجعت الطيور قليلاً، ثم عاودت انقضاضها عليه فى قسوة رهيبة أيقن معها أنه هالك لا محالة.

وفجأة.. وقبل أن يستسلم رأى درعاً ذهبية تحول بين الطيور وبينه وسمع صوت الربة أثينا تقول له: أرسل سهامك يا هرقل وأنجز عملك الكبير فدرعى

تحميك وشجاعتك تستحق حمايتى.

وانتهت المعركة بالقضاء على طيور ستيمفاليان وعاد هرقل منتصراً إلى يوريسيثوس ليجد أمامه مهمة جديدة شاقة.. هى القضاء على ثور كريت.

كان هذا الثور منحة قدمها إله البحر «بوسيدون» لملك كريت، ليقدمها قرباناً فوق مذبحه إلا أن روعة جماله سولت للملك أن يقدم للقربان ثورا آخر، وأن يخفى هدية رب البحر فى أحد مخابئ القصر.

وأدرك بوسيدون ما كان من أمر الملك فثار غضبه، وقرر أن يصيب الثور بجنون مسعور ليكون لعنة على صاحبه، وأصبح الثور لعنة حقاً.. فقد أخذ يحطم كل شىء فى الجزيرة، ولم تعد تعوقه حواجز ولا أسوار ودب الرعب فى قلوب الأهالى.

وانطلق هرقل ليؤدى مهمته ولم يكن يحس ضيقاً بعمله فى هذه المرة بل لقد أحس أن العمل الجديد لن يكون شاقاً فمن السهل عليه أن يهاجم ثوراً مهما تكن قوته، وأن يمسك به ويكسر شوكته، ثم يعود إلى يوريسيثوس بالثور وقد صار وديعاً كالحمل، وعلى هذا النحو أتم هذه المهمة فعلاً.

ولعل هذا العمل الذى لم يجد فيه كبير مشقة، كان فرصة قصيرة حظى فيها بشىء من الراحة قبل أن يبدأ تنفيذ المهمة الثامنة.

كانت المهمة الثامنة إحضار خيول ديوميد إلى أسوار طيبة وكانت هذه الخيول خيولاً مفترسة تعيش على أكل لحوم البشر ويحتفظ بها فى تراقيا حاكم ظالم بالغ القسوة اسمه ديوميد كان يطلق هذه الخيول على قومه كلما أراد أن يتمتع بشىء من التسلية.

وأحس هرقل باحتقار شديد للحاكم الجبان، فأرسل إلى بعض أصدقائه الشجعان ليعاونوه فى مهمته وانطلقوا جميعاً إلى ديوميد» فانقضوا عليه واعتقلوه وقرروا أن يسقوه الكأس نفسها التى طالما سقاها للناس.. فألقوا به إلى خيوله التى أخذت تركله وتلعب به وتتقاذفه فيما بينها قبل أن تنهش جسده،

كما نهشت من قبل أجساد رعيته.

أما الخيول نفسها فلم يجد هرقل وصحبه بعد ذلك مشقة فى أن ينازلوها واحداً واحداً.. وكل منهم يحمل هراوة وأنشوطة. واستطاعوا بذلك أن يقودوها جميعاً إلى يوريسيثوس الذى أمر بها فألقيت على منحدرات جبل أوليمبوس حيث لا تخطو أقدام البشر.

ثم جاءت المهمة التاسعة..

كانت مهمة جديدة فى نوعها.. فقد كان على هرقل أن يحصل على زنار هيبوليت ملكة نساء الأمازون.

وكانت الأمازون أمة من النساء تقطن بالقرب من مكان شروق الشمس. وكن يمقتن الرجال، ولا يسمحن لأحد منهم بالنزول فى أرضهن. ومن أجل ذلك تدربن على حمل الرماح وقذف السهام، حتى برعن فى فنون القتال براعة فائقة.. لذلك أحس هرقل ثقل المهمة وإن أبى أن يتراجع عنها.

وألقى هرقل فى هذه المرة سلاحه إلى حين، وقرر أن يستعمل براعته فى العزف على القيثار، وطلاقته فى الحديث الرقيق، والعبارات الخلابة، وهى مؤهلات تجذب النساء.. خاصة إذا كن قد سمعن عن المعجزات البطولية التى حققها هرقل.

وهكذا.. لم يجد هرقل أية صعوبة فى الدخول إلى بلاد الأمازون، بل ولم تمض ساعات حتى دعته هيبوليت إلى قصرها، وعرض تعليه صداقتها وحبها ودخل هرقل بهو القصر الذى ترابط أمامه حارسات مدججات بالسلاح.. كلهن فتيات فارعات القوام، تتوثب أجسامهن حيوية وقوة وشباباً.. أطل هرقل أمامه، فإذا هيبوليت تنتظره فى ثوب رائع من نسيج ذهبى، وشعرها مسترسل فوق كتفيها، يلتف حوله زنار مرصع بالجواهر النفيسة التى لم ير مثلها قط فى بلاد اليونان.. وابتسمت هيبوليت وهى تستقبل هرقل مرحبة:

مرحى بك أيها البطل المغوار.. لقد بلغتنى أنباء أعمالك الخارقة، وشجاعتك

الفـائقـة، وانتصـاراتك فى كل الميـادين.. من أجل ذلك لن أحـملك مشـاق جديدة لتمكن من الانتصار على هيبوليت.. فاخذ بيد الصداقة ما لا يمكن أخذه بالقوة وها هو ذا زنارى الذائع الصيت، أهدى إليك طوعاً واختياراً.

وانحنى هـرقل وقـدم لأول مـرة خـلال المهام الشـاقـة التى كلف بها، فـروض التبجيل والاحترام للملكة التى تنازلت بمنحه زنارها العجيب.

وعـاد هـرقل منتصـراً وقـدم الزنار إلى يوريسيـثوس الذى لم يفـرح للزنار الذهبى، قدر ما أغضبـه ذلك النصر السهل، الذى أحرزه هـرقل بغيـر مشقـة أو جهد فقرر أن تكون مهمته العاشرة عملاً شاقاً رهيباً.

ومن ثم أمـره بالرحيل إلى قـادش للقضـاء على الوحش جـيـريو والاستـيـلاء على ثيرانه.

كـان جـيـريو هذا وحشـاً له ثلاثة أجسـام وثـلاثة رءوس وست أذرع يحـرس ثيرانه كلب عملاق له رأسان، يعدو بسرعة الريح، وعندما ينبح يهتز الفضاء كله!

ونسى هـرقل نفسـه وهو واقف على الشـاطئ يتـأمل جـيـريو وكلبـه ويضحك ملء شدقيه، وأحس جيريو باقتراب عدوه فمد أياديه الستة كلها وأمسك بصخرة هـائلة ثم رفعها وألقى بها دفعـة واحـدة على البطل، ولكن هـرقل تحـول فجـأة عن طـريقهـا، وألقى بنفسـه فى خفـة بين الأمواج ثـم اسـتـدار فى سـرعـة إلى قـوسـه وسهامه السامـة، وأطلق منها ثلاثة أصاب كل منهـا جسمـاً من أجسام جيريو فى مقـتل فـخـر مـضـرجـاً بدمـائه وصـوب سـهـمين آخـرين إلى رأس الكلب العـمـلاق فـسقط إلى جـوار سيـده.. ثم اتجـه هـرقل إلى الثـيـران فـجـمـعـهـا وسـاقـهـا إلى السفينة، وأقلع عائداً إلى يوريسيثوس.

وكـاد يوريسـيـثوس ينفـجـر غيظاً وحـقـداً لانتـصـارات هـرقل المتـواليـة، وذيوع صيته وخشى على نفسـه وعـرشـه من نفوذ هـذا البطل الذى أصبـحت تصـفق له بلاد اليونان كلهـا، فقـرر هذه المرة أن يرسله بعيداً جداً.. إلى أرض مـوحشـة تقـع عبـر المحيطات ليحضر له منها تفاحات الهسبيريديا الذهبية.

لم يكن هرقل يعلم مكان هذه الحديقة فراح يضرب فى مشارق الأرض ومغاربها، حتى التقى بحوريات على ضفة نهر فى إيطاليا قلن له: إن الإله العجوز «نيريوس» التى يسكن على شاطئ بحر إيجة هو الوحيد الذى يمكنه أن يدله عليها.

وانطلق هرقل إلى نيريوس.. إلا أن هذا رفض أن يرشده، وتحول فى الحال إلى جرادة سوداء، سرعان ما قفزت لتختفى من وجه البطل.. وانتبه هرقل ومد يده بسرعة وأطبقها على الجرادة فإذا بها تتحول إلى ثور ضخم تقهقر إلى الخلف قليلاً واندفع بقرنيه الحادين إلى هرقل.. فحاد هذا عن طريقه، والتف حول الثور، وقبض على قرنيه بيدين من حديد، ولوى عنقه بشدة خار لها الثور خواراً مروعاً ولم يحتمل وطأة الألم القاسى فعاد شيئاً فشيئاً إلى طبيعته الأولى.. ثم جثا أمام هرقل معلنا استعداده لإجابته إلى طلبه وأخبره أن يتوجه إلى جبل شامخ فى إفريقيا يجلس فوق قمته الملك أطلس الذى قضت الآلهة عقابا له منذ أزمان بعيدة، بأن يحمل السموات فوق كتفيه.

وتقدم هرقل إلى الملك الشقى، وعرض عليه أن يريحه من حمله ريثما يسترد قوته ونشاطه مقابل أن يحضر له تفاحات الهسبيريديا ووافق الملك على الفور، وانحنى هرقل قليلاً ،فنقل أطلس السموات إلى ظهره، وانطلق ليحضر التفاحات من حديقتها.

غاب الملك بضعة أيام.. تعمد أن يطيلها قدر إمكانه. وعندما عاد زعم لهرقل أنه استغرق الوقت كله فى البحث عن مطلبه وأراد الملك اللئيم أن يتحلل من اتفاقه، فأخذ يساوم هرقل فى أن يبقى حاملاً للسموات بدلاً منه، ويمنيه بالوعود والأمانى المعسولة.

كل هذا والبطل يعمل فكره للاهتداء إلى وسيلة تخلصه من المأزق الذى يحاول أن يوقعه فيه ذلك الملك اللعين.. والتفت هرقل إلى أطلس قائلاً:

إنه لشرف كبير ذلك الذى أغدقته علىّ بحمل السموات أيها الصديق وأى

فخر سيضيفه هذا الشرف على اسمى! لقد قبلت أن أبادلك إلا أن الحمل ثقيل لا أحتمل بقاءه فوق عظامى المجردة. فاحمله عنى قليلاً ريثما أحضر وسادة ناعمة من الريش تخفف عن وطأة الثقل وانحنى أطلس بسرعة من نشوة الفرح ووضع التفاحات جانباً وهو ينقل السموات إلى ظهره.. ثم أوصى هرقل بألا يغيب وإلا أصبح اتفاقهما منقوضاً.

ومد هرقل يده فاختطف تفاحات الهسبيريديا وانقبل عائداً إلى يوريسيثوس.

وبقيت أمام هرقل المهمة الأخيرة وكان يوريسيثوس قد أعمل فكره مدة غياب هرقل فى تدبير المهمة التى ستعصى على البطل، ويشق عليه أن ينجح فيها.. فيما لو عاد سالماً ومعه التفاحات.. واستقر رأيه أخيراً على أن يأمر بإحضار الكلب كروبيروس حارس أبواب العالم السفلى.

وكانت هذه المهمة شاقة حقاً، تفوق فى قسوتها ومشقتها المهام الإحدى عشرة السابقة كلها مجتمعة.

ومع ذلك انطلق هرقل إليها فى جرأة عجيبة واستخفاف ظاهر.. وصعد جبال أركاديا إلى النبع البارد الذى تنحدر مياهه إلى وادى نهر ستكس الذى يصب بدوره فى الوديان السفلية المجهولة.

وبالرغم من أن هرقل كان يعلم مدى عنف هذا النهر واصطخاب أمواجه فى قسوة نقل الحديد.. إلا أنه حزم أمره، وألقى بنفسه فى دوامة النهر الجارفة فحملته بأسرع من لمح البصر فى طبقة سفلية إلى أسفل منها.. حتى وجد نفسه خلال لحظات فى بحيرة ستكس.

وهناك على حافة البحيرة كان خيرون ناقل الأرواح الأزلى قابعاً إلى جوار قاربه المصنوع من لحاء الشجر مرسلاً بصره النافذ يتفحص القادمين لينقلهم إلى أغوار العالم السفلى، ولمح خيرون هرقل فتعجب من أمره وقال له:

أى ريح قذفت بك أيها الحى إلى هنا؟ ابتعد عن هذا المكان، فإن قاربى لا يحمل إلا الموتى!

فأجابه هرقل:

أنا هرقل بن زيوس رب الأرباب كلفنى أبى أن أنفذ أوامر يوريسيثوس التى تقضى بأن أعود إليه ومعى الكلب كروبيروس.

وهدأ روع خيرون واقترب بزورق الموتى من هرقل ودعاه إلى الركوب بجانبه.

ولم يكد الزورق يصل إلى الشاطئ الآخر، حتى قفز منه هرقل، واتجه صوب مدخل قصر بلوتو المظلم.. رب العالم السفلى.

وعلى أبواب العالم السفلى، ربض «الكلب كروبيروس» ذو الرءوس الثلاثة، وحين أحس بقدوم هرقل أخذ كعادته فى إرهاب الأرواح ينبح نباحاً أجش منكراً فى وحشية وقسوة ولم يعبأ هرقل وتقدم فى طريقه فى جرأة، أذهلت الكلب عن مهمته، فأخذ يتقهقر إلى الوراء كلما خطا البطل إلى الأمام.. حتى وصل الكلب إلى قاعة بلوتو فأقعى أمام ربه، وعيناه تحدقان فى القادم الغريب!

وكان رب العالم السفلى جالساً على عرشه الأبنوسى المرتفع وإلى جواره حبيبته برسيفون.. وحين أبصر بلوتو هرقل قادماً عبس فى وجهه وصاح فى غضب:

كيف تجرأت على دخول مملكتى أيها الحى؟

فأجاب هرقل فى قوة وترفع:

أنا هرقل بن زيوس أمرنى يوريسيثوس بأن آتيه بالكلب كروبيروس، حارس الأبواب.

وأدهشت هذه الجرأة بلوتو وقال متسائلاً:

أمجنون أنت؟ كيف تطلب منى أن أعطيك كلبى.. من إذن يحرس أبواب المملكة؟

فأجاب هرقل:

إنه أمر زيوس ولابد من تنفيذه.. لقد كلفت قبل ذلك إحدى عشرة مهمة فنجحت فى إتمامها جميعاً، ولم تبق أمامى سوى هذه المهمة الأخيرة.. وإن لدى

من الحراس عدداً كبيراً يستطيع أن يؤدى عمل كروبيروس وأظن أنه خير لك أن آخذ كروبيروس بدلاً من أهدم مملكتك على رءوس سكانها.

وانتفض بلوتو وأدرك أنه خير له أن يجيب طلبه فقال فى هدوء:

لا بأس.. خذ كروبيروس ولكنى أستحلفك أن تعيده إلى.

ومد هرقل يده وربت على ظهر الكلب الذى استكان له وقاده هرقل ومضى عائداً إلى عالم الأحياء إلى قصر يوريسيثوس.

وما كاد الأخير يرى الوحش حتى غاض الدم من وجهه، وصرخ فى رعب طالباً إعادة الكلب إلى عالمه.

وأحس هرقل لأول مرة وهو ينطلق عائداً إلى عالم الأرض - راحة غامرة وخاصة بعد أن رد كروبيروس إلى بلوتو.. وتنفس الصعداء حين بات حراً طليقاً وقد سقطت عنه عقوبة الخضوع ليوريسيثوس بعد أن أدى المهام الاثنتى عشرة بنجاح كبير.

■ ■ ■

أوديب

فوق قمة الأولب وفى مجمع الآلهة، جلس زيوس كبير الآلهة وهيرا زوجته وقد تجمعت الآلهة والأرباب يعاقرون الخمر، وقد بدا لهم البشر هذه المخلوقات الضعيفة دمى يتلاعبون بهم وبمصائرهم وأقدارهم حلو القتل واستباحوه والفسق وزنا المحارم أقروه.

وكانت طيبة وهى واحدة من المدن الإغريقية ذات التاريخ والشهرة الواسعة، مسرحاً لهذه الأسطورة التى وإن دلت فإنما تدل على عبثية الآلهة التى لجأ إليها البشر لتقيهم غضب الطبيعة وقواها العاتية وشرور الضوارى القاتلة والهواجس من الجان والغيلان.

تداول حكم طيبة أسرات وعائلات أشهرها أسرة لبداكوس ذلك الملك الذى أنجب لايوس الذى لم يهنأ بعرش طيبة وقضى شبابه منفياً بعيداً عن بلادهِ فترة طويلة، تعرف خلالها بلويس ونشأت بينهما صداقة وطيدة ولكنها لم تدم بعد أن غضبت الآلهة غضباً شديداً وأنزلت به لعنة أبدية.

بدأ لايوس يخطو أولى خطوة على طريق اللعنة، بأن عاد إلى طيبة ليستولى على الحكم ويستعيد عرش أبيه وتزوج من يوكاستى وهى البريئة من تلك اللعنة ولكنها مشيئة الآلهة أن تشاركه الأقدار القاسية.

عاش لايوس حياة سعيدة بعد أن استقر له الحكم وتنعم بزوجة حسناء مخلصة، فظن أن الآلهة قد غفرت له فعلته وغفلت عنه.

كان الملك يرجو أن يرى له ذرية ترث ملكه وتحمل اسمه وكانت الملكة تأمل بأن تقر عيناها بطفل جميل يعلن عن كمالها ويؤمن حياتها.

طال انتظار الملك والملكة لمولود يكمل سعادتهما ويزين حياتهما ويشيع فى

المملكة البهجة والفرحة، كان الملك يكتم شوقه والملكة توارى رغبتها وحاول كل منهما أن يعوض الآخر بأن أغدقا من الحب الكثير، ولكن هيهات أن تشفى عبارات الغزل وليالى الأنس والسحر تلك الرغبة المحمومة فى صدر لايوس لوجود سليل له.

ذهب لايوس إلى دلفى دون أن يعلم زوجته وقصد معبد أبوللون ليعرف ما تخبئه له الأقدار ويستطلع نبوءة الآلهة.. قدم القرابين وأخلص فى الدعاء ولان بالحراب المقدس يأمل فى بشرى تشرح صدره وتحيى أمله بعد أن مرت أعوام ولم تمن عليه الآلهة بذرية.

قهقهة عالية ورنين كرنين الذهب صادر من كؤوس الهوى وصوت أجش يأتى من خلف المحراب يقول: يا لك من تعس أما كان حرمانك من الذرية أفضل لك من طفل ذكر يقتل أباه ويتزوج أمه.

أما كان لك أن تقنع بالعقم على أن تحيى نقمة عليك ولعنة.

ارتعد لايوس واضطرب وتاه عقله واختلج وأسرع يغادر المعبد، وتذكر لعنة قد نساها ونقمة ظن أن الزمان قد طواها.

أخذ لايوس طريقه إلى طيبة وهو يفكر كيف يتحاشى هذه النقمة ويفلت من هذه اللعنة وأخذ يلعن القدر الذى جعله بلا ذرية، وكيف سيتخلص من قدره المحتوم إذا صار له ولد.

لا لن يكون لى ولد وتتحقق تلك النبوءة الظالمة سأطلق زوجتى يوكاستى وإذا طلقتها هل يهنأ لى العيش دون ونيس، إنها لعنة أخرى أن أعيش وحيداً.. ليتنى ألقى أحد الوحوش الضارية تنهش جسدى وتزهق روحى بدلاً من هذا العذاب. ما أقساك من آلهة أين رحمتك وعطفك، لن أقدم إليك القرابين بعد اليوم، لن أذهب إلى معابدك.

وصل لايوس إلى طيبة وقد قتلته الحيرة وأضناه الفكر، فوجد زوجته تستقبله بالحب واللهفة ولم تسأله إلى أين هو ذهب ومن أين جاء؟

مرت أيام ولايوس يتحاشى زوجته ويبتعد عنها لاحظت الملكة ما يطرأ على حال زوجها منذ عودته فلم يعد يسامرها ويسهر معها ويتعلل بأسباب لعدم مشاركتها الفراش، بدأ الشك يتسلل لقلب بوكاستى ويساورها القلق لفقد حظوتها عند الملك.

تزينت الملكة وتعطرت وألحت على الملك لمشاركتها السمر لتزيل عنه همومه وتذهب عنه وجومه الذى لازمه منذ عودته، وسط الموسيقى والقانيات وكؤوس الخمر شرب الملك حتى الثمالة وأظهرت الملكة جمالها واشتعلت فيه الرغبات وصاحبها إلى الفراش فاقداً وعيه ناسياً عهده الذى قطعه على نفسه بألا يقربها.

استيقظ الملك لايوس فوجد نفسه فى فراش بوكاستى فهلع وكأنه ارتكب فعلة شنعاء فلامها ولام نفسه وزجرها زجراً شديداً ولكن بما يفيد الندم وقد أنفذت الآلهة قضاءها.

مرت شهور والملك والملكة كل فى فرش إلى أن جاء اليوم الذى يخشاه لايوس حين جاءت الملكة تزف إليه بخبر الجنين الذى بدأ يتحرك فى أحشائها، ذلك المولود الذى طال انتظرها له، كانت سعادتها غامرة وكان حزنه قاسياً كانت تمنى نفسها بيوم مولده وكان يهيئ نفسه ليوم موته ولكنه ملك نفسه ولم يفصح عما ينوى حتى أن وضعت الملكة مولودها.

حضر الملك ومعه بعض حاشيته فأخذ المولود وناوله أحدهم فأخذوه وانصرفوا، صرخت الملكة تريد وليدها، هدأ الملك من روعها وأخبرها بنبوءة دلفى ولعنة الآلهة التى تلاحقهما فى هذا المولود، وحاولت أن تكذب هذه النبوءة ولكنها لم تتمكن من أن تثنى الملك عن رغبته فى التخلص من المولود فطلبت منه عدم قتله وأن يترأف به وهو الذى لا ذنب له.

تردد الملك كثيراً فى التخلص من فلذة كبده الذى ظل أعواماً ينتظره، ولكن ماذا يفعل ومازالت قهقهة الآلهة تصم أذنه والصوت الأجش الذى نبأه يقلب

فؤاده ويذهب عقله. وفى النهاية طلب من أحد المخلصين من أتباعه بأن يوثق قدمى الطفل ويلقى به فى العراء فإما يموت عطشاً أو جوعاً وإما يكون طعاماً لإحدى الضوارى أو الجوارح.

حمل الرجل الرضيع الباكى موثق القدمين وذهب به إلى أقصى حدود طيبة وصعد قمة جبل يفصل طيبة عن كورنثا وهم أن يلقيه فى إحدى شعاب هذا الجبل وقبل أن يفعل كانت منه لفتة أخيرة على هذا الملاك الجاثى بين يديه، فوجد أن البرد القارص قد فعل أفاعيله، فذهبت حمرة الوجه وحلت محلها زرقة وكادت أنفاسه تتوقف، رق قلب الرجل وأخذ يلتفت حوله يبحث عن مكان يدفئه فيه. فوجد راعى أغنام من أهل كورنثا فأسرع نحوه وأخذا يعملان على تدفئة المولود وإعادته إلى الحياة.

عرض تابع الملك على الراعى أن يأخذ الطفل ويرعاه، رفض الراعى ولكنه قبل عندما وهبه التابع بعض المال يعينه على تربية الطفل.

كانت الملكة يريبويا زوجة الملك يوليوس ملك كورنثا عاقراً وتتمنى مولوداً يسعد قلبها ويوطد مكانتها عند الملك.

حملت زوجة الراعى ذلك المولود الرائع الحسن الباهى الوجه إلى سوق المدينة فرأته إحدى وصيفات الملكة، بهرها حسنه وعرفت منها قصته فعرضت الأمر على الملكة فطلبت منها أن تحضره.

وفى مقابل دراهم معدودات وصل الطفل إلى الملكة التى فرحت به فرحاً شديداً وكذلك فرح به الملك واتخذاه ابناً لهما وأسموه أوديب «متورم الساقين» وذلك من أثر الوثاق الذى أوثق به.

أحسنت الملكة رعايته وأحسن الملك تربيته وأصبح الطفل اللقيت ولى عهد مملكة كورنثا وشب يانعاً وسيماً يزهو بين اقرانه بأنه الأمير وولى العهد وينعم بحب والديه الملك والملكة.

لبست كورنثا ثوب العيد وانطلق الشباب فتية وفتيات والشيوخ ورجالاً ونساء

يلهون ويفرحون ومدت الموائد وأقيمت حفلات الزواج وقدمت القرابين للآلهة والكل سعيد وفرحان.

ذهب أوديب مع بعض أقرانه إلى المعبد الكبير يقدمون القرابين ويعرفون من سدنته حظوظهم ومستقبلهم وراح كل منهم يقول للكاهن اسمه ويسمع منه ما يشرح صدره ويزيل همه إلى أن سمع الكاهن اسم أوديب «متورم القدمين» حتى أكفهر وجهه واختلجت أعطافه وسكت عن الكلام، أخذ أوديب يحثه على الكلام فأشار له أن يذهب إلى كبير كهنة المعبد وليكن بمفرده فتراجع أوديب ولم يذهب وعاد مع أقرانه وهم ما زالوا على لهوهم ومزاحهم.

ذهب أوديب إلى فراشه ولم يعر اهتماماً لما قاله الكاهن وراح فى سبات عميق، إلى أن هاجمته هواجس وأحلام مزعجة، فهب من نومه فزعاً مرعوباً، وطال انتظاره لبزوغ الشمس وانطلق إلى المعبد يسأل عن كبير الكهنة الذى كان يتعبد فى قدس الأقداس.

سمح للفتى أن يدخل المحراب ووقف أمام الكاهن الأكبر، يخبره عن الأحلام وبعد أن انتهى ساد الصمت بينهما وطال، حدقت عيون الكاهن ثم طأطأ رأسه فزادت حيرة الفتى، طلب الكاهن من الشاب أن يقدم القرابين وينتظر نبوءة الآلهة، قدم الفتى القرابينا وقضى نهاره فى المعبد وفى الهزيع الأخير من الليل والنعاس يداعب الجفون، سمع الفتى وصتاً كالأنين يخبره بكلمات ثقيلة وقعت عليه كالصاعقة «كتب عليك أن تقتل أباك وتتزوج أمك».

بهت الفتى وأخذ يتمتم.. أقتل أباى وأتزوج أمى.. ما هذه اللعنة وأى قدر هذا الذى تقدره آلهة ظالمة لا ترعى حرمة من قتل وزنا.. لا.. لا يمكن أن أستسلم لهذا القدر.. أحب والدى ووالدتى وأجلهما.. لا.. لا.. سأبتعد عن هذه الديار لن أكون لعبة قذرة فى يد القدر اللعين. قدرى بيدى ومصيرى أنا القادر على تحديده.

خرج أوديب من المعبد وقد قرر الرحيل وأنه لن يسمح لهذه النبوءة بأن

تتحقق، وركب جواده وانطلق بعيداً نحو طيبة المدينة المجاورة حتى دخل أراضيها.

أصاب الفتى النصب والجوع وعلى حافة النهر وتحت شجرة وارقة جلس الفتى ليأخذ قسطاً من الراحة ويتدبر قوته فرأى غزالاً يتراقص فى رشاقة بين الأشجار، فأوتر قوسه بسهم ورماه فى مقتل وذبحه وسلخه وأشعل نارًا لشيه. وغاب يتذكر ماضيه وما كان أكثر سماره وأصدقائه وهو اليوم وحيد فى هذه الأرض الشاسعة.. ترى ماذا يحمل له مستقبل الأيام؟

صوت قادم من بين الأحراش المعتمة لعلها أصوات وحوش ضارية. جاءت تشاركه الوليمة أو ليكون هو وليمة لها، الأغصان تهتز وبصوت.. يقترب السهم يمرق من قوس أوديب نحو مصدر الصوت.

آهة مكتومة وجلبة وأصوات رجال.. إنهم قطاع طريق ولابد أن يبادرهم قبل أن يتمكنوا منه ويبصروه، سهم آخر ينطلق ليستقر فى رقبة رجل مسن يرديه قتيلاً ورجل آخر أطلق ساقيه للرياح ليبتعد عن هذا الصياد الماهر.

. ألقى أوديب نظرة على الرجلين الذين صرعاً من فورهما، فلم يجد فيهما هيئة قطاع الطرق، فقد كان العجوز فى أبهى ثيابه وظهر على الآخر أنه تابعه، فخشى أوديب العاقبة فأسرع بالفرار من المكان، وتوجه إلى جبل ليختفى بعض الوقت، وكمن فى أحد الكهوف.

يومان قضاهما أوديب بين شعاب الجبل ومع فجر اليوم الثالث وبعد نفاد الطعام والشراب أخذ أوديب طريقه إلى سطح الجبل على طيبة، وقبل أن يصل إلى الوادى سمع صوتاً لا هو بزئير أسد ولا عواء ولا نباح كلب، وإذا به يواجه وحشاً هائلاً لم يعرف له مثيلاً.

لقد سمع عن السنتور ذلك المسخ الذى هو نصفه الأعلى رجل ونصفه الأسفل حصان، أما هذا المسخ فهو على هيئة أنثى عابثة الوجه شاعثة الشعر، ناهدة الصدر ولكن جسدها جسد لبؤة مكسو بالشعر الجاعد، لها أقدام قصيرة وذيل أفعى سام ونابان بارزان يقذفان الرعب فى قلب من يراها، ورائحتها المنتنة

تصيب بالغثيان.

تلك هى سفنكس أو الهولة أو أبو الهول، لعنة هيرا ربة الأرباب وزوجة زيوس كبير الآلهة جاءت بها من أحراش إفريقيا وأسكنتها فوق جبل فيكيوم انتقاماً من طيبة وأهلها، ربضت هذه الهولة فوق قمة الجبل وتسلطت على أهالى طيبة. فما كان يسلم منها غادر أو رائح من هذه الجهة، فقطعت السبل على التجار وقطعت قوافلهم وخربت الحقول والبساتين والضياع.

لم يكن أديب يعلم عن هذه الهولة شيئاً ولا عن خطرها ولكنه فجأة وجد نفسه وجهاً لوجه أمامها، هلع الحصان الذى كان يمتطيه فألقاه أرضاً وانطلق كالرمح بعيداً عن الأنياب الناهشة والذيل السام.

رغم ضخامة الهولة إلا أنها كانت تتحرك برشاقة أذهلت الفتى الذى خفت حركته وتتابعت سهامه ترشقها فى كل موضع دون تأثير وهى تلوح بذيلها فى كل اتجاه ولكنها لم تتمكن منه فتوقفت عن الحركة.

سكن أوديب محتمياً بصخرة كبيرة وقد حوصر وظل ينظر إليها وتنظر إليه إلى أن سمعها تنطق بلسان فصيح قائلة: لن تتمكن من الرجوع ولن أتركك تمر دون أن تخبرنى من هو المخلوق ذو الصوت الواحد، الذى يكون له قدمان أحياناً يصير ذا ثلاث وأحياناً يكون له أربع، وكلما زادت عدد أقدامه زاد ضعفه وهوانه.

بدت على أوديب الدهشة ولكنه لم يكن يملك إلا سرعة التفكير والإجابة على هذه الأحجية فقال: إنه الإنسان يحبو على أربع وهو طفل ثم يثير على قدمين وهو شاب رجل وعندما يشيب يتوكأ على عصا فيسير على ثلاث وهو فى طفولته واهن وفى شيخوخته واهن.

اضطربت الهولة فقد نجح هذا الفتى الغر أن يقهر ذكاءها التى كانت تعتد به، فعلت قمة جبل فيكيوم وألقت بنفسها فهوت جثة هامدة بعد أن رشقت ذيلها بين ضلوعها لتنفذ سمها.

عرب أوديب الوادى بسلام فقابله بعض الرعاة وتعجبوا كيف يأتى هذا

الفتى من هذه الجهة ولم يصبه أذى، وعرفوا منه ما حدث بينه وبين الهولة فحملوه على الأعناق ودخلوا به طيبة وأستقبله أهلها استقبال الأبطال والفاتحين وتوجهوا به إلى قصر الملك.

كان لايوس ملك طيبة قد خرج منذ عدة أيام ذاهباً إلى معبد الإله أبوللون فى دلفى يقدم القرابين ويبحث عن رضا الآلهة حتى يكفوا طيبة هذه اللعنة ويمنعوا عنهم شر هذه الهولة ولكنه خرج ولم يعد وعرف أهل طيبة أنه قتل فى الطريق، حزنوا فترة ولكنهم الآن أمام أنباء سارة.

خرج أهل طيبة عن بكرة أبيهم يحتفلون بالقضاء على الهولة وقد أنستهم الفرحة الكبيرة نبأ مقتل لايوس ملكهم فى الطريق واعتبروا موته فداء لهم، وأصبح أوديب بطلاً قومياً بعد أن خلصهم من هذه اللعنة المميتة هو ذاك الشر الذى جثم على بلادهم زمناً طويلاً.

لم يفكر أوديب كثيراً عندما عرض عليه أهالى طيبة بجميع طوائفهم أن يعتلى عرش البلاد بدلاً من الملك لايوس وأن يصير مليكهم.

قبل أوديب الشريد الضائع عرش طيبة وتوج ملكاً عليها، ولم تجد بوكاستى بداً من أن نقبله زوجاً لها بعد أن وجدت فيه الفتوة والشباب والذكاء ودان كل شعب طيبة للملك الشاب أوديب بالولاء والحب والإخلاص.

لم يكن أوديب يعرف تلك المرأة التى تزوجها ولم تكن المرأة تعرف من ذاك الشاب الذى بنى بها وعاشرها وأنجب منها بنين وبنات ولم يعرف هؤلاء الأبناء أنهم أخوة لأبيهم وعاش الجميع حياة سعيدة وأغدق أوديب على زوجته وأبنائه الذين هم أمه وأخواته حباً وعطفاً، حياة ظاهرها المودة والحب وباطنها زنا المحارم.

ظن أوديب أن الآلهة قد غفلت عنه ونسى نبوءة ولعنة الآلهة، وحكم طيبة بالعدل وانتعشت البلاد وطويت صفحة حكم لايوس الملك، ودام حكمه سنوات طويله انجب خلالها أربعة أطفال، أنتيجونى واسمينى ويولونيكيس واتيوكليس وعاشت الأسرة والشعب سعادة ذائفة فقد كانت الآلهة تتوعدهم بالشقاء.

وباء شديد يضرب طيبة ويصيب كل مناحى الحياة فيها الإنسان والزرع والضرع وتحولت السعادة إلى شقاء وذهب الرهاء وعم البلاء وسادت الفوضى البلاد.

ضج الشعب الذى جاع وتزلزت أركان الحكم ولم يعد بعد أمام أوديب إلا أن يلجأ إلى الآلهة يتقرب إليها لترفع عن بلاده هذه اللعنة.

جمع أوديب أعوانه ومستشاريه وقد اتفقوا أن يرسلوا حيكمهم الضرير تيرسياس إلى معبد الإله أبوللون فى دلفى لينبئهم بمستقبل البلاد وسبب هذا البلاء بعد أن يقدم القرابين.

كان الجميع فى انتظار عودة تيرسياس الحكيم وكل يوم يمر يزداد الأمر سوءاً وقد أصبح المستقبل مظلماً والحياة صعبة وقد انتشر النهب والسلب والقتل.

اجتمع أوديب وأعوانه لاستقبال تيرسياس الذى عاد من دلفى عسى أن يحمل إليهم الخير والنجاة، كيف وقد أقبل عليهم عابس الوجه، متلعثم اللسان، زائغ البصر.

سأله الملك.. ماذا تحمل معك؟

تردد الحكيم فى كلامه ولم يجب الملك فأعاد عليه الملك، ماذا بك، انطق وإلا قتلتك قال الحكيم.. يا مولاى.. سبب هذا البلاء وجود قاتل لايوس الملك فى البلاد ويعيش منهماً مكرماً.

قاتل الملك لايوس يعيش فى طيبة منعماً.. كيف؟

لقد حكمنا على القاتل بالقتل أو النفى وعلى من يؤويه مثله.

ولكن كيف نعرف هذا القاتل؟ ألم تخبرك الآلهة عنه لنوقع به الجزاء.

تلعثم الرجل فى إجابته وخرجت الكلمات تتساقط من فمه.. لا لم تخبرنى الآلهة، ثار الملك وقد شعر أن الحكيم الضرير إما أنه يعرف شيئاً ولا يريد أن يخبر عنه، وإما أنه قد قصر فى أداء مهمته ولم يتمها على الوجه الأكمل.. وأغلظ له فى القول واتهمه بالإهمال وأنه لا يصلح أن يكون حكيم البلاد.

كانت كلمات أوديب الملك قاسية فأثارت الحكيم الذى قال: لقد أخبرتنى الآلهة أنه انت يا سيدى القادر على معرفة القاتل بنفسك، فابحث عنه إنه قريب منك.

كنت احسبك مهملاً ولكنى أراك جاهلاً كيف يكون القاتل قريبًا منى ولا أعرفه.

القاتل قريب منى ويسكن قصرك ويشاركك الطعام.

اسرع أوديب بأن عقد محاكمة يسأل كل سكان قصره وأتباعه حتى زوجته وظل اياماً يسأل ويستقصى فأتى على كل رجال القصر إلا واحداً هو الذى كان قد حمل الرضيع موثوق القدمين ليتخلص منه.

مازالت البلاد تسودها الفوضى والاضطراب ومازال الملك يجرى التحقيقات وفى أثناء ذلك قدم إلى البلاد رسول من كورنثا يخبر أوديب بأن الملك يوليوس ملك كورنثا قد مات وعلى أوديب أن يتولى حكم كورنثا خلفاً لأبيه.

بهت الحاضرون لما رأوا أوديب قد انزعج لأول الأمر لنبأ وفاة والده، ثم عاد ليضحك ويقول: يا لسخرية القدر وما أهون الآلهة التى أنبأتنى بأننى سأقتل والدى وأتزوج أمى، وها هو والدى الملك يوليوس قد مات دون أن أقترب منه، ولكنه عام ووجم وقال: ولكن تبقى نصف النبوءة.. لن أذهب إلى كورنثا ولن ألتقى بأمى وبذلك تكون النبوءة غير صحيحة ولتقف الآلهة عاجزة فلن أسمح لهذه النبوءة بأن تتحقق.

قال الرسول: أى نبوءة تقصد، إن بريدويا ملكة كورنثا ليست أمك كما أن يوليوس ليس بأبيك وأنا الوحيد الشاهد على ذلك، لقد أخذتك وأنت طفل موثوق القدمين من راع من أهل طيبة.

المجلس يسوده التوتر والقلق وقصص وحكايات غير مفهومة وفى هذه الأثناء يدخل التابع الطيب الذى أخذ الطفل من القصر ليجد نفسه وجهاً لوجه أمام الراعى الذى يتعرف عليه وتتجلى الحقيقة بأن أوديب هو الطفل موثوق القدمين ابن الملك لايوس وابن زوجته بوكاستى وأخ لأبنائه الأربع.

كادت بوكاستى تصاب بالجنون وتفكر فى النبوءة فأرسلت فى طلب التابع الذى نجا يوم مقتل الملك لايوس.. فأتى وتعرف على أوديب الذى قتل الملك فأقدمت بوكاستى على الانتحار فراراً من سخرية القدر واعتزل أوديب الناس وأبناءه والملك إلى حيث لا يعرفه أحد يتجرع وحده أحزانه وآلامه.



أفروديت ربة الحب والجمال

ربة الحب والجمال والإخصاب، مثال الفتنة والسحر فى المرأة وتعد أحياناً حامية البحارة وراعية المحاربين فى اسبرطة بنوع خاص، ويبدو أنها كانت فى الأصل معبودة شرقية تماثل عشتار أما فى بلاد اليونان فقد لقبت أفروديت أورانيا. وأصبحت ترادف آلهة السماء «عشتروت» عند الساميين، والآلهة أناهيتا عند الفرس.

والراجح أنها انتقلت إلى اليونان من قبرص، ملتقى الشرق بالغرب. وأنها استوعبت بعض ملامح آلهة ما قبل الهلينية.

ما فى روما القديمة فقد كانت أفروديت ترادف «فينوس» ربة الحب والجمال، وروت الإلياة أن أفروديت ابنة زيوس وديونه، وصورت لأول مرة فى النشيد الرابع عشر من الإلياذة على أنها الإلهة التى «تقهر جميع الرجال وجميع الآلهة بالشهوة».

ومن صفاتها: دلال الغيداء، وسحر الفتاة ومكر الأنثى، إلى جانب ما تشيعه من البهجة والحب والوداعة.

ويمتد سلطان أفروديت حتى يشمل جميع الأحياء، وكانت مثلاً أعلى للشباب والجمال والحب.

وليس لأفروديت ـ الربة الرقيقة ـ أن تشارك فى صراع الحروب، فسلطانها يسرى على قلوب الآلهة والبشر الفانين. وهى تبسط سيادتها على الكون بفضل قدرتها هذه، فليس لأحد حتى من الآلهة ملاذ مما تشاؤه، ما خلا «أثينا وهيستيا وأرتيميا» فهن الوحيدات اللاتى لا يخضع لإرادتها.

وأفروديت ـ بقامتها الهيفاء، وجسدها المتناسق، وتقاطيع وجهها الرقيقة، وبموجة الشعر الذهبى الناعم المعقود كالإكليل فوق رأسها الجميل ـ مثال للجمال القدسى وللشباب الخالد النضر وتزداد الشمس إشراقاً، والزهور تفتحاً عندما تسير هذه الربة الرائعة بجمالها وبثيابها اللألاءة.

وعندما تتجول فى الغابة تفر إليها الضوارى من الأوكار، وتطير إليها أسراب الطيور وتتململ الأسود والفهود والنمور والدببة عند قدميها، فهى تسير بين وحوش البرية عزيزة بجمالها الفاتن، تخدمها مرافقاتها الأورات والهاريات ـ ربات الجمال والتناسق، إنهن يلبسنها جميل الثياب، ويسرحن شعرها الذهبى، ويتوجن رأسها بالإكليل البراق.

وتعرف أفروديت عند الرومان باسم فينوس، ربة العشق والجمال والسحر الفتان، صورها الفنانون الإغريق بقد ممشوق، وجمال خلاب، وجسد يتفجر أنوثة.

كانت أفروديت تعنى بأمور النساء من عواطف وعلاقات عاطفية، ولها كانت قلوب العشاق تتوجه دائماً بالدعاء.

ومن دراسة آثار الإغريق فى مصر يظهر أن هذه الربة كانت من أشهر الربات فى العصور الأخيرة لكثرة تماثيلها وصورها وقد ارتبط ظهور الربة فى كثير من الأحيان، بابنها الطفل إيروتين والذى عرفه الرومان باسم كيوبيد حيث كان يرمى القلوب بسهام الحب، وكانت أفروديت تبدو دائماً وهى تمسك بالتفاحة، أو ترتدى قلادتها الشهيرة حول عنقها. وأحياناً كانت تحتضن اليمامة طائرها المفضل.

وتقول الأسطورة: إنه فى الصباح الباكر، من يوم ليس كمثله يوم فى وضاءة شمسه وحلاوة أنسه، فى الغرة من أيام الربيع، فى أروع شبابه وأجدى أهابه، وقد هبت أنفاس الربيع الحارة العطرة المنعشة على البر والبحر، جعلت الأمواج تفور فوراناً شديداً عجيب الشأن، بالقرب من جزيرة «أقريطش» بين الأقاليم الثلاثة: آسيا وإفريقيا وأوروبا، فى العالم القديم، وجعلت كل موجة فى سائر

أرجاء البحر المتوسط تعج وتضج، وتنزو وتتوثب بحافر. لا عهد لها به من نزوع الشوق وجنون الحب.

إن الكون يمتخض الساعة عن آية، يا لها من آية.

هى بضعة من جسم أوراتوس رمز السماء فى أساطير الإغريق القدماء، حبها ناقم عليه من أبنائه فهوت فى الماء، فلقحت منها - على حد قولهم - الدماء ودار الفلك دورته، ولم يزل البحر بهذه البضعة الدامية تصفقها لجته. حتى استكمل الحمل السماوى فى اللجة المصطفقة مدته.

وهذا هو البحر - فى بكرة ذلك اليوم الأغر المأثور من أيام الدهر - يجيش بالقرب من أرض يونان، بالغاً من الجيشان أشده، وقد تعالى على موجه المصطفق زبده، وقبل أن يعلو النهار ويستوفى على البحر شروقه، تجلت من معجزات الخلق فى أول الخليفة هذه المعجزة الفائقة المرموقة، فانشقت اللجة المصطفقة الراغبة، عن حسناء معبدة الحسن عارية، كأنها - من بياض الجسد - صيغت من ذلك الزبد.

تجلت على لجج الماء هذه المبعودة الحسناء، آية التناسق والروعة والرواء ممشوقة القد. معتدلة الشطاط، لطيفة التكوين، مبتلة الأعطاف كاعب النهدين، محطوطة المتنين، مستديرة الردفين، أملود الساقين، غضة الشباب بضة الإهاب، رفافة البشرة، بديعة الملامح والقسمات، إلى آخر ما لا يسبق إليه وهم، ولا يعلق به خيال، ولا خطر وجوده على بال، من المحاسن التى لا يحصرها عد، ولا تنتهى عند حد.

ولا بدع أن تكون هذه المولودة الخالدة الأخيرة فى صورة الخلق وجهارة الحسن على هذا الكمال، فإنها طلعت حين طلعت لتكون قالب الجمال ومثاله الأعلى الذى صيغ على غير مثال.

وكانت أفروديت «وليدة الزيد». وهو الاسم الذى عرفت به ربة الجمال فى صورة ذلك الجسد المستغرق لصفات الكمال - عارية متجردة، حين طلعت من

تلك اللجة المزيدة، أجل، عارية متجردة الوليد ساعة ولاده، وقد تلألأت محاسر جسدها كاللؤلؤة اليتيمة العظيمة عريت من صدفها، حاشا تلك الذوائب الفينانة من شعرها الطويل الذهبى، المسترسل على ظهرها المرمى، ضارباً إلى حقويها، ولو أنها شاءت التستر لسترها بغير عناء، ولكن أعفاها أن فضيلة الخفر والحياء لم تكن فى تلك الأزمنة الأولى معروفة عند الأحياء.

ولم يشهد مطلع أفروديت ربة الجمال، وهى على تلك الحال متجردة الجسد عارية الأوصال فيما عدا أبويها الأزليين السماء والماء، إلا ثالث لا يخلو منه فضاء، هو الهواء، هو ذلك الهواء الذى لا يزال خافق الأحشاء، دائم الأنين، منذ ذلك الحين إلى أبد الأبدين وما كاد الهواء يراها، حتى ضمها واحتواها. وقد هاج هائجه وجن جنونه لفرط ما بلغ منه هواها، وجعل الهواء الولهان يعنف السواحل.. مندفعاً إلى الأشجار المتفتحة النوار يهز الفروع ويعتصر الأغصان.. منتزعاً أكاليل من ورقها عروس البر، فيرتمى متنهداً عند قدميها، وينثر أزاهير العرس الناصعة حواليها، حتى سارت الأمواج فى تلك الناحية أشبه بقطع الرياض الحالية.

ولم يزل الهواء - من فرط الهوى - تتوجه إلى أفروديت زفراته، وتتابع تنهداته، فإذا صدفه لؤلؤية عظيمة بيضاء تتساق إلى تحت قدميها الناصعتين وقد نشرت شعرها الأثيث الذهبى فى شعاع الشمس الذهبى الوضاء، ربة الجمال الفرعاء، فانسابت صدفة بها فى لطف على الماء، فى وجه هذه الأنفاس المتنهدة المتصعدة من الهواء المرح، افتتاناً بهذا الجمال واحتفالاً بمطلعه، فكانت الجنيات الحسان، من بنات آلهة البحر، سابحات حول الصدفة العظيمة ممسكات حوافها بأيديهن الرخصة الناصعة البياض، وكانت أفواج الخيلان من أبناء آلهة البحر - وأدناها سمك، وأعلاها إنسان - تتقدم بين يدى الموكب المائى نافخة فى أبواق من الودع الكبار، ترجع فيه الآذان فى أثر الآذان، وتعلن البشائر فى لحن من أعذب الألحان.

وعلى مسافة قريبة، تتوثب مسرورة مجبورة، دواب البحر من أعلم لماعة الوبر، حداد العيون طوال السبال، ومن دولافين طاغين كالزقاق المنفوخة، فضية الألوان منقوطة، ومن ورائها جميعاً حيتان البال، ترسل الماء من نافورتى هامها

ذاهباً فى الفضاء. وكأنها من ضخامة الجثث كسلانة فى سبحها متثاقلة. وهى من فرط فرحها تشق على نفسها فى السبح جادة متحاملة.

وانسابت أفروديت على هذه الصفة، تهفو بها أنفاس الهواء المتصعدة. حتى ساحل أقريطش وكانت الجزيرة فى ذلك الزمان لم يطأها إنسان. وإنما هى برية أنف معطار. وريفة الأشجار موشاه بمختلف الأزهار، وكان فى استقبال المولودة الخالدة الجديدة، للترحيب بمقدمها الميمون من قبل الأرباب الخالدين الأقدمين جنيات الطبيعة الموكلات بتدبير الأطوار والأحوال المعروفات بـ «الساعات» وهن صبايا من الحسن الناضرات متشحات بحلل من الزهر شتى الألوان والشيات ولما كانت أفروديت عارية إلا من شعرها الأثيث العبق، فقد أقبلت عليها الساعات باللباس والزينة، فأفرغت إحداهن عليها غلالة من الشفوف بديعة الألوان، يبدو لابسها ـ من رقة النسج ـ بين المكتسى والعريان وعكف بعضهن على ذوائب شعرها الفيشان الذهبى، تسرحه وترجله بمشط ذهبى. ثم تضفره غدائر مسترسلة كأمواج البحر اللجى، ثم تضم الغدائر بعضها إلى بعض بإكليل من الورد الأحمر الجنى، وجعل بعضهن الأقراط إلى أذنيها الصغيرتين، والقلائد حول جيدها الأتلع، والمرسلات على ترائب صدرها المصقول كالسجنجل، وكلها من عجائب الحلى، صنعة صانع عبقري، متخذة من الزمرد والياقوت والزبرجد الأصفر القبرصى، ثم كان الختام أن أدير حول حقويها وشاح مفصل بالدرر والجمان، جاذب للنظر، مستدع لكوامن الفكر، كأنما ينطوى على أسرار غريبة ونجاوى غامضة عميقة. وهكذا تولت الساعات تعليم الربة الشابة ما فى الزينة من فتنة وما فى بعض الحجاب من استهواء، ولما أن اجتمع فى أفروديت إلى سحر الحسن المطبوع غوايات الحسن المصنوع، نظرت ربة الجمال ـ نظرة متطلعة خفية ـ إلى مرآة من الفضة المجلوة، عرضتها عليها، ورفعتها إليها وصيفة من وصيفاتها القائمات على خدمتها فامتلأت رضا عن نفسها واعتزازًا بحسنها الذى جاز الغاية وفاق النهاية، ولم تملك أن سرت فى أعطافها خفة وشاعت فى وجهها إشراقة الغبطاء، فهاد قوامها فى اختيال وابتسمت فى دلال

وتلفتت تتبين حواليها، كيف يكون الافتتان بها والصبابة إليها؟ فراعها ما استبان لعينها من غلبة سحرها على الخليقة بأسرها.

فهذا الهواء مدنف، وقد براه الهوى وشفه الضنى، وعند قدميها نسيم الصبا، خائر القوى متهالك طليح، كالمخمور الطريح. وهذا البحر عجاج متلاطم الأمواج منذ أن أخذه مخاضها لا يقر له قرار كالمتقلب على الفضا. لهفة عليها وأسفًا على فراقها، وهذه الشمس مضطرمة من الوجد، كلما أحست مغالبة الأسى توارت خلف ثقاب من متراكب السحاب، وأجهشت بالبكاء والنحيب حتى ليحول الثرى الجديب من وابل دموعها وهو جد خصيب، وهذا الفضاء الواسع الجنبات يجيش بألوف الألوف من الذرات التى تدق من رؤية العين وتخف عن أن يقام لها وزن وهى مشوقة إلى التكثر والتطور، وهذه الدواب والطير والزواحف والهوائم وسائر أنواع الحيوان من الهولات الجسام ذوى الأجلاد والجثث الضخام، إلى الدويبات الدقاق الميكروسكوبية الوحيدة الخلية. وهذه جميعاً قد دب فى أجسادها ـ لطيفة كانت أم كثيفة ـ هزة تنزع بها إلى التعانق والتواصل والتخفف من فيض الحياة الذى حفلت به واكتظت حتى نسى الفرد منها ذاته فى سبيل استدامة النوع، وانبثقت من هذه الخلائق جميعها غمغمة مبهمة لا يفصح بها اللسان، ولكنها مستغنية عن اللفظ مبينة من غير بيان، لأنها تهليل الحواس وتكبير القلوب وهتاف الوجدان، وهى تتوالى على أفروديت من كل صوب وتحفها من كل ناحية، فتحتويها من هذه المشاعر المحيطة بها المحلقة حولها أمواج حارة مسكرة.

ووقفت الساعات من جلال الموقف خاشعة ساكنة.

وأما ربة الجمال، فقد لبثت جامدة فى وسط هذه الحلقة المغناطيسية، وقد أطبقت جفنيها وغابت من فوق شفتيها ابتسامة الدلال الغريرة الصبيانية، وتبين عليها التأمل العميق والخلوة إلى النفس واستجماع شوارد الفكر، بعد أن بان لها سلطانها الرهيب وما يستتبعه هذا السلطان من التبعات والأعباء.

وبقيت أفروديت لحظة على هذا الحال تتنفس - وهى كالنائمة الحالمة - من خياشيمها المتفتحة الخافقة، ومن فمها المتفرج المنفعل، أنفاسها عميقة مطردة فى هذا الجو الحادث من حولها حتى تشبعت به أنسجة جسمها، وامتزج بكيانها، يا لها من لحظة من اللحظات القدسية التى تتقرر فيها المقادير الكونية.

لقد صارت أفروديت ربة الجمال الذى لا يضارع، ربة العشق الذى لا يدافع وأقبلت «الساعات» فوضعن على هامة الربة الجميلة الجليلة تاجاً لا من الذهب والجواهر بل من النور تبلور وتجوهر، ومضين بحراً وبراً بها والخلائق تضطرب وتجيش فى البحر والبر فى طريقها حتى أوفت الرحلة على غايتها فسرن بين يديها منفردات بخدمتها، وهى فى الموكب الحافل من بهائها وفتنتها إلى مشارف «الأولمب» منزل الآلهة متبوأ عروشها.

وكانت أفروديت زوجة «هيفايستوس» ولكنها لم تكن وفية له وأحبت «آرس» إله الحرب كما أحبت الآلهة ديونيزوس وهرمس وبوسيدون وهامت بالفتى الجميل أدونيس وتفوقت أفروديت على قريناتها فى الجمال وتسلمت من باريس الجائرة الخاصة بالجمال، وكانت لها القدرة على أن تهب الآخرين الجمال والفتنة، ويقال: إن كل فتاة أو امرأة تضع المنطقة أو الحزام السحرى المنسوب لأفروديت تصبح موضع الحب والاشتهاء، وهناك عدد من الطير الذى قدس لها، لأنها كانت تجر عربتها أو تحمل رسائلها مثل العصفور والحمام والبجع والخطاف.

ولقد صورها الفنانون مع ابنها إيروس وأشهر تماثيلها فى الأزمنة القديمة تمثال ميلوس المحفوظ، واختلفت الشعائر المرتبطة بعبادة أفروديت باختلاف الأقاليم والعصور، ولقد كان بالقرب من أحد معابدها، عين جارية يشرب النساء من مائها ويغتسلن التماسا للحمل أو اليسر فى الولادة وكان النساء فى هرميون يقدمن القرابين لأفروديت من أجل المحبة والسعادة الزوجية والإنجاب، وخلط الأمهات فى أسبرطة بين أفروديت وربة الزواج، وكن يقدمن القرابين إليها عند خطبة بناتهن حتى يوفقن فى حياتهن الزوجية إلى الرفاء والبنين، وقد عثر على بعض الرموز الجنسية التى أهديت إلى أفروديت باعتبارها ربة الخصب،

واقترنت عبادتها فى كورنثا وقبرص وصقلية ببعض ظواهر البغاء، وليست الفجوة كبيرة بين الشهوة الجنسية من ناحية والإنجاب من ناحية أخرى.

وإذا كانت القرابين قد قدمت لأفروديت من أجل الإنجاب فإنها قدمت لها - أيضاً - من أجل الخصب والنماء، ومن الشعائر الخاصة بأفروديت أن يتنكر شاب فى زى امرأة وأن يقلد صيحاتها أثناء المخاض، ولا يعرف أصل هذه الحكاية.

■ ■ ■

سبيليا الجميلة وميناس

كان ملوك ميجارا، فى الأزمنة السحيقة، يتوارثون فى التاج والعرش، مفتاحاً مقدساً، يخفونه تحت شعورهم، حتى لا يحصل عليه أحد، أو يمسه كائن.

وكانت قوة الجزيرة هى - حسب النبوءة المتوارثة - تكمن فى هذا المفتاح، فطالما كان فى رأس الملك، فإن أى جيش مغير، مهما كان عدده وعتاده، لن ينال من الجزيرة منالاً، أما إذا فقد المفتاح، فقل على الجزيرة الفناء.

وتسامع بنبأ هذه النبوءة مينوس ملك جزيرة كريت الشاب، فهزأ منها وعول على اقتحام ميجارا عنوة وضمها إلى عرشه.

وأعلنت الحرب بين الجزيرتين، وعسكر مينوس بجيوشه حول العاصمة وضرب عليها الحصار ثلاث سنوات، والمدينة صامدة ترد غاراته المتتالية، وملكها أرسوس واثق هو شعبه من أن مينوس ورجاله سوف يعودون إلى بلادهم صاغرين يجرون أذيال الخيبة والفشل.

اعتادت سبيليا الجميلة، ابنة الملك أرسوس، أن تصعد من أمسية كل يوم طوال مدة الحصار، إلى قمة البرج العالية فى القصر، لتشبع عينيها بجمال المناظر المنبسطة وراء أسوار المدينة أو لتراقب المعارك وتتطلع إلى العدو وهو كامن فى معاقله، وكانت لطول المدة قد ألفت هذه المراقبة، حتى استطاعت أن تميز قواد جيش العدو، وعلى الأخص الملك ميناس الذى أخذ كرهها له ينقلب رويدا رويدا إلى إعجاب وحب لما امتاز به من مهارة فى رمى النبال وقوة فى شد القوس.

كان الملك الشاب، يختال فوق فرسه البيضاء كأنه قطعة منها ركبت فوقها، أو كأنه هرقل إله القوة.

فإذا ما انتهت المعركة وخلع عنه خوذته وقوسه وارتدى ملابسه الحريرية

المزركشة، وامتطى صهوة جواده، والأعنة فى يده يتطاير منها الشر كالرشاش وهو يطوى فوق الجيش، محيياً رجاله، كانت ابنة أرسوس تشعر بأن روحها قد فارقت جسدها، وأنها قد طارت خلفه على صهوة جواده، تاركة جسمها الجميل فى البرج دون حواسه.

لقد وقعت إذن فى حب عدو أبيها وبلادها، وبلغ بنفسها الإعجاب به إلى حد الجنون، حتى لقد كانت تحسد الفرس التى يركبها، والأعنة التى يمسكها، والهواء الذى يستنشقه وتمنت أن لو كان لها أجنحة لتطير إليه، وتمكث فى خيامه، أو أن لديها القدرة على فتح أبواب المدينة له لتنتهى الحرب بين الشعبين، أو يحل السلام بينهما بأى ثمن كان.

وكانت وهى فى غرفتها فى البرج تناجى نفسها قائلة، لست أدرى أحزن لهذه الحرب أم أسر بها؟ إننى فرحة بها، لأنها أرتنى ميناس، وحزينة، لأنه عدوى وعدو بلادى، غير أنى بأى شىء أستطيع به أن أرى حبيبى ومليك فؤادى.

ألا ليته ينهى هذه الحرب ويهبنا السلام، وليته يضمنا إلى عرشه، لنسعد بحكم هذا الملك القوى الجميل.

ترى لو فتحت له الأبواب أيكافئنى على ذلك بالزواج؟ ولكن، ماذا يكون موقفى أمام أبى وأمام شعبى؟ أأكون خائنة؟ معاذ الله، ولو حرمت رؤيته أبد الدهر.

ولكن ما جدوى الحصار إننا سنموت جوعاً، أفليس من الأفضل أن أنقذ شعبى من الهلاك بأن أسلم مقاليد البلاد إلى هذا الملك الرحيم، فيأخذ منا جزية، ويتركنا نعيش فى سلام بعد أن يجلسنى على عرشه، ثم إن جيشه أقوى منا بكثير، فلماذا لا أفتح له أبواب المدينة بيدى بدلاً من أن يدمرها ويأخذها عنوة؟

ثم إن هناك احتمالاً، ولو أنه بعيد التحقيق إلا أنه قد يحدث، فربما أصاب أحد جنودى ميناس إصابة قاتلة، فما أكون قد أخذت من ترددى؟ إننى باردة جبانة، وأية فتاة فى موضعى ما كانت لتحجم عن فتح الأبواب، حرصاً على سلامة حبيبها.

ولكن هبنى صممت على الخيانة. فكيف أبعد الحرس؟ ليس أمامى إلا المفتاح. ولابد أن آخذه من أبى ولو قتلته.

تنبهت الفتاة من نجواها لترى أن الليل قد انتصف وأن السكون قد غمر المعسكرين، فتوجهت للتو إلى غرفة أبيها، فأخذت منه المفتاح بخفة وهو مستغرق فى نومه.

ولم تضع الوقت سدى فخرجت من الباب السرى بواسطة المفتاح وطلبت من أول حارس من حراس الأعداء أن يذهب بها إليها الملك ميناس، لتبليغه رسالة هامة.

ووقفت أمام حبيبها وهو ينظر إلى معجباً بجمالها وقوامها. وتكلمت قائلة: إننى سبيليا ابنة الملك أرسوس، وقد جئت أسلم إليك بلادى وقصر أبى حقناً لدماء الشعبين، ولست أطلب من مقابل ذلك مكافأة ولا مالا، وإنما لى مطلب واحد هو أنت، فإن الحب الذى دفعنى إلى أخذ المفتاح من أبى خفية وبدونه لن تنالوا منا منالاً.

ثم مدت يدها إليه بالمفتاح وامتقع وجه الملك وتقهقر خطوة خوفاً من أن يمس المفتاح، وصرخ فيها باحتقار:

لتدمرك الآلهة أيتها الابنة العاقة، والمرأة الخائنة، ولتحل عليك لعنة السماء والأرض، حتى لا تجدى فيهما مأوى أو راحة.

ثم بصق فى وجهها قائلاً:

إننى أكبر نفسى عن أخذ مدينة من يد امرأة خائنة. ثم أولاها ظهره ونادى قواده وأمرهم بفك الحصار والرحيل فوراً، وفى لحظة كان الجيش ينتقل بخيله ورجاله إلى المراكب الشراعية، حيث ولوا وجوههم شطر وطنهم كريت.

وصرخت فيه الخائنة: أيها الرجل الجحود، أيكون جزائى منك السيف والاحتقار، أنا التى ضحيت بالأب والوطن من أجلك، إننى خائنة حقاً وأستحق الموت ولكنه لم يقف ليستمع إليها، بل ركب ركبه وأمر رجاله بالإقلاع، فلما رأت

المركب على وشك المسير، ألقت بنفسها إلى الماء وتعلقت بأحد الحبال.

وكان أبوها قد استيقظ من نومه، وتفقد المفتاح فلم يجده، وأخبره الحرس أنه لم يدخل غرفته أحد سوى الأميرة سبيليا.

وكاد الغيظ يقتل هذا الشيخ، فاستجابت إليه، وقلبته من ملك إلى طائر كبير.

وإذا كانت الفتاة متعلقة بالمركب، رأت أباها يهبط إليها من أعلى فى صورة طائر، لينشب فيها مخالبه فصرخت إلى الآلهة أن ينقذوها فاستجاب الله الرحمن وحولها إلى سمكة.

أما الطائر فقد أطلق عليه اسم العقاب.

وما يزال العقاب حتى اليوم، يطوى صورة على هذه ورغبته فى الانتقام من الفتاة، ولذلك تراه وهو فى أجواز الفضاء، يراقب البحار، فإذا ما أبصر السمكة تطفو فوق الماء، انقض عليها انقضاض الصاعقة، غارزا مخالبه، فاغرا منقاره لينتقم منها على خيانتها له.

■ ■ ■

إيخو ونركيسوس
«الصدى ونرجس»

كان زيوس ـ كبير آلهة اليونان ـ يتعشق فتاة حلوة. بارعة الحسن، رقيقة الشمائل تدعى «يو»، وكان برغم زوجاته الخمس أو الست، يختلف إلى حبيبته فى الخلسة بعد الخلسة، يؤانسها ويسامرها وتؤانسه وتسامره، ويبل فمه الظامئ من ثغرها الراوى بقبلة.. أو رشفة.

وكانت أولى زوجاته «حيرا» هى التى تزعجه بما تبث كل حركة من حركاته، وكان هو يضيق بكل ذلك، ولكنه لا يستطيع إلا أن يداهن ويداهن.. ويبالغ فى المداهنة، لشدة شغفه بحيرا ولأنه يحس فى الخضوع لها لذة أولمبية لا تعدلها لذة.. إلا لذة تدليله لحبيبته يو.

وكما كانت حيرا تمكر مكرها فى كل حين، كذلك كان الإله يمكر مكره.

أراد أن يشغلها عنه بملهاة تذهب من وقتها كل يوم بساعات يقضيها فى أحلامه الغرامية بين يدى يو، مستمتعاً بجمالها الفتان، سابحاً فى هذه اللجة المترعة بالمفاتن، فى كل جارحة من جسمها المشوقة.

وقد سنحت له الحيلة.

حدثها عن فتاة ناضرة الشباب، عذبة اللسان، وقادة الجنان تعرف من قصص الحياة وأنباء الدنيا ما لم يتيسر بعضه للآلهة أنفسهم. وكانت حيرا ـ ككل الناس ـ مولعة بالثرثرة، مشغوفة بالمعرفة، تبغض الصمت وتغرم بالكلام الطويل الموشى، ومع ذاك طلعة، بقدر ما هى إذن، تتكلم كثيراً وتثرثر كثيراً، وتسمع كثيراً.

وانطلقت إلى الفتاة فشغفت بها لأول اللقاء، ووجدتها كما حدث زوجها

فياضة القول، غزيرة القصص، تتدفق فى حديثها، تدفق الخمر فى الكأس، حتى إذا استقرت فى مكانها من الجسم، كأنها عصرت من حديث هذه الفتاة.

ثم جعلت تتردد عليها، وما تكاد الفتاة تفرغ من إحدى قصصها العجيبة حتى تأخذ فى أعجب منها وأغرب، وهى بين الآونة والأخرى ما تنى تنمق حديثها بالنكات البارعة، والملح الرائعة، مرسلة المثل فى مقامه، والحكمة فى موضعها، فى غير كلفة أو عناء، ثم هى كانت رقيقة دقيقة، لا تمل السامع ولا ترهق الناظر وكانت تقبل على سمارها وكأنها تختص كلا منهم بقلبها، وكأنها تلقى إلى كل منهم بقرارة نفسها، حتى ليحسبها كل له وحده بما يحسبه تؤثره به من عطف، وتغمره من ود، وتزجى إليه من محبة.

وكانت حيلة صائبة من زيوس، شغل بها حيرا طويلاً، ليفرغ هو إلى يو.. فيا للآلهة!!

ولكنها شعرت من زوجه لفحة الصيد، وأحست فيه انقباضاً وجفوة، فوقر فى نفسها أن لابد من أمر، وأن هناك سرًا أى سر، فآلت لتكتشفن ما تغفلها فيه.

وبث عيونها وأرسلت أرصادها، حتى استوثقت مما كان بينه وبين يو، وأدركت أنه قصد إلى إلهائها بهذه القصاصة الخبيثة ليفرغ هو إلى لباناته. وأوطاره!

ولا ندرى ما ذنب الفتاة التى ملأت أذنى حيرا سحرا، ونفثت فيهما موسيقى وألحاناً؟ لقد ظلمتها زوجة الإله الأكبر، التى تحمل بالباطل لقب حامية النساء وحافظة الأجنة، حين أقسمت لتسلبنها الطلاقة والذلاقة، ثم لتسلطن عليها لسانها العى والحصر يشقينها ويعذبنها!

لقد كان كل ما اتهمت الفتاة به أنها كانت سبباً فى تمادى زوجها فى غى حبه، وإبعاده فى ضلالة هواه فنفثت فى عقد سحرها، ثم قصدت إلى الفتاة المسكينة فنهرتها، وأرسلت عليها شواظا من غضبها، وقذفتها برقية من رقاها المهلكة، لم تستطع بعدها أن تلجلج لسانها بكلمة واحدة تفرج بها عما فى نفسها.

وقهقهت حيرا حين حاولت الفتاة أن تتكلم فلم تستطع، ثم شاءت الخبيثة أن تظهر آية أخرى من آيات غدرها، فقالت بعد أن نفث نفثة ثانية:

ـ أنا أسميك ايخو، وأمن عليك فأطلق لسانك باللفظة المفردة ترسلينها فى ذيل كل كلام تسمعين.. اللفظة الأخيرة فحسب يا ايخو.

فردت الفتاة المسكينة:

ـ إيخو!!

أما يو فقد نفذت إليها حيرا وحبت عليها من جام سحرها ما تحولت به إلى بقرة صفراء فاقع لونها.. تسوء الناظرين.

دهشت الفتاة لبيانها أين ذهب، ولصوتها الجميل أين ولى، وللرخامة الفضية التى كانت تترقرق من فمها الشتيت كيف ضاعت، ولهذا السحر الدنىء.. كيف قضى على أولئك جميعاً؟!

لقد بكت كثيرا.. وتوسلت إلى الآلهة، ولكن.. أين الآلهة؟ لقد تصاموا جميعاً، لأن حيرا هى القاضية، ولأنهم يشفقون أن تفسد أسباب السماء كما أفسدت الأرض على عرائس البحر!

وأطلقت ساقيها للريح، فيممت شطر غابة ذات ماء وذات أفياء، ثم إنها اتخذت لها مأوى فى أصل سنديانة ضخمة الجذع، معروشة الفروع.. وارفة الأفنان، وأقامت ثمة تجتر أحزانها وتسعر أشجانها، وتقابل بين ماضيها السعيد وحاضرها الشقى، وتسكب بين هذا وذاك دموعاً ساخنات وعبرات غاليات! وبينما هى سادرة فى كهفها مستغرقة فيما آل إليه أمرها إذ بصحب يافع من الشباب اليانع يمرون، وهم يتحدثون أحاديث الصبى، ويتسامرون سمر الفتوة، بأشهى مناعم الحياة.

وظلت ترقبهم وتستذكر أيامها الخوالى، إذا الشمل مجتمع والرواد محدقون، مرهفة آذانهم، شاخصة أبصارهم، فاهتزت هزة المحموم بالشجن، المروع بالشجى!

وأطلت من كناسها، فرأت الغلام الإغريقى المشهور «نركيسوس» الذى دله

الآلهة بجماله، وتام عذارى أثينا بنضارته وإشراقه، رأته يتخلف عن أصحابه، مأخوذاً بجمال نرجسة حلوة اقتطفها من غصنها المياس وفننها المياد، ثم وقف يحدق فيها بعينيه المعسولتين، اللتين لونتهما شمس الجنوب بهذه الصبغة السحرة، وكمنت ملأهم يعاسيب الفتنة، تنتشر منها فى دنيا القلوب!

والسبيل فى الغاب ملتوية متداخلة.. تيه يضل فيه العابر، ويباب أخضر لا يهتدى فيه السائر هنا منعرج لا يصل منه الإنسان إلى أمن وهناك منحنى لا ينتهى إلى سلام، ولقد مضى الدليل مع الصحاب، ولبث نركيسوس وحده، يضرب أخماساً لأسداس.

ولم تستطع ايخو حين أبصرت به أن تفلت من هذا الشرك المنتشر حوله، تعلق بخيوطه السحرية القلوب والألباب.. فأحبته بكل قلبها، وأرسلت فى نظراتها إليه.. نفسها تتمرغ تحت قدميه، وتهمهم بين قدميه، كأنها خلقت له.. لا لها!

ولكن كيف السبيل إلى التعبير عن هذا الهوى الملح، والحب المخامر، ولسانها فلا عقال إلا من المقطع الأخير، ينطلق فى إثر الحديث، أو اللفظة المفردة تردفها بصياح كل صائح، وهتاف كل هاتف؟!

وراحت تقتفى أثره، من غير أن تشعر هى ودون أن يشعر هو، ونقص خطاه وهى لا تعى ما تفعل، وهو لا يدرك كذلك، فكان دبيبُها كدبيب القطا، أو كوثب الضفادع على أن حركة غير مقصودة أتت بها ايخو جعلته يعتقد أن أحداً من سكان الغابة يتبعه فصاح قائلاً.

ـ من؟

فرددت المسكنية نداءه:

ـ من؟

فقال:

ـ هل من أحد هنا؟

وأرسل هذا السؤال فى رعب خفيف، فرددت ايخو اللفظلة الأخير «هنا».

فهب نركيسوس وقال وقد خال المتكلم امرأة.

ـ هلمى يا فتاه.. هلمى.

فرددت ايخو اللفظة الأخيرة:

ـ هلمى.

فزادت حيرته وتضاعف خباله، وقال:

ـ لم لا تأتين إلى وليس هنا أحد يرى؟ ولا إنسان يشهد.

فثار كامن الهوى فى نفس إيخو، ونطقت اللفظة الأخيرة:

ـ يشهد.

وعاد نركيسوس يقول:

ـ يا فتاة.. ليت شعرى ما يحجزك؟ أين أنت إن كنت هكذا تستحيين؟ تعالى..

وكأن ايخو أدركت أن الفرصة سانحة للقاء هذا الحبيب الطارئ، فبرزت من مكمنها فى غير هيبة ولا وجل، وقصدت إليه تعرض حبها ولظى جواها، ولما لم يكن فى مكنتها أن تخاطبه، لتكشف له عما تضمر من هيام به، ومحبة له، بدا لها أن تثب إلى حيث هو فتعانقه، وتضم صدره إلى صدرها، ليبث أحدهما للآخر.

ولم تكد تفعل حتى جهد نركيسوس فى تخليص نفسه منها، ثم انطلق فى الغابة لا يلوى على شىء كالرئم المروع، والظليم المفزع..!

وذلك أنه لم يجرب هذه المفاجأة بالحب، ولا وقع مرة فى شراك غرام، وقد ريكته ايخو حين غمرته بكل حبها، فشرق به وغص، وقال:

ـ الفرار.. القرار.

وتسلط الهم على قلبها فشفه والشجن على جسمها الناحل فأضناه، وكانت

صدمة هائلة صدعت جوانب نفسها، وزادتها نكالاً على نكال، ثم تتابعت الأيام وهى ما تزداد إلا سقما.

واضمحلت.. ثم اضمحلت.. حتى غدت لا شىء!!

ولا شىء هذه ليست مبالغة فيما حل بها، إذ الصحيح أنها غدت لا شىء، إلا هذا الصدى يتردد فى كل واد، ويذهب أثر كل نداء.

وهى إلى اليوم تأوى إلى الغيران، وتتخلف إلى الشطئان وتتحدر مع الريح على جنبات الجبال، تنعى همها، وتندب حظها فى النادبين!

وشاءت المقادير أن تنتقم لإيخو المعذبة من هذا الشاب الجميل نركيسوس، الذى حطم قلبها الغض، وقضى على نفسها المحزونة، فبينما فى طراد عظيم، فى يوم قائظ، عرج على خميلة ناضرة ملتفة الأغصان ليشرب من الغدير الصافى الذى يترقرق من تحتها.. وما كاد ينحنى إلى الماء حتى رأى صورته فى صفحته الساكنة، فبهره حسنها، وأخذ يرمقها بقلق مشوق ونفس هائمة، وهو لا يعلم أن الحبيب الذى تامه ما هو إلا ظله، وعروس الماء التى تبلت فؤاده إن هى إلا خياله!!

عينان كبيرتان ذواتا أهداب زانهما وطف، وجبين واسع وضاء مشرق، وخدان أسيلان كخدود ربات الأولمب، وخمل حلو نابت فوق بشرة الوجه يزيده رونقاً وجمالاً، وثغر حبيب كأقحوانة تتفتح، ترف حوله بسمة ساحرة من حين إلى حين، وذقن رقيق مستدق يرتفع على عنق يونانى رائع، ثم فتنة تغمر ذلك جميعاً.

خاطبه نركيسوس، ولكن وا أسفاه! إنه لا يرد تمتمة، ولا يجيب إلا كما تهمهم الريح!

ومد يده.. فمد الخيال يده. واستطير صاحبنا من الفرح، ظاناً فى أن حبيبه تواق إلى ما يريد!

واقترب بفمه يريد قبلة، فاقترب الخيال بفمه كذلك ولكن.. يا لخيبة الأمل،

ما كاد العاشق الولهان يمس الماء بشفتيه حتى ذهب حلمه أباديد! وتكسرت منى نفسه الحيرانه، وفر الخيال فى شظايا الماء.. وتحطمت الصورة الرائعة بددا، وخيل لنركيسوس أنها تقول وهى تهتز قبل أن تلتئم:

ـ لا.. لا.. لا.. لا.

ولبث عبثاً يحاول قبلة، وتتكرر الآية كلما مست الماء شفتاه.. فانطلق مغيظاً محنقاً، وهام فى القفار على وجهه، لا يطيب لجفنه السهد كرى، ولا يحلو بفمه المرير عيش، لجفاء الحبيب ونفره آسية العجيب!!

نركيسوس.. الذى بلبل قلوب العذارى، وسفك دموع الحسان، وضرج كبرياء الغيد بالدم، وأذل الفاتنات... نركيسوس.. الذى ألقى بحب إيخو فى التراب، تسبيه صورته ويتصباه خياله، ويأسره ظله، فيا لنقمة كيوبيد، ويا لعدالة فينوس!!

لقد طفق يختلف إلى الغدير لدى كل شروق شمس، يناجى حبيبه المعبود وأمله المنشود، فلا ينثنى إلا إذا توارت الشمس بالحجاب!

وما انفك يشكو ويتوجع ويستعطف، وما لنفك الخيال يتصام ويتباكم وإذا تحدث تمتم!!

ثم.. ثم ذوى عوده، وذبلت نضرته، وتهدم جسمه، وتحطم قلبه، وتأرجحت روحه فى حدقتيه.. و.. دنت ساعته.

وقف إيخو فى فنن وارف، فى أيكة قريبة من الغدير، تشهد الفصل الأخير من مأساة حياتهما وسمعته يقول مخاطباً ظله:

ـ أيها الحبيب.. أجل لقد حق لك أن تنتصر على كبريائى وتسحق مرتى، وتهد أعضائى، هأنذا أموت أيها الحبيب.. بقربك.. يا عروس الماء النافر.. أموت.. وأحبك.. فالوداع.. الوداع.

وبكت ايخو ورددت هذا الصدى الحبيب قائلة:

ـ الودااااع.

وأقبلت عرائس الماء تنوح بدورها على نركيسوس، ثم ذهبت فى أرجاء الغابة تجمع الحطب لإحراق الجثة، كما جرت بذلك العادة فى ذاك الزمان، ولكن يا للعجب! لقد عادت فما وجدت غير زهرة جميلة من أزهار النرجس! انحنت على صفحة الغدير تنظر فيه إلى ظلها. وتذرف دمعها.. قطرة فقطرة.



أبولون ودفنى

كانت دفنى أول من أحب أبولون على أن هذا الحب لم يأت عفوا لحوادث، وإنما كان نكاية من كوبيدوس وكيدا، استطاع به إله الحب الصغير، أن ينتقم لنفسه من ابن زفس بل من إله من أكبر الآلهة الذين عرفهم المقام الأولمبى.

فقد رأى أبولون الصبى كبيدوس يلعب بقوسه وسهامه وكان أبولون قد انتصر فى ذلك الوقت على فوتون ومازالت نشوة الانتصار تتأجج فى صدره، وتضطرم صورتها فى قلبه، فراح تياها فخوراً فلما رأى الصبى فى لهوه، أكبر منه أمر اللعب بالقوس والسهام وقال له:

ما لك ولآلات الحرب، وما أنت صانع بها؟ إنما يجب عليك أن تتركها للأيدى التى تحسن حملها، وللأبطال الذين يعرفون كيف يجمونها أيها الصبى الناشئ. اترك هذه الآلات للذين هم معتادون أن يقتحموا بها المعارك ويشقون بها طريقهم إلى النصر. انظر إلى النصر الذى توجت به جبينى، وإلى الفتح العظيم الذى نلته بانتصارى على الحية فوتون وكانت قد نشرت جسمها السام على ما شئت من فضاء الأرض، ألا فاقنع أيها الصبى بمشعلك فأوقده وأرسل لظاه ووجه ألسنته إلى حيث شئت، ولكن حذار أن تتخذ من أسلحتى ألهوة تتلهى بها.

فلما سمع ابن فينوس هذا الكلام التفت إلى الإله الكبير وقال له:

- إن سهامك قد تصيب حيث شئت أن تصيب بها، ولكن سهامى سوف تصيبك فى الصميم.

وما إن فاه بهذه الكلمات حتى اعتلى صخرة من صخور «فرناسوس» واستل من جعبته سهمين، كلاً منهما يختلف عن الآخر، فأحدهما يثير الحب، والثانى يقمعه وكان الأول مصنوعاً من الذهب، حديد السنان ماضى الحورية «دفنى» ابنة «بنيوس» إله النهر، وبالسهم الذهبى وشق أبولون فشك فؤاده.

وكأنما ذلك السهم الذهبى كان لهيباً أضرم فى قلب أبولون لظى الحب فراح يهيم بدفنى هياماً ويغرم بها غراماً.. كان فى قلب دفنى من البغض له والإشفاق منه ما يعادله ويزيد، وإنما كان لهذه الحورية الجميلة غرام بالجراح، الغابات الملتفة وبالألعاب التى تجد فى سكون تلك الغابات متسعاً لها، ومجالاً يكفيها وقد تبعها كثير من المحبين وتعقبها عديد من المغرمين بها فاقصتهم عنها ونفرت منهم نفوراً ومضت تحول فى الغابات متنقلة فى فضائها وتحت خمائلها، كأنها شعاع الشمس المضيئة فى غيهب من الليل البهيم، ولم تفكر فى كوبيدوس ولا فى سهامه التى يصيب بها القلوب ويضرم بها الأحشاء.

أما أبوها فكثيراً ما نهاها عما كانت فيه، فلم تنته، ونصحها فلم ترعو، وذات يوم أقبل إليها يحدثها بلين ورفق قائلاً:

يا بنيتى! إن لى فى عنقك حفيداً، بل حفيدة.

ولكنها كانت ترى أن الزواج جريمة كبرى، بل معصية عظمى، فاحمر وجهها الجميل خجلاً، وألقت بذراعيها حول عنق أبيها قائلة:

- يا أبى العزيز: هبنى الهبة التى أطلبها، هبنى الحرية فى أن أظل عذراء وأن أبقى بغير زوج، كما بقيت ديانا!.

فلم يسمعه إلا الإذعان لمشيئتها، وانصرف عنها وهو يتمتم:

- إن وجهك يأبى أن تظلى كما تريدين.

كان أبولون قد أحبها، ورغب فى أن تكون له، غير أن أبولون ذاك الذى كان يقسم الحظوظ على الدنيا بأسرها، قد أنس العجز فى أن يصرف حظ نفسه، وأن يسعد بأمنية قلبه، ولقد رأى ذات يوم شعرها الفاتن مرسلاً من فوق كتفيها الجميلتين فأهاب بها:

- إذا كان هذا مقدار ما فى شعرك مرسلاً، فكيف بما إذا تعهدته اليد الصناع، فأظفى عليه الفن جمالاً فوق جمال؟

ورأى فى عينها بريق النجم المتألق، ورأى شفتيها الفاتنتين، ولم يقو على أن يقنع بمرآهما، ولقد جن بيديها المواستين، وذراعيها اللتين اتخذهما الفن مثالاً ينسج عليه، وكتفيها العاريتين اليضتين، ولقد خيل إليه أن ما احتجب عن ناظريه من جسمها كان أوفى جمالاً، وأعظم فتنة مما ظهر فيه.

وتعقبها أبولون وهربت دفنى فكانت أسرع من الريح وأعجل من السهم الضال، ولم تتثن عن التنقل فزعة خائفة لتستمع إلى شىء من تساؤلاته قائلاً:

قفى يا ابنة بنيوس فلست عدواً ولا منتقماً جباراً، لا تفرى منى فرارة الشاة من الذئب، أو فرار الحمامة من الباشق، إنما أتبعك مسوقاً للحب، إن ما يسعدك يتعسنى، وفرارك يؤلمنى، حذار أن تزل قدمك فيصيبك من هذه الصخور أذى، أتوسل إليك أن تكونى فى فرارك أكثر تريثاً وأقل سرعة، وأنا أعدك أن أكون فى طرادى كما تكونين فى فرارك. إن أبى المشترى وأنا سيد دلفوس وتندوس، إنى عليم بكل الأشياء، شهادة وغيباً. إنى إله الأغنية والإيقاع، إن سهامى لن تخطئ الغرض. وأسفاه، فإن سهماً أشد من سهامى فتكاً وأنفذ فعلاً اخترق قلبى أنا إله الطب الذى يعرف خصائص جميع العقاقير الشافية. ولكن أشكو مرضاً تعجز جميع البلاسم عن أن تبرئه.

غير أن الحورية كانت تتابع الفرار، تاركة توسلاته إلى الرياح، تتولاها بالشتات والتبديد، على أن فرارها كان مبعث إعجاب فى قلب أبولون فقد كان الهواء يعبث بفضل ثيابها، وينشر شعرها الجميل مرسلاً من ورائها غير أن الإله ذهب صبره وقلت حيلته فى إغرائها بالتوسل وشفاعة الحب، فأسرع الخطى، مسوقاً بسهام كوبيدوس ليلحق بها ويقطع عليها شوط الفرار الدائم، فتبعها كما يتبع السلوقى فريسته فاتحاً ذراعيه، فاغراً فاه، مبدياً نواجزه، والفريسة الضعيفة جادة فى الهرب، مطلقة للريح ساقيها، تطلب النجاة وعلى هذه الصورة كان الإله يتبع الحورية الربانية وهو يطير وراءها على أجنحة الحب، وهى تفر منه على أجنحة الخوف والإشفاق.

ولاحت بداية المنتهى، لما أن أدركها أبولون ولحق بها فكانت أنفاسه فى ظهرها، ثم مد يده فكانت فى قبضته وتراخت مفاصلها واضمحلت قواها، فترنحت وكادت تسقط على الأرض إعياء ورعباً، ولكنها وجدت بقية من قوة اليأس فصاحت بأبيها:

- أدركنى يا بنيوس افتح الأرض لتنشق فتبتلعنى، ثم تستوى على، أو فغير هيئتى التى كانت سبباً فى أن أقع فريسة هذا العدوان.

ولم تكد تتم صيحتها حتى يبست مفاصلها، وانقلب صدرها إلى جذع شجرة كبيرة يكسوه لحاء خشن كثيف، وتطور شعرها فأصبح أوراقاً، وذراعاها فصارتا أغصاناً. وغاضت رجلاها فى الأرض فأصبحت غصوناً وشعيرات، وتحول وجهها إلى قمة شجرة، فلم يصبح فيه من شىء مما كان اللهم إلا مسحة من الكمال تذكر من يشهدها بجمال من كانت قبل أن تنقلب ذلك الانقلاب السحرى فتصير شجرة.

ووجم أبولون ينظر بتعجب فيما يرى، ولمس الجذع بيده، وأراد أن يتحقق الأمر، فلمس الأوراق بفمه فكان نباتاً لا أثر للحيوانية فيه، بل تذوق فيها طعم نبات لم يعهده، وتفرس الشجرة ساعة ثم مضى يهمس بكلمات خافية:

- أما وقد فاتتى أن تكونى لى زوجة، فلن يفوتنى أن تكونى شجرتى سأتخذ منك إكليلاً ألبسه فوق رأسى سأجمل بك قيثارتى وجعبة سهامى، فإذا جاء الوقت الذى سوف يقود فيه أبطال الرومان جحافلهم قافلين إلى الوطن إثر انتصاراتهم التى سوف يشهدونها، فهنالك يعقد من أغصانك أكاليل تتوج رءوسهم وكما أنى خصصت بهبة الشباب الأبدى فكذلك ستكون أوراقك دائمة الإخضرار، فلا تجف ولا تكون هشيما، أنت يا شجرة الغار!.

■ ■ ■

اختطاف برسيفون

كانت ديميتر واحدة من بنات الإله ساتورن أول من جلس على عرش أورانوس من زوجته ريا واستطاع ديميتر أن تكسو الأرض منذ هبطت إليها بالأزهار والغابات والحقول.. فجعلها اليونان ربة الأرض، وتمثلوها امرأة تتوج رأسها سنابل القمح وأزهار الحقول، وتمسك بإحدى يديها منجل الحصاد، وباليد الأخرى حزمة من نبات القمح. واعتادوا أن يحتفلوا بها كل عام عند قدوم الربيع، حيث يقدمون لها خنزيراً لترضى عنهم وتبارك محاصيلهم.

لم يكن لوادى «أنا» نظير بين أودية الجبال، ومع أنه كان يقع فى أعلى قمة من قمم جبال صقلية، كانت الرياح العاتية لا تستطيع أن تقترب منه، بل كانت تهب عليه نسمات رقيقة حانية من رياح الغرب.

وكانت حشائش الوادى، لذلك، خضرا لا تجف، وأزهاره متفتحة لا تذبل، أما الأشجار، فكانت تتساب من خلالها غدران باردة تتلألأ مياهها، فتبدو كأنها انعكاسات فضية من السماء، وكانت «ديميتر» أعقل الآلهة جميعاً: أم الأرض، وربة كل ما ينبت فيها من نبات، وما يدب على سطحها من حيوان - تعيش فى أعماق هذا الوادى الجميل.

وكانت «ديميتر» تسمح لابنتها الصغيرة «برسيفون» بالخروج بضع ساعات كل يوم للعب فى مروج «أنا» العجيبة، ولذلك لم يكن غريباً أن تخرج «برسيفون» فى ذلك اليوم لتلعب مع أقرانها من بنات حوريات الوادى.. يخلعن نعالهن، ويعدون بأقدامهن العارية على الحشائش الرطبة اللينة. وصاحت «برسيفون» فى لداتها خلال الضحك والمرح:

هيا بنا نقطف الأزهار.

وهللت الصغيرات، وطفقن يجمعن ما طاب لهن من زهور جميلة بين بنفسج وزنبق وسوسن أرجوانى.

ولفتت الأصوات المرحة الضاحكة انتباه بلوتو.. إله العالم السفلى، حين كان ماراً فى مركبته الداكنة التى تجرها أربعة جياد، فى سواد الليل البهيم.

وأطل بلوتو إلى الصغيرات، فأعجبته تلك الصبية الضاحكة الحلوة، التى كانت تقفز هنا وهناك، فى مرح لم ير مثله قط فى عالمه المظلم المخيف.

وتوقف بلوتو، واستغرق فى دوامة هائلة فى التفكير.. لقد تصور مملكته الكئيبة القاتمة، ومحاولاته الدائمة فى البحث عن ربة ترضى أن تشاركه الجلوس على عرش العالم السلفى، وما كان يقابل به دائماً من رفض الربات كلهن الاستماع إلى توسلاته، فلم تقبل واحدة منهن الهبوط إلى عالم مظلم لا تشرق عليه الشمس، ولا تشدو فى أجوائه الطيور.

وكان بلوتو ـ لشدة شوقه إلى ملكة تجلس بجواره، ويأسه وألمه من محاولات الحصول على بغيته عن طريق الإقناع ـ قد قرر أن يستعمل القوة للوصول إلى تحقيق مرامه.

ورأى بلوتو ـ فى هذه اللحظات بالذات ـ «برسيفون» وأيقن أن جمالها الوضاء، وفتنتها الطاغية، هما القادران على بعث الحياة فى مملكته الخامدة الكئيبة.. وهكذا قرر أن يختطفها!

أما «برسيفون» فلم تنتبه إلى وجود غريب فى مكان مرحها، وانطلقت فى ضحكها ومرحها.. متنقلة من زهرة إلى زهرة.

وفجأة.. لمحت «برسيفون» زهرة رائعة لنوع عجيب من النرجس، ملكت عليها حواسها، وأنستها كل ما عداها.

وقفزت الصبية إليها، ووقفت إلى جوارها، وراحت تتأملها فى سرور وإعجاب.. لقد كانت تختلف عن كل زهرة رأتها من قبل، وكانت ساق الزهرة

تحمل مالا يقل عن مائة نورة، أما شذاها فقد ملأ أريجة العطر أرجاء الوادى، وانتشرت على قمة الجبل.

ونادت «برسيفون» رفيقاتها ليشهدن معها جمال الزهرة العجيبة، إلا أنهن لم يسمعنها، فقد كن ابتعدن عنها كثيراً فى عدوهن بين المروج.

واندفعت برسيفون لتقطف الزهرة، وأمسكت بعودها فأحست كأنه حية رقطاء تتلوى بين أصابعها.. وحاولت أن تكسر العود فلم تتمكن، ولم تجد وسيلة إلا أن تقتلعه من جذوره ومالت على الشجيرة تقتلعها، فأحست بالتربة السوداء تلين حولها، ثم انشقت الأرض فجأة عن مغارة سوداء فسيحة، وثبت منها أربعة جياد سود، تجر مركبة داكنة يجلس فيها ملك متوج، لم يسبق لعين أن رأت مثله على ظهر الأرض.

ارتعدت الصبية مذعورة، إلا أن بلوتو كان قد قرر أن يأخذها عنوة.. فلم يترك لها الفرصة لتسترد أنفاسها اللاهثة، فانقض عليها، ورفعها بين يديه وأجلسها بجانبه، ثم ألهب ظهور جياده، فانطلقت تسابق الريح!

ظل بلوتو ينهب الأرض بمركبته والقلق، يملأ قلبه خشية أن تلاحقه ديميتر فتسترد ابنتها الحبيبة ولم يحاول أن يتوقف قليلاً ليريح الجياد. بل كان كلما تباطأت، أو خيل إليه أن سرعتها قلت عن ذى قبل، انهال عليها بسوطه فى قسوة، فاندفعت والزبد يتناثر من أشداقها.

وبلغ بلوتو آخر الأمر نهر سيان فوجد أمواجه صاخبة مرغية مزبدة، تقطع عليه طريق الهرب.. وأصبح محاصراً لا يمكن أن يتقدم إلى الأمام، ولا يجرؤ على أن يعود إلى الخلف.

ثم تذكر رمحه المقدس ذا الشعبتين، فتناوله ورفعه إلى أعلى وضرب به الأرض ضربة قوية، فانشقت عن هوة واسعة ممهدة.. انحدر إليها بعربته وجياده وأسيرته، وراح يخترق أعماق الأرض حتى بلغ مملكته فى عالم الموت.

أما ديميتر فقد كانت تشرف على الحصاد فى بلد آخر بعيد عن وادى

«أنا».. إلا أن صرخات برسيفون التعسة سكت - على بعد الشقة - سمعها، فاندفعت إلى الوادى صارخة مولولة تنادى ابنتها، ولكنها لم تسمع لنداءاتها ردا سوى رجع الصدى.

وامتلأ قلب ديميتر أسى ولوعة، وراحت تذرع الوادى طولاً وعرضاً باحثة عن ابنتها.. تندبها وتبكيها فى حرقة ولوعة، وقد يئست تماماً من العثور عليها.

ونادت «الربة» رسولها الخاص.. طائر الكركى الأبيض، الذى يحبس الأمطار.. وأمرته بالبحث عن ابنتها ودار الطائر حول العالم دورة سريعة، جاب فيها الأقطار، وعاد إلى ربته بلا خبر.

ومضت الأيام ولم تعد «برسيفون».

وصعدت ديميتر إلى قمة جبل أتنا ثم راحت تقطع الفيافى والقفار، وتطوف مشارق الأرض ومغاربها.. تتسلق المرتفعات، وتهبط الوديان، وقد ولى صباها، وانحنى ظهرها لثقل ما تنوء به من هم على فقدان ابنتها.

وكانت ديميتر تخترق ذات يوم صحراء جرداء قاحلة، فاشتد بها العطش وأدركها الإعياء فسقطت على الرمال، وما كادت تنهض حتى تعثرت وسقطت وأحست ببوادر الهلاك تدب فى جسدها، وراحت فى غيبوبة طويلة.

وفتحت ديميتر عينيها فوجدت إلى جوارها «هيكيت» حاملة فى يدها مصباحاً، وتبدو كمن تبحث عن شىء.. وقدمت إناء ممتلئاً إلى ديميتر فشربته إلى آخر قطرة، ثم سألتها عن قصتها، فحكمت لها ديميتر قصة ابنتها وأخبرتها هيكيت أنها سمعت هذا الصراخ، مصحوباً بقرقعة عجلات رهيبة، ونصحتها بأن تلجأ إلى أبوللو إله الشمس.. فهو الوحيد الذى يمكنه أن يدلها على مكان ابنتها.

انطلقت ديميتر إلى رب الشمس ضارعة متوسلة وكان أبوللو جالساً فى مركبته استعداداً لاستئناف رحلة كل يوم عبر السماء وعندما سمع توسلاتها، أوقف جياده النارية، وأخبرها أن بلوتو رب العالم السفلى هو الذى خطف ابنتها، وأخذها لتقيم معه فى الأعماق المظلمة.

وعندما عرفت ديميتر حقيقة الأمر، أدركت أن ابنتها لن تعود.. فنضت عنها ثياب الآلهة، وقررت أن تعيش على الأرض متنكرة فى زى عجوز حطمتها السنون.

وعاشت ديميتر على الأرض تجوب أرجاءها آناء الليل وأطراف النهار دون أن يعرفها أحد.. إلى أن وصلت ذات يوم إلى اليوسس مجهدة قد نال منها الإعياء والتعب.. وأخذت تتجول فى شوارع المدينة، حتى وجدت نفسها داخل حديقة جميلة. فاستندت إلى سياج رخامى يحيط بنافورة تتوسط الحديقة.

وشاهدت ديميتر بعد برهة أربع فتيات فى سن ابنتها يمرحن فى الحديقة وتصورت برسيفون الضاحكة، وكيف كانت تمرح كالزهور بين الزهور، فتحدرت على خديها خيوط متصلة من الدموع.. وانتبهت الصبيات إلى العجوز الباكية، فاقترين منها، والتففن حولها وأخذن يسألنها عن سر بكائها وحزنها.

فأجابت بأن لصوصا اختطفوها من بين أهلها، ولكنها تمكنت من الهرب منهم، وظلت تجرى حتى وجدت نفسها فى هذا المكان، ولم تعد تعرف مكاناً تأوى إليه.

وتركتها الفتيات الصغيرات بعد أن استأذن منها وانطلقن إلى قصر أمهن الملكة «ميتانيرا» وأخذن يحدثنها عن العجوز الطيبة، ويطلبن منها أن تدعوها إلى القصر.. واستجابت الملكة لفتياتها الصغيرات، وأذنت لهن باستدعاء العجوز.

ودخلت ديميتر القصر، فأكرمت ميتانيرا وفادتها، وجلست تتجاذب معها الحديث. وعرفت ديميتر من ثنايا الحديث، أن ابن الملكة الصغير يعانى مرضاً عضالاً، حار فى علاجه الأطباء.وطلبت ديميتر أن ترى الطفل، فقادتها الملكة إلى فراشه، فنظرت العجوز إليه، وقالت لأمه إن علاجه سهل عليها، وإن فى إمكانها إنقاذه، وإن كان فى حاجة إلى عناية فائقة حتى ينجو من الخطر.

واستعطفت الملكة ضيفتها العجوز أن تبقى معها، وأن ترعى الطفل، فقبلت ديميتر، وطلبت أن تخصص لها حجرة تقيم فيها مع الطفل حتى تتمكن من علاجه.

ومرت الأيام.. وصحة الصغير تتقدم يوما بعد يوم حتى تم له الشفاء، ثم مرت الشهور، والطفل ينمو، ويزداد تعلقاً بالعجوز التى لم تعد تطيق فراقه لحظات.. بيد أنها خلال ذلك لم تكن تنسى ابنتها الغائبة «برسيفون» فكانت متى هبط الليل، وأغلقت عليها حجرتها، تبكى بكاء مرا حتى يغلبها النوم على أمرها.

وكانت الغرفة التى تقيم فيها ديميتر متى جاء الهزيع الأخير من الليل، تضىء كأن نور الشمس يسطع فيها، وتنبعث من جسمها نار ذات لهب، فتنهض من فراشها، وتمسك بالطفل بين يديها، وتغمره فى تلك النار المقدسة.. والطفل يضحك، ويضرب برجليه فى الهواء.. ثم تخمد النار بغتة، وتظلم الحجرة، فتعود ديميتر إلى فراشها وبجانبها الطفل.

ولم يكن أحد يدرى سر ما يحدث حتى سرت إشاعات فى القصر بأن العجوز تشعل النيران فى حجرتها، وأنها تحاول إلقاء الطفل فيها. وأسرت بعض الوصيفات ممن تجسسن على العجوز، الأمر إلى الملكة.. فامتلأ قلبها رعباً، ونهضت فى الوقت الذى حددته الوصيفات، وأطلت الأم فرأت طفلها نائماً نوماً عميقاً فى فراشه.. أما ديميتر فكانت واقفة والشرر يتطاير من عينها، وأسرعت الأم إلى ابنها تحضنه.. وتكلمت ديميتر فى صوت رهيب:

أيتها الأم.. لقد حرمت ولدك نعمة الخلود بجهلك وتسرعك!

وأدركت الملكة أن ضيفتها ليست إلا إحدى الربات الخالدات، فجثت على ركبتها متوسلة:

عفوك يا مولاتى.. لقد رأيتك تلقين بابنى فى النار، فلم أتمالك نفسى.

وأجابت ديميتر:

- لقد جاهدت طوال هذه الشهور لكى تبيد النار المقدسة عناصر الفناء فى جسم ولدك فيمنح الخلود، وكادت جهودى تكلل بالنجاح لولا تدخلك.

وبكت الأم فى أسى، وتحرك قلب ديميتر شفقة، فابتسمت قائلة:

حسناً.. لئن كان ابنك قد حرم الخلود. إلا أن الآلهة ستهبه ذكاء نادراً، وقوة خارقة.. وسيكون طويل العمر. محبوباً من الناس جميعاً.

ولم يكن أمام ديميتر إلا الرحيل بعد أن افتضح تنكرها. واضطرت إلى الظهور فى زيها المقدس.. إلا أنها قبل أن تمضى وعدت بالعودة إلى المدينة إذا أقيم فيها معبد تقدم فيه القرابين.

ولم تمض أشهر قلائل. حتى كان أهل اليوسس قد أقاموا معبداً عظيماً للإلهة ديميتر.. وما هى إلا أيام حتى عادت الربة لتقيم فى معبدها الخاص.. وقد عقدت العزم على اعتزال جميع الآلهة إلى أن تعود إليها برسيفون.

ومرت الأيام.. وكانت ديميتر قد أهملت الحب فى الأرض، فلم يعد ينمو فيها نبات ولا زرع. وندر القمح حتى خلت منه الطواحين. وجفت الحشائش، وتجردت الأشجار من أوراقها، ورحلت الطيور عن الأرض، وهزلت الماشية.. وبدأت معالم الحياة تختفى رويدا رويدا على ظهر الأرض.

وارتفعت صرخات الإنسان والحيوان، متوسلة إلى زيوس رب الأرباب، أن يتدارك الكون بحكمته قبل أن يحل به الخراب.

وأطل زيوس من عليائه فوق قمة الأولمب، فرأى الأرض يخيم عليها شبح الفناء، وأدرك أن الآلهة غضبت لحرمانها من القرابين التى كانت تقدمها «ديميتر».

واستدعى زيوس الربة «إيريس» وحملها رسالة إلى ديميتر أن تعود إلى الأرض.. ولكن إيريس عادت باكية بكاء مراً.. فقد أثار حزنها منظر ربة الأرض فى نحيبها الشقى على ابنتها الحبيبة برسيفون.

وأرسل زيوس الآلهة واحداً واحداً.. إلا أنهم فشلوا جميعاً فى إقناع ربة الأرض بالعودة إلى مكانها وعادوا إلى زيوس يجرون أذيال الفشل.

ولم يجد زيوس بداً من أن يرسل رسوله هرمز إلى مملكة بلوتو لإقناعه بإعادة برسيفون إلى أمها.. إلا أن الإله الكئيب، لم يكد يرى هرمز حتى سخر

منه، وأبى أن يرد برسيفون.

أما هى فلم تكد ترى رسول رب الأرباب، حتى استخفها الطرب، وطار لبها شوقاً إلى أمها فوثبت من فوق العرش.

وهنا وجد بلوتو نفسه مضطراً إلى القبول، فأمر بإعداد مركبته ذات الجياد السود، لكى تنقل برسيفون إلى الأرض.

وقبل أن تصعد إلى المركبة، سألها بلوتو أن تأكل رمانة من أشجار حديقته، فتناولت برسيفون واحدة أكلت منها أربع حبات ثم انطلقت بها المركبة ومعها هرمز إلى حيث كانت أمها ديميتر جالسة تبكى.

وهتفت ديميتر فى فرحة فياضة، عندما رفعت رأسها فرأت أمامها ابنتها تناديها، واندفعت إليها تحتضنها وتقبلها فى نشوة غامرة وعاطفة جارفة.

وبينما الأم وابنتها على هذه الحال.. تذكرت ديميتر فجأة شيئاً كان قد غاب عنها، وهتفت فى ابنتها تسألها فى قلق:

- خبرينى يا بنيتى.. هل تناولت طعاماً منذ انتقالك إلى العالم السفلى؟

فأجابت برسيفون:

- أربع حبات فقط من الزمان.

واستولى على ديميتر ذعر رهيب، ورفعت رأسها إلى زيوس ولكنها كانت تعلم الرد الوحيد الذى لا يمكن لأحد حتى رب الأرباب نفسه، أن يقضى بسواه!

إن على برسيفون أن تعود إلى العالم السفلى لتقيم مع بلوتو أربعة أشهر من كل عام، شهرًا لكل حبة من حبات الرمان.

وكان ما لابد أن يكون!

وعادت ديميتر ربة الأرض إلى واديها الجميل فى «أنا» ومعها برسيفون. ومع عودتها نبت الحب، واخضرت الأشجار وأزهر الزرع وعادت أسراب الطيور إلى

تغريدها وعلى رأسها الكركى رسول ربة الأرض.. وأصبحت برسيفون من ذلك الوقت ربة الربيع.

إلا أن ذلك كله كان يختفى ويتوقف، أربعة أشهر من كل عام وهى أشهر الشتاء المظلمة عندما تأتى مركبة داكنة تجرها أربعة خيول سود، فتحمل برسيفون إلى العالم السفلى!

ولم تعد ديميتر تبكى فإن ابنتها الحبيبة برسيفون تسعدها بجوارها ثمانية أشهر فى كل عام!

■ ■ ■

العذراء زهرة عباد الشمس

كانت كلوتى حورية معجبة بنفسها غاية العجب، إذ كانت فارعة الجسم، رشيقة القد. ذات عينين يتألق فيهما السحر وتتريص الفتنة، وأنف مستقيم أقنى ناصع البياض، وفم تكاد تهوى إليه النحل لامتصاص رضابه، وملامح متناسقه، حلوة القسمات، فاتنة البسمات.. وفوق هذا وذاك كان شعرها ذهبياً بلون أشعة الشمس، كثيفاً ترسله حول وجهها المشرق الوضاح.. وكان من عادتها أن تخرج كل يوم من نبعها وتمشط شعرها الجميل الفاتن وتجعله خصلاً عريضة متراصة حول وجهها، فيتألق فى ضوء الشمس إذ يعكس أشعتها ببريقه اللامع. ويكسوها فى جميع الأرجاء تبرًا وأسلاكاً عسجدية دقيقة، فيخيل للرائى أنه هالة من الذهب البراق حول وجه تلك الحورية الحسناء العابثة.

كانت كلوتى تحب دفء الشمس وحرارتها اللافحة.. فكانت تقف كل يوم وسط غديرها من الصباح الباكر حتى المساء المتأخر، تراقب عربة أبولو وهى تخرج من أبواب السماء فى كل صباح.. فتغمر الكون بأشعة الشمس المشرقة، وتملأ التلال والوديان بفيض من السعادة والبهجة والسرور.

وذات يوم رأت كلوتى أبولو يقود عربة الشمس، واضعاً تاجه البراق الثمين، على رأسه، فبدا وجهه الجميل ذا سناء وضاء.. لقد كان قوياً أنيقاً يمسك بأعنة جياده الأربعة الجامحة بيد من حديد، فلا تستطيع الجياد مع فرط قوتها، شراداً ولا إباء، بل تنقاد إليه طيعة خاضعة.

ظل أبولو يقود جياده عبر السماء الفسيحة الأجواز، المترامية الأطراف، طوال اليوم كله، متخذاً طريقه عبر السبيل الأوسط لا يحيد عنه يمنة ولا يسرة، فراحت كلوتى تراقبه معجبة بقوته وجماله وبهائه.. وأحزانه وأكمد نفسها، أن ترى عربة الشمس تميل نحو المغرب مخترقة البحار الغريبة حيث تختفى ولا

يعود فى مقدور كلوتى أن تمتع ناظريها برؤيتها.. وعندئذ خيمت على المعمورة ظلمة كالحة، وأحست الحورية الفاتنة المكتئبة بجسدها يقشعر ويهتز، فعادت إلى المياه عابسة الوجه مقطبة الأسارير، وبقيت طوال الليل تحلم برب الشمس، الشاب الفتى اللامع الوجه.. لا تستطيع صبراً على بعاده.

فما أن لمع الفجر الوردى فى أفق السماء، وشق حجب الظلام بخنجره الفضى الصغير، حتى نهضت الحورية المتيمة، بلهفة وخرجت من غديرها. وانتصبت واقفة إلى جواره، ترقب عودة أبولو، وقد تبرجت وازينت فى أبهى زينة وصففت شعرها الذهبى حول وجها بنظام بديع.. وسرعان ما ومض فى السماء الشرقية شعاع ذهبى خافت، ثم أعقبه ظهور عربة الشمس بجيادها الأربعة من جديد.. فراحت كلوتى تراقب أبولو فى شغف وشوق بالغين.. وظلت طوال اليوم تتابع سيره ودورته ببصرها، دون كلل ولا ملل، ثم تأوهت وأرسلت الأنات الحزينة، عندما أبصرته يعود إلى الغرب ويختفى عن ناظريها.

لا شك أن حوريتنا الرشقة الفاتنة، قد وقعت فى غرام الرب الأنيق، الذى استولى على قلبها وعقلها، وسيطر على فؤادها وجنانها، وغرقت فى عشقه حتى شفتيها.. فانطبعت صورته فى مخيلتها، وتربع هو فى قلبها فلم تعد تفكر فى أحد أو شىء غير أبولو رب الشمس الساطع الطلعة المهيب المحيا. حقاً لقد شغل عقلها وفكرها وحواسها وكل عضو من أعضاء جسمها البض. حتى إنها إذا عادت إلى غديرها ليلاً، لا تلبث أن ترى واقفة فى ظلمة الليل البهيم، تنتظر بفارغ الصبر أول شعاع ذهبى يلمع من الشرق.

وكم كانت الحورية الحسناء، ذات الفتنة والإغراء تتوق إلى أن يبصر بها أبولو وهى تشخص إليه بناظريها، فيبادلها الحب والهيام.. ولقد كانت على يقين من أنه إذا رآها فى انتظاره بتلك اللهفة، فإنه سيقبل إليها ويحدثها حديث العاشق الولهان، ويعبر لها عن حبه بعذب الألفاظ وجميل العبارات، ويبثها شوقه بلحاظه التى هى أقوى ما فى لغة الغرام من سحر وبيان ومن ثم كانت تراقبه طول النهار، عسى أن يقع بصره عليها، فيكون فيه سعادتها وهناءتها ونعيمها.

كانت تتفنن كلوتى فى مشط شعرها العسجدى البراق حول وجهها الصبوح الفاتن، فيبدو كهالة من الذهب الخالص المصفى.. وكانت تتألق فى الشمس وتشرق متلألئة فى جمال وروعة، لدرجة أن أخواتها الحوريات، كن يصعدن إليها ويتحسس شعرها السبط الذهبى بأيديهن.. غير أن كلوتى ما كانت لتهتم بأمرهن، إذ كان جل ما يشغلها وما تركز فيه أفكارها، هو أن تراقب اللحظة التى قد يقع فيها نظر أبولو عليها، فتبتسم له.

لكن رب الشمس لم يكن ليلتفت إلى هذه الحورية المغرورة، أو ليحول رأسه نحوها، إذ كان ينظر أمامه دائماً لا يلتفت يميناً ولا شمالاً، ممسكاً بأعنة جياده الأربعة النارية، وهى تشق طريقها الوعر الشاق.. ومن ثم لم يكن ليرى كلوتى الحسناء الرائعة الجمال ذات الشعر الذهبى الذى لا تملك أية حورية أو غادة أخرى مثله، لم يكن ليراها وهى تراقبه بشوق، بعينيها اللتين تطفحان عشقاً وتفيضان هياماً، ويقلب برح به الهوى وأضناه عدم اهتمام رب الشمس بصاحبته.

تعاقبت الأيام وتوالت الأسابيع والشهور والأعوام، وكلوتى دائبة على عادتها تتطلع إلى أبولو وهو يسوق عربته كل يوم خارجاً بها من السماء الشرقية، مخترقاً كبد السماء، إلى أن يعود مساء إلى البحار الغربية.. فكانت تحول وجهها صوبه، وتيمم عينيها شطره، تتبعه ببصرها، وتقتفى أثره بناظريها إلى حيث يذهب طوال اليوم كله، دون أن تمل أو تتعب، ولكن للأسف دون أن تنال بغيتها أو تبلغ مرادها.

وأخيراً امتنعت عن الطعام والشراب، وظلت تسعة أيام كاملة تراقب أبولو العاتى القاسى، رب الشمس، دون أن تحيد بعينيها عنه لحظة واحدة.. دامعة العينين، كسيرة القلب، لا تذوق طعاماً، ولا تنال شراباً، وقد جعلت كل همها أن تسكب الدموع سخينة وفيرة.. وعندما أرادت أن تتحرك من مكانها، فى اليوم التاسع، عجزت عن الحركة.

لقد تسمرت فى مكانها، وثبتت أقدامها فى الأرض تثبيتاً، وتحولت ذراعها

وأصابع يديها. أوراقاً خضراء، واستحال وجهها المشرق بهالته من الشعر الذهبى المصفف فى نظام بديع، زهرة ناضرة جميلة.

انقلبت كلوتى إلى زهرة الشمس وما عاد فى مقدورها أن تتكلم فتشكو هواها، أو تبكى فتريح فؤادها.. ولكنها مع ذلك كانت لا تزال تحول رأسها العسجدى البراق صوب رب الشمس مقتفية أثره طوال اليوم كله، أينما ذهب وحيثما توجه، ولذا أطلق عليها فيما بعد زهرة عباد الشمس.. ومنذ ذلك الزمان الغابر حتى يومنا هذا، تقوم كل زهرة من أزهار عباد الشمس بهذا العمل الغريب.. فوجوهها الجميلة الذهبية تتطلع دائماً إلى رب الشمس، وهو يقود عربته الذهبية عبر السماء الفسيحة الأرجاء.

■ ■ ■

كيوبيد وابنة الملك

ربما تكون هذه هى أشهر أساطير الحب عند الإغريق لروعتها، وجمالها، وما تحمله من أحاسيس فياضة ومشاعر متدفقة جياشة.

كان كوبيد الصغير يتميز من الغيظ حين انطلق حاملاً سهامه ليقتل «بسيشيه» ابنة الملك، التى أهانت بجمالها كبرياء أمه فينوس.

كان الناس يعبدون ربة الجمال والحب حتى ترعرعت بسيشيه وتدفق ماء الشباب فى جسمها الرشيق، وقوامها البديع فهوت إليها نفوسهم، وخفقت بحبها قلوبهم، وآثروها بعبادتهم من دون فينوس.

وكان للفتاة أختان حسناوان، ذواتا دلال وفتنة، ولكنهما كانتا مع ذلك دونها جمالاً وجاذبية وفتنة بجمال بسيشيه الغامض وحسنها العميق، وكان غموض حسنها هو سر عبادة الناس لها، وافتتانهم بها، وانصرافهم إليها عن كل ربات الجمال.

ودعت إليها ابنها ربة الحب، فأثارت فى قلبه العداوة لهذه الغادة، وجسمت له ما يحيق به ويأمه من انصراف الناس عن عبادتها إلى هذه المخلوقة التعسة.

ومضى كيوبيد إلى قصر الملك فى طريق حفت بالورود. وعبقت فيها أرواح البنفسج.

وكبرت فى قلب كيوبيد أن تنتهى هذه الجنة إلى جحيم تعج بالجريمة، وتفيض بالآلام فجلس تحت سوسنة نامية يتأمل، وكان ضوء القمر ينعكس على الأزهار ثم يرتد شعراً وسحراً وموسيقى صامتة، تعزف ألحانها على أوتار قلبه الخفاق.

ولكن كيوبيد يحمل قوسه وسهامه ومضى لا يأبه بجمال الطبيعة الساحرة، ولا يأسر لبه هذا البهاء الذى يغمر الكون حوله، حتى كان عند أسوار القصر الملكى.

وصعد كيوبيد على الدرج الرخامى دون أن يلمحه الحرس ودخل مخدع بسيشيه النائمة. واندس خلف الستائر الحريرية يوتر القوس الذهبية وينتقى سهماً، وتقدم نحو الفتاة وهنا سمع صوتاً من أعماق: يا للجمال النائم فوق الأريكة ويا للفتنة النائمة ملء السرير.

وخطا كيوبيد خطوتين، وحملق فى وجه بسيشيه وبهره الجبين المشرق، والهدب الناعس، مما ملأ قلبه صبابة، فتقدم نحو بسيشيه فى خطى اللهفان، يتزود لأوبته من جفنها النعسان وجمالها الفينان.

وطبع على الفم الدقيق قبلة دقيقة حلوة، وعاد أدراجه عاشقاً وامقاً لا يبالى بسخط أمه فينوس!

وحنقت ربة الجمال والحب، ونادت بالويل والثبور على ولدها كيوبيد، وأقسمت لتجعلن مباهج الحياة ووضاءتها ظلاماً فى عينى الفتاة!!

سلطت عليها الأشباح تروعها وتفزعها، وأغرت بها بعض خفافيش سوداء حلقت تناوشها وتهاجمها، وسخرت عليها ريح السموم تلفحها وتصهر روحها، فانطلقت المسكينة مذعورة إلى داخل القصر، وطفقت تصرخ وتعول، ولا يدرى أحد لماذا تصرخ ابنة الملك وتعول.

ومضوا بها إلى المعبد يستوحون الآلهة، ولكنها ما كانت لتزداد إلا شكاة وأشجاناً!!

وتسريت بسيشيه إلى الجبل القريب المشرف على البحر، وفى نفسها أن تلقى بحمل الحياة من شاهق، فتستريح مما يطيف بها من آلام!

ورآها كيوبيد:

وظلت هى ترقب المرج الهائج، وتشهد اليم المصطخب، وتلقى على البطاح نظرة مودع عجلان، وعلى المروج الخضر تحية مأخوذ القلب أسوان، ثم صرخت صرخة هائلة، وألقت بنفسها من عل.

وكان كيوبيد قد أحس بما تهتزمه حبيبته من الانتحار، فدعا إليه صديقه

ونجيه زفيروس، إله الريح الجنوبية، وأطلعه على ما يكن من الحب لهذه الفتاة التى تكاد تلقى بنفسها من الجبل يا صديقى زفيروس، تلقها فى يديك الرفيقتين، واذهب بها إلى الجزيرة المقابلة حيث الشاطئ المنضور بالرياحين، فدعها ثمة، فقد أعددت لها مكاناً آمناً.

ولشد ما دهشت بسيشيه، إذ رأت طيفاً نورانياً كريماً يبرز من الماء فجأة فيلتقطها فى يديه الكريمتين، ثم يترفق بها فيضعها على ظهره العريض الرحب.

ويصل إلى الشاطئ المزدهر فيبتسم للفتاة ثم يجيبها بتمتمة. وينطلق فى البحر الذى يعود إلى سابق اصطخابه واضطرابه.

ومضت فى غياض وأرياض، ورأت فى الأفق القريب قصراً باذخاً فيممت إليه، وما كادت تدنو منه حتى فتحت بوابة السور الكبرى على مصراعيها، وامتدت منها أذرع نورانية تصافحها، وانبرت أصوات رقيقة موسيقية تحتفى بها وتحيى وتلبى!

وفركت بسيشيه عينيها كذلك.

وجالت الفتاة فى القصر الجميل المنسق، وكان مثار عجبها هذه الصور البارعة المرسومة على الجدران كلما وقفت عند واحدة دبت فيها الحياة، وتحركت على الحائط متهللة مستبشرة، محيية بابتسامة خفيفة، أو انحناءة مؤدبة.

وكانت التماثيل فى زوايا الغرف، وأوساط الردهات، وفى حنايا الحديقة، وفوق الربى المكسوة بالسندس الرطب، تحيى الضيفة، كأن حياة تدب فى مرمرها كلما وقع بصر بسيشيه عليها فتتحرك الأذرع وتومئ الرءوس، وتمر الفتاة وقد أخذت الدهشة من نفسها كل مأخذ.

وكانت العنادل تهتف بها ترجوها أن تتلبث فتسمعها أنشودة الخلد، ولولا العجلة لوقفت بسيثيه عند كل منها حتى ينتهى من غنائه الحلو، وتغريده الرنان.

وعادت إلى المخدع مع مغيب الشمس.

وفى الليل سمعت الباب ينفتح، ويدخل فتى خفيف الخطى، ويقبل عليها فيحيى أحسن تحية بأرق صوت، ثم يستأذن فيجلس إلى جانبها.

وظل يزورها كلما أقبل الليل يتبادلان أحاديث الهوى وطقوس الغرام، فيمكث معها حتى مطلع الفجر، ثم يذهب عنها على أن يعود اليوم التالى وبسيشيه راضية قانعة لا يضيرها ألا تعرف من هذا الحبيب الوفى، ولا ما يكون اسمه.

وذهبت تستنشق أنفاس البحر فوق الشاطئ الطويل المزهر، فلقيت أختيها فجأة تخرجان من زورق جميل، فتعانقهما عناقاً حاراً، ويغمرها - للقائهما - فرح كبير، وتعود بهما إلى القصر، وتدخلهما «هيكل الحب» - كما اتفقت وحبيبها على أن يسميا المخدع - ثم تقص عليهما قصتها منذ اعتزامها الانتحار إلى أن تلقاهما.

وتكون الغيرة قد أنشبت أظفارها فى فؤادى الفتاتين، ويكون الحسد قد شاع فى نفسيهما الخبيثتين، فتضمران لها الشر المستطير.

ولكن كيف تطمئنين إلى هذا الحبيب يا أختاه؟ ألا تخافين أن يكون غولاً أو هولة أو سعلاة؟ لماذا إذن يأبى عليك أن تنطوى إليه؟

أليس يخشى أن تفزعى منه إذا رأيته على حقيقته. أيغرك منه كلامه الناعم الموشى؟ لا يا أختاه! نحن نخشى أن يجفوك يوماً فيقتلك لابد أن تأخذى حذرك منه، ولابد أن تنتهزى فرصة يكون غارقاً فى نوم عميق فتوقدى المصباح وتنظرى إليه، فإن كان وحشاً أو هولة، فإليك هذا الخنجر المرهف فأغمديه فى قلبه واستريحى منه، وعودى معنا إلى أبينا الملك فإنه جد مشتاق إليك.

ودفعتا إليها الخنجر المسمم بعلمها، وولتا عنها تختبئان فى أجمة دانية وفعل كلاهما فى قلب أختها فعلة، فلما كان الليل، وغفا الحبيب الصغير مما ألم به من سكرة الحب، نهضت بسيشيه إلى مصباحها فأوقدته، وإلى الخنجر فشرعته، وذهبت تنظر إلى العاشق البرىء.

وفتح كيوبيد عينيه فرأى الخنجر فى يمين بسيشيه، فقفز قفزة هائلة، ورف بجناحيه الصغيرين وقال: «بسيشيه! يا شقية وداعاً فلن نلتقى بعد اليوم».

ما كاد كيوبيد يرف بجناحيه فيغادر القصر حتى امتلأ المخدع أرواحاً شريرة طفقت تهاجم نفس بسيشيه فى شدة وعنف، فهرعت إلى الخارج مهرولة، وهرعت فى أثرها المخاوف والأشجان، يحدوها الذعر والفزع الشديد.. واختفى القصر من الوجود، وأخذت تنام فى العراء.

هكذا ظلت تبكى بسيشيه، وهكذا مرت بها الأيام فوق الجزيرة تنتظر أوبة حبيبها ولكن بلا جدوى.

ووقفت يوماً عند ضفاف الغدير تفكر من أن تلقى بنفسها فى أعماقه، ولكن رب النهر الذى كان واقفاً يسمع ويرى يسرع إلى الفتاة فينتشلها، ويصيح ببناته عرائس الماء فيأتين.

وفى الغابة، لقيت ديميتر الطيبة الوقور فانحنت تحييها.

ذكرت لها أنها رأت كيوبيد بكرة ذلك اليوم، وفى كتفه جرح دام أحدثته فيه أمه فينوس، لماذا؟ لا يدرى أحد فإذا كان لابد لك من لقاء كيوبيد، فاذهبى إلى فينوس وتبتلى إليها، وادخلى فى خدمها وحشمها، وأثبتى لها - بتفانيك فى طاعتها - أنك من عبادها المخلصين، عسى يا بنية أن ترضى عنك، ويذهب عنك هذا الحزن.

ثم قادتها إلى قصر فينوس، وزودتها بما ينبغى لها من النصح، وعادت إلى غابتها الوارفة تنتظر برسيفون.

وبرهنت بسيشيه على حسن إخلاصها وجميل توبها، وكانت ربة الحسن تسخرها فيما لا طاقة لبشر به، فكانت تقوم بما تكلف به وتؤديه خير الأداء، لدرجة أنها سقطت تصارع الموت بسبب شدة المعاناة.

■ ■ ■

ديانا رمز الكمال الجسدى

وقد عرفها الرومان باسم ديانا، وهى توأم أبوللو وقد اعتبرها المفكرون والفنانون الإغريق رمزا للكمال والجمال العذرى، كما كان أخوها بالنسبة للشباب. لقد فضلت أرتميس أن تعيش عذراء عن أن يدنسها ذكر، واهبة حياتها للأدغال والمراعى، فهى ربة الصيب، حيث صورته دائماً وهى تتمنطق بجعبة السهام، كما عرف عنها الانتقام ممن يحاول حتى النظر إلى قوامها. كما فعل إكتايون الذى كان يصطاد فى إحدى الغابات ففوجئ بالربة وهى تستحم. فجلس يختلس النظر إليها، فما كان من الربة إلا أن جعلت كلابها تنهش لحمه.

هكذا أصبحت أرتميس حامية للشرف العذرى، كما كانت أثينا، بل كانت - أيضاً - الربة التى تعاون النساء ساعة الوضع، إذ قيل: إنها ساعدت فى مولد أخيها أبوللو، رغم أنها ولدت قبله بدقائق، كما ارتبط اسم أرتميس بالقمر مثلما ارتبط اسم أخيها بالشمس.

■ ■ ■

الحارس ذو المائة عين

كانت إيو ابنة النهر، فتاة حسناء رابية الجسم، رشيقة القد ذات وجه مشرق بالفتنة والجمال، به عينان تتألق فيهما اللحاظ، وتتريص الفتنة ويكمن السحر ونتطقان بلغة كلها إغراء وعبث بالقلوب والعقول، لا تقع عليها عين ناظر إلا تلقفته شباكها واقتنصته حبائلها، وفم تكاد تهوى إليه النحل لامتصاص رضابه، وأنف دقيق مستقيم، أما جيدها ففى صفاء البلور حتى لتكاد ترى الماء خلاله وهى ترتوى، وشعر يزين المتن أسود فاحم.. فهكذا جمعت إيو بين روعة الملامح وجمال تقاطيع الجسد كأنها تمثال منحوت، صاغته يد الجمال ليكون آية الجمال، وكان صوتها عذباً رقيقاً ناعماً مثل السحر فى القلوب.

إنما لتغمط إيو ابنة رب النهر، حقها عندما نصفها بهذه الصفات، إذ مهما أطنبنا فى وصفها، واستخدمنا جميع ما فى معاجم الجمال من صفات، ما استطعنا أن نوفيها جزءاً بسيطاً من حقها لأنها والحق يقال، آية فى الفتنة والإغراء تفوق كل وصف وتتحدى كل تقريظ إذ لم تشرق الشمس طوال حياتها على وجه أبهى من وجهها ولا جسم أروع من جسمها، ولا صوت أشجى وأعذب فهى بحق ملكة جمال العالم حتى إن جوبيتر نفسه، وهو رب السماوات والأرض، افتتن بها وأغرم بهواها وأحس بأنه يغرق فى صفاء عينيها، ويجيش صدره بلواعج الشوق إليها وتباريح الصبابة نحوها، بمجرد أن وقع بصره عليها ذات يوم، فقرر فى صميم فؤاده أن يهبط من عليائه إلى الأرض، كى يطوقها بذراعيه فى وله وهيام، ويضمها إلى صدره فى شغف وحنان، ويهمس فى أذنيها زفرات وأنات هى أفصح ما فى لغة الغرام من بيان، ثم يستقى من رحيق الشفاة ويقضم تفاح الخدود، وينعم بكئوس الحب هنيئة مترعة.

هذا ما عول عليه جوبيتر، أبو الآلهة والبشر القاطن فى أعلى ذؤابات جبل أوليميوس ولكنه كان يخشى زوجته جونو دون سواها، إذ كانت تغار عليه غيرة أطفأت مصباح عقلها، فغدت ترتاب فى كل حركة من حركاته، وتشك فى كل مكان يذهب إليه، وإن الغيرة لبلاء وداء عياء.

لذلك لجأ جوبيتر إلى الحيلة ليصل إلى من سيطرت على فؤاده وجنانه، وسلبته لبه وعقله دون أن تراه جونو، وماذا يعمل وهى له بالمرصاد، تطارده أينما ذهب، وتلاحقه حيثما توجه، وقد استبد به الهوى وأراد أن يبل شوقه من تلك الغادة الفاتنة فأثار سحابة كثيفة فى المنطقة التى بها إيو، وانقض على الفتاة لهيفا ينهل من موارد الحب ويتزود من جمالها وبهجتها بمنأى عن بصر زوجته الغيور.

بيد أن جوبيتر لم ينعم بتلك السعادة والهناءة طويلاً، فقد استيقظت جونو فى أصيل يوم قائظ وأحست بشواظ الغيرة تتأجج فى صدرها وبين جوانحها، فهبت من فراشها مذعورة، وأطلت من نافذتها فى السماء، لترى أين يعبث زوجها السادر الماجن.. وكانت جونو قد أصدرت أوامرها إلى جميع السحب والغيوم بمبارحة جو السماء ومغادرة الأرض، حتى يمكنها أن ترى سائر أنحاء الأرض، وعامة أجواز الفضاء بحثاً عن زوجها جوبيتر.. فأطاعت هذه أمرها، وانقشعت الغيوم، وصفا الجو ولشد عجب جونو، لمحت سحابة كثيفة عن بعد لم تأتمر بأمرها.. فما شأن هذه؟ وكيف تجرؤ على مخالفة تعليماتها؟ إنها بالقرب من النهر، ثقيلة، كثيفة، وثابتة فى مكانها لا تتحرك.. فأثار هذا المنظر دهشتها، وتوجست خيفة.

انقضت جونو هابطة إلى الأرض لترى بعينى رأسها من الذى صنع هذه السحابة الشاذة.

كان جوبيتر بدوره يتوقع قدوم زوجته بين آونة وأخرى، فلما سمع وقع أقدامها تقترب من مخدعه المحوط بالغمام، حول فى لمح البصر حورية النهر إلى

بقرة غضة، ولكنها كانت بقرة فى غاية الروعة والجمال بخلاف سائر الأبقار.

فلما بلغت جونو الأرض، وبددت الغمامة، لم تر غير جوبيتر جالساً بالقرب من بقرة صغيرة جميلة، لم تبصر عيناها بقرة بذلك الجمال.

غضبت جونو، وقالت لزوجها فى شدة وعنف:

- لم تحتاج إلى هذه السحابة؟

قال:

- كنت أصنع بقرة جميلة.. أليست هى رائعة الحسن والجمال؟

تظاهرت جونو بأنها صدقت جوبيتر ولكن الحيلة لم تنطل عليها وارتابت فى الأمر، فراحت تفكر فى هذه البقرة، وهل يمكن أن تكون إحدى حوريات النهر الفاتنات! لا شك أنه دبر حيلته بإحكام ولكى تفضح حيلته يجب عليها أن تطلب منه أن يعطيها هذه البقرة، فلو رفض لأدركت فى الحال أنها ليست بقرة، بل حورية حسناء كان ينعم بالعبث معها.

قالت جونو:

- حقاً إنها لجميلة أبلغ الجمال وأعظمه، ولم أبصر قط بقرة فى هذه الروعة، فهل لك أن تعطينى إياها؟

أراد جوبيتر بادئ ذى بدء، أن يرفض طلبها، ولكنه فكر فى نفسه فى الأعذار التى ينتحلها لتبرير ذلك الرفض، لا شىء يمكن أن يحتج به، كما أن الرفض قد يثير شكوكها فتسوء مغبة الأمر، وتفضحه بين الآلهة والربات، ومن ثم لم يجد بداً من إعطائها البقرة.

أخذت جونو البقرة فاستدعت حارسها أرجوس فلما مثل بين يديها، أمرته بأن يقوم على حراسة تلك البقرة بعناية واهتمام، وحذرته من أن يستردها منه جوبيتر بأية حال من الأحوال.. فلم يكن أمام أرجوس إلا الإذعان لأمر سيدته

وتنفيذ أوامرها بغاية الدقة، فجلس من فوره بجانب البقرة ليحرسها بكل يقظة.

في ذلك الوقت، لم يكن هناك حارس في العالم أجمع، أشد يقظة في حراسته من أرجوس كان له مائة عين للحراسة لا تغمض كلها في وقت واحد مهما كانت الأسباب وإنما كان يغمض منها اثنتين فقط بينما تظل الثماني والتسعون عيناً الأخرى ساهرة للحراسة.

هذا ما كان من أمر جوبيتر وزوجته، وأما الحورية المسكينة فقد ساءها وأعجها. وحز في فؤادها أن تتحول بتلك السرعة إلى بقرة، فحاولت جهدها أن تنادي أباها وإخواتها، ولكنها لم تستطع النطق فما كان يخرج من حلقها سوى خوار مرتفع يلقي الرعب في نفسها ويزيد من حسرتها وحزنها.

افتقد رب البحر ابنته إيو فلم يجدها فجن جنونه وانطلق يبحث عنها في كل مكان عسى أن يهتدي إلى موضعها وكان ينادي باسمها في شتى نواحي الأرض بصوت يفيض عطفاً وحناناً ويطفح كمداً وألماً، بيد أنه ما من مجيب لندائه، كأنما هو يصرخ في واد.

وأخيراً وصل أبوها إلى الحقل الذي كانت به البقرة، وأبدى إعجابه الفائق بتلك العجلة الجميلة، وراح يربت على جسمها في حنان، إذ شعر بعطف نحوها.

مسكينة إيو، عرفت والدها ولكنها لم تستطع أن تخبره بأنها ابنته، فمدت فمها إلى يده وحاولت أن تتحدث إليه بعينيها الواسعتين، ولكن أيمكن لوالدها أن يفهم لغة العيون؟ كلا، إنه لن يدرك شيئاً مما ستعبر عنه بعينيها.. وأخيراً خطر لها أن تكتب اسمها على الثرى بظلفها، إذ كان اسمها قصيراً ولا يتطلب مجهوداً كبيرًا أو وقتاً طويلاً. ومن ثم خطت بظلفها في الثرى فكتبت إيو ثم إيو مرة أخرى.

نظر الأب إلى البقرة ليرى ما كانت تفعله وما كاد يرى اسمها مكتوباً في التراب حتى أدرك ما حدث لابنته فاحتضنها بقلب يوشك على الانفطار حزناً

واسى.. ولما أقبلت أخواتها مسرعات، أخبرهن بأن ذلك الحيوان الجميل ليس إلا شقيقتهن الفاتنة إيو.

حدث كل هذا تحت سمع وبصر أرجوس الذى كان يراقب ما يدور بين رب البحر والبقرة وبناته، ويصغى إلى كل ما قيل فعرف أن هذه البقرة الجميلة، ليست سوى الحورية إيو فنقل الخبر إلى جونو وأعلمها بما رأى وما سمع، فاستشاطت غضباً وحنقاً وودت لو أن جوبيتر موجود أمامها فى ذلك الوقت لتنتقم منه شر منتقم ولكنها هدأت من روعها وأمرت أرجوس بتشديد الرقابة والحراسة على إيو خشية أن يأتى جوبيتر وينقذها.

كان جوبيتر فى الوقت نفسه تعيساً غاية التعاسة، لقد شق عليه أن تعانى الحورية الفاتنة كل هذه الأحوال بسببه. إن مجرد التفكير فى أن إيو تحيا فى صورة بقرة ليحز فى نفسه.. وأخيراً صمم على إعادتها إلى صورتها الطبيعية مهما كلفه الأمر، ومهما لاقى فى ذلك من صعاب ومشاق، حتى ولو افتضح أمره عند زوجته الغيور جونو، ولكن كيف يتأتى له ذلك، وأرجوس، ذو المائة عين، ساهر على حراستها ليل نهار، لا يكل ولا يمل؟

إن الأمر سهل يسير وهل يقف شىء فى طريق جوبيتر إذا صمم على أمر؟

استدعى جوبيتر ميركوريوس وأمره بالذهاب إلى المكان الذى به البقرة الجميلة فى حراسة أرجوس والعمل على إجبار عيون ذلك الوحش المائة على النوم، حتى إذا ما استغرقت فى النوم قتله، قتلة لا تقوم له بعدها قائمة.

انطلق ميركوريوس هابطاً إلى الأرض وتزيى فى ثياب راع وحمل معه حزمة من ثمار الخشخاش وكان الوقت ظهراً والشمس تلفح وجه الأرض بحرها الشديد، فأخذ ميركوريوس يشق طريقه فى ذلك القيظ إلى حيث يوجد أرجوس فوجده جالساً فوق ربوة على شاطئ البحر، يستطيع منها أن يرى كل بقعة حوله.

كان أرجوس دميم الخلقة بدرجة لا يتصورها العقل، ولم يجسر أحد على

الاقتراب منه لحذره الشديد ولؤمه المتناهى.

ولذلك كان يتوق إلى من يصاحبه ولكن ما من أى فرد كان يود فى صحبته أو التحدث إليه، أو حتى رؤيته فلما أبصر الراعى مقبلاً نحوه، أدرك لتوه أنه لا يعرف من أمره شيئاً، وهذا هو عين ما يبغى فناداه قائلاً:

ـ أيها الراعى الطيب، هيا.. تعال واجلس معى فوق هذا الشاطئ حيث النسيم عليل، والهواء عليل، ورائحة الوادى تعطر الجو بعبيرها الذكى، وأريجها العبق.

أقبل ميركوريوس على أرجوس وتظاهر بالسذاجة وجلس إلى جانبه ثم بدأ يقص على مسامعه حكايات طريفة وينشد له الأغانى العذبة.. بيد أن هذه الحكايات وتلك الأناشيد زادت من يقظة أرجوس، وجعلته أكثر حيوية ونشاطاً من ذى قبل وإذا بعيونه المائة تحملق فى سائر ما حواليها، دون أن تغمض منها واحدة قط.

أدرك ميركوريوس هذا فشرع يروى له حكايات طويلة لا تنتهى، حكايات مملة تبعث على السأم وتغرى بالنوم، وما هى إلا فترة قصيرة حتى بدأ أرجوس يتثاءب، وأغلق عينين من عيونه المائة، وكان لظى الشمس محرقاً، وكل شىء فى الوادى ينعم بالهدوء والسكون، حتى ليكاد المرء يسمع وجيب القلب.. ولم يكن هناك من صوت غير صوت ميركوريوس ينساب فى سيل طويل لا ينقطع، كأنه خرير المياه الجارية، واللجج الصاخبة، يصم الآذان ويسبب الصداع ويوحى إلى الكرى بالاقتراب من كل عين.

حاول أرجوس أن يصغى إلى ما يقوله الراعى ولكن عيونه كانت تناضل النعاس، وجفونه مثقلة برصاص النوم، فانغلقت عينان أخريان لم تستطيعا مقاومة الكرى، وتبعتهما اثنتان غيرهما، وبدأ أرجوس يتثاءب تثاؤباً متتابعاً، وما كان ينتهى من التثاؤب حتى وجد ميركوريوس أن عشراً من عيون ذلك الحارس البغيض قد أغمضت جفونها تماماً، واستغرقت فى سبات عميق.

استمر ميركوريوس يروى حكايته المملة، وصوته يخرج مدوياً فى آذان ارجوس كأنه صوت المطارق يصدع رأسه ويفقده سيطرته على يقظته فإذا به يغلق الكثير من عيونه الساهرة إلى أن استلقى أخيراً على ظهره، وافترش الحشائش.. وظن ميركوريوس أنه استسلم إلى النعاس بجميع عيونه. فمال على رأسه ينظر فيها بإمعان فرأى ما يقرب من العشرين عيناً كانت لا تزال مفتوحة تؤدى وظيفتها فى حراسة إيو، وتتطلع فى جميع الأرجاء.

ظل ميركوريوس يقص حكاياته الطويلة السقيمة بصوت أكثر ارتفاعاً، يكرر ويعيد ما قاله عدة مرات، وهكذا بقى يصدع فى رأس أرجوس بقصته تلك حتى أغمضت جميع عيونه ما عدا اثنتين بقيتا مفتوحتين لم تتأثرا بالحديث الممل.

كانت هاتان العينان تتألقان بشدة وترسلان بريقهما فى كل مكان إذ كانتا فى غاية اليقظة والانتباه.. وصمم ميركوريوس على أن يبذل قصارى جهده فى إغماض هاتين العينين اللعينتين بيد أن محاولاته كلها ذهبت أدراج الرياح فلم يمكنه التغلب عليهما، لأنهما كانتا تشرقان بصفة مستمرة وتتابعان البقرة الحسناء فى كل حركة من حركاتها وتنظران حواليها لترى ما إذا كان هناك من يريد الاقتراب منها أو محاولة خطفها.

لم يجد ميركوريوس بداً من استعمال الخشخاش الذى أحضره معه خصيصاً لهذا الأمر، فشق بضع ثمرات منه وأخرج ما بها من حبوب رفيعة، ورشها حول العينين العنيدتين، فإذا بالسحر الكامن فيهما يجلب النوم الثقيل على أرجوس فأغمض العينين الباقيتين اللتين تعب غاية التعب فى الاحتفاظ بهما متيقظتين، كما بذل ميركوريوس جهداً بالغاً فى إغلاقهما.. وهكذا رآهما ميركوريوس تغمضان وألم النعاس العميق بأرجوس وامتلأت عيونه المائة بالنوم.. وفى لمح البصر حز ميركوريوس رقبة أرجوس، وفصل رأسه عن جسده.. ثم أمسك بخطام البقرة وقادها إلى جوبيتر الذى سر غاية السرور لمجيئها فأعادها بسرعة إلى صورتها الأولى فإذا بها تعود فتاة فاتنة كما كانت، وبانت أمارات

الغبطة والفرح فى محياها.. ولكنها ظلت مدة طويلة لا تفتح فاها خشية أن يخرج الخوار من بين شفتيها. ثم شكرت لميركوريوس تعبه فى قتل الوحش البغيض، واستأذنت من جوبيتر فى العودة إلى أبيها وأهلها.

وفى ذلك المساء أقبلت جونو إلى الحقل لترى أرجوس فإذا به قتيل فحزنت على فقده حزناً عميقاً، وبكته بكاء مراً.

ثم أخذت عيونه المائة ووضعتها فى ذيل طاووسها تخليداً لذكراه، واعترافاً بأمانته فى الحراسة ولقد ظلت تلك العيون فى مكانها من ذيل الطاووس حتى اليوم، حيث يستطيع كل إنسان أن يراها واضحة جلية فيعلم حقيقة أمرها.

■ ■ ■

الأساطير الرومانية
الديانة الرومانية

طبيعة الديانة الرومانية

يقول الخطيب والسياسى الرومانى شيشرون بأن الرومان قد فاقوا كل الشعوب الأخرى فى حكمتم الفريدة التى جعلتهم يتحققون من أن كل شىء خاضع لحكم وتوجيه الآلهة، ومع ذلك فإن الدين الرومانى لا يقوم على النعمة والمدد الإلهيين بقدر ما يقوم على العناية المتبادلة بين الإله والإنسان وكان هدف هذا الدين تأمين تعاون الآلهة وخيرها وسلامها، ولقد اعتقد الرومان بأن هذا العون الإلهى سوف يمكنهم من السيطرة على القوى المحيطة بهم والتى تستثير فيهم الخوف والرهبة، والعيش بنجاح وهذا ما قاد بالتالى على نشوء مجموعة من القواعد هى نوع من القانون الإلهى الذى يقضى بما يتوجب فعله وما يتوجب تجنبه.

لمدة طويلة من الزمن لم تتضمن هذه القواعد، إلا فيما ندر عناصر أخلاقية فلقد تألفت فى معظمها من تعليمات حول الطريقة الصحيحة لتأدية الشعائر، ولطالما أكد الدين الرومانى بشكل حصرى على الإجراءات الطقسية التى أسبقت عليها قداسة التقاليد القومية، فالطقوس الرومانية كانت مشغولة بشكل هوسى بالتفاصيل وعلى قدر كبير من المحافظة، لدرجة يمكن معها القول بأننا إذا استطعنا إزاحة ما تراكم عليها من إضافات خارجية عبر الزمن لبقى فى مقدورنا تحرى بقية من الأفكار القديمة الأولى قرب السطح، وهذا ما يميز الديانة الرومانية عن الديانة الإغريقية التى تختفى فيها مثل تلك البقايا القديمة تحت ستار كثيف لا يمكننا اختراقه إلا بصعوبة بالغة فالإغريق عندما بدأوا عصر تدوينهم كانوا قد ساروا أشواطاً بعيدة فى التعقيد الثقافى والأفكار المجردة بخصوص مفاهيم الألوهة.وعلاقتها بالبشر، بينما حافظ الرومان إلى

حد كبير على المفاهيم والممارسات القديمة. يضاف إلى ذلك أنه حتى الوقت الذى تأثروا فيه بالمخيلة التصويرية كانوا يفتقدون إلى الذوق الإغريقى فى رواية آلهتهم فى هيئة تشخيصة بشرية، وتزويدهم من ثم بالأساطير التى تقص عن نشأتهم وعلاقتهم. وبمعنى ما يمكننا القول بعدم وجود ميثولوجيا رومانية أصيلة.إن بعض الاكتشافات الأثرية فى منطقة إتروريا القديمة «بين نهر التيبر ونهر آرنو، والتى تمتد إلى الشرق والجنوب من أبينينيز» قد تقدم دليلاً على وجود ميثولوجيا لدى الإيطاليين، ولكن مثل هذه الميثولوجيا قليلة ومتناثرة وما وجد لدى الرومان عبارة عن شبه ميثولوجيا استعارت ثوباً إغريقياً، وبالمقابل أيضاً فإن الدين الرومانى لم يعرف العقيدة الدينية الثابتة وما دام الرومانى يقوم بالممارسات الدينية الصحيحة، فإنه يبقى حراً فى أن يفكر بآلهته بالطريقة التى تناسبه وما دامت الحالة هذه، فإن لا مكان لديه للعواطف الدينية عندما يمارس شعائر عبادته.

على الرغم من وجود بقية من ملامح قديمة للدين الرومانى قريباً من السطح. إلا أنه يصعب علينا إعادة بنائه والإلمام بكل مناحى تطوره. إن مصدرنا الرئيس من الإخباريين الذين عاشوا فى القرن الأول ق. م مثل فارو وفيريوس فلاكوس ومعاصريهم من الشعراء الذين عاشوا خلال أواخر عصر الجمهورية وعصر الإمبراطور أوغسطس قد كتبوا بعد مرور ٧٠٠ إلى ٨٠٠ سنة على تأسيس روما وفى زمن انفتاح الرومان على الأساطير وطرائق التفكير اليونانية. الأمر الذى جعل تفسيراتهم للتاريخ المغرق فى القدم بعيدة عن واقع الحال، لهذا فقد عمد الباحثون المحدثون على استكمال ما قدمه أولئك من تخمينات أو حقائق بالاعتماد على ما وصلنا من نسخ عن الروزنامة الدينية، وعلى نقوش كتابية أخرى، إضافة إلى كنز ثمين من قطع العملة والميداليات والأعمال الفنية الأخرى.

الدين الرومانى المبكر

فيما يتعلق بأبكر العصور الرومانية. لابد من الاعتماد على نتائج علم الأركيولوجيا وما توصلت إليه نتائج التنقيب الأثرى، على الرغم من عدم كفايتها

لإعطائها صورة واضحة على الدين الرومانى، على أى حال فإن ما تقوله لنا نتائج التنقيب أنه فى وقت مبكر من الألف الأول قبل الميلادى «يجب الا يتفق بالضرورة مع التاريخ التقليدى لتأسيس مدينة روما نحو عام ٧٥٣ ق.م» هبط رعاة ومزارعون لاتينيون وسابينيون يحملون محاريثهم الخفيفة من هضاب ألبان وهضاب سابين فأسسوا عدداً من القرى فى منطقة روما حيث أقام اللاتينيون على هضبة البلانتاين، والسابينيون على هضبة كويرينال وهضبة السكويلان ونحو عام ٦٢٠ ق.م تلاقت هاتان الجماعتان وتمازحتا وتحول السوق التجارى حيث كانتا تتبادلان البضائع إلى نقطة انطلاق لبناء مدينة روما وتوسعها.

تأليه الوظائف:

كغيرهم من الإيطاليين فقد رأى الرومان قوة إلهية ناشطة فى الأفعال والوظائف كما هو الحال فى الأفعال الإنسانية مثل الولادة وما إليها وفى الظواهر الطبيعانية مثل حركة الشمس وفصول السنة الزراعية وقد وجهوا هذا الإحساس بالتقديس نحو أحداث تؤثر على الإنسان بانتظام وأحياناً نحو تجل واحد فريد، مثل هذه الآلهة الوظيفية التى تكاثرت حتى شملت كل جانب من جوانب الحياة والطبيعة. كانت مهمات هذه القوى العديدة المتجزئة محددة بشكل دقيق، ولكى يتقرب الإنسان منها كان لابد له من معرفة أسمائها الصحيحة وألقابها لأنه إذا عرف الاسم فقد ضمن الاستماع إليه وإذا لم يعرفه كان عليه تغطيه كل الاحتمالات وذلك بالاعتراف بأن الإله مجهول الاسم، أو يضيف قائلاً مهما كان الاسم الذى تريد أن تنادى يه أو سواء كانت إلهاً أم إلهة.

تقديس الأشياء:

ولقد تجاوز حس الرهبة الوظائف والأفعال إلى أشياء معينة أثارت فى النفس الإحساس بأنها أكثر من أشياء عادية وذلك مثل الينابيع والأجمات والأحجار النيزكية ذات الأصل الغامض والمقابر وأحجار الحدود والأدوات الحجرية والدروع البرونزية التى وصلتهم من حضارات أكثر تقدماً.

ولوصف القوى الكامنة التى تستثير الروع فى هذه الأشياء والوظائف استخدم الرومان كلمة نيومين التى توحى بإشارة تصدر عن الإله، على الرغم من أنه لا يوجد لدينا حتى الآن دليل يؤكد أن هذه الكلمة كانت مستخدمة قبل القرن الثانى ق.م. وهنا لابد من الإشارة إلى أن استخدام كلمة روح لتفسير كلمة نيومين يحتوى على مفارقة تاريخية، لأننا بذلك نفترض وجود مجتمع ذى مقدرة عالية على التجريد، الأمر الذى لا ينطبق على التاريخ الرومانى المبكر. كما أننا لا نستطيع استخدام كلمة مانا التى يستعملها سكان الجذر الميلانيزية فى المحيط الهادى فى التعبير عن القوى فوق الطبيعانية لأن المجتمع الرومانى والمجتمع الميلانيزى ليسا متشابهن ولأننا بذلك نفترض أن الرومان قد عرفوا فى الأزمنة المبكرة مرحلة من الدين سابقة على الاعتقاد بالآلهة المشخصة. يدور حول القوى الغفلة، وهذا ما لم يقم دليل عليه حتى الآن، بل العكس هو الصحيح، لأن تصورهم للقوى فوق الطبيعانية قد تضمن منذ القدم عدداً من الآلهة رسمت مخيلتهم لها شخصية وشكلاً بشرياً، وبعضهم اعتبر بمثابة آلهة عليا.. من بين هؤلاء ألوهة للسماء دعوها جوبيتر يمكن مقارنتها مع ألوهات السماء لدى الشعوب الهندو - أوروبية المبكرة مثل دياوس لدى السنسكريت، وزيوس لدى اليونان وعلى الرغم من أنه لم يصبح بعد إلهاً شمولياً، على تفوقه على بقية القوى الإلهية، فإن إله السماء هذا قد جرى ربطه مع قوى وظيفية مثل الطقس والبرق، ومع أشياء مثل الحجر الخارق الذى هبط من الأعالى ودعى حجر جوبيتر.

السحر ووظيفة الأضاحى:

هذه الآلهة، والوظائف والأشياء القدسية، بدت للرومان سرية ومروعة وبالتالى مشحونة بالقوة الغامضة ولكى يضمن الرومان لأنفسهم المؤن والحماية والتكاثر، اعتقدوا أن عليهم استرضاء هذه القوى وكسبها إلى جانبهم، وكانت الأضاحى الطريق الأقصر لتحقيق ذلك، فالأضحاى والقرابين من شأنها شحن الألوهة بالطاقة والحيوية، لأنها كانت قوى فاعلة، وبذلك معرضة لأن تفقد

حيويتها نتيجة فاعليتها إلا إذا أعيد شحنها كل فترة من الزمن ومن خلال الغذاء الذى يقدم إليها فإنها تبقى على فاعليتها وجاهزة أبداً لتلبية مطالب الإنسان، من هنا كان تقديم القرابين يترافق دوماً مع نطق عبارة Mate esto التى تتمنى على هذه الآلهة والقوى دوام النماء والازدهار.

كانت الصلوات تترافق دوماً مع تقديم القرابين، ومع تطور مفهوم القوة الإلهية المشخصة كانت الصلوات تتضمن مزيداً من الإطراء والتزلف، ولكن هذه الصلوات قد ترافقت أيضاً مع الطقوس السحرية التى من شأنها إكراه الآلهة على الفعل فى اتجاه معين لا مجرد استرضائها وعلى الرغم من أن السلطات الرسمية فى قانون الألواح الاثنى عشر، ٤٥١ - ٤٥٠ ق.م قد سعت إلى تحديد الجوانب المؤذية من السحر، إلا أنه استمر فاعلاً فى الحياة الرومانية كما هو الأمر فى العالم القديمة برمته، حتى أن الطقوس الرسمية لم تخل من آثاره كما هو الحال فى احتفال اللوبركاليا والرقص، الطقوس لكهنة السالى على شرف مارس وعلى الرغم من أن الرومان فى العصور التارخية قد اعتبروا الممارسات السحرية واردة إليهم من البلدان المشرقية، إلا أن ما يقلل من قيمة هذا الإدعاء أن بعض القبائل الإيطالية مثل قبيلة المارسى وقبيلة البياليغنى كانت مشهورتين بالطقوس السحرية وساد عندهم بشكل خاص اللعن السحرى، على ما تبينه النقوش التى ترجع إلى عام ٥٠٠ ق.م وما بعده، والتى تم العثور عليها بأعداد كبيرة، يضاف إلى ذلك وجود ما يدل على شيوع مفهوم التابو وهو نوع من السحر السلبى، والذى نراه فى العزوف عن التحدث مع الأغراب، وعدم الاحتكاك بالجثث والأطفال المولودين حديثاً، والابتعاد عن النقاط التى ضربتها الصواعق، وما إلى ذلك حتى لا يصيب المرء أذى جراء ذلك.

الدين فى العصر الإتروسكى

بعد اندماج القرى اللاتينية والسابينية بقليل، جاءت فترة وقعت خلالها روما تحت حكم أسرة واحدة من الإتروسك على الأقل، وهى الأسرة التاركوينية «تقع

إتروريا إلى الشمال من نهرى التيبر» وذلك خلال الفترة من عام «٥٧٥ إلى عام ٥١٠ ق.م» وبعض الباحثين يمد هذه الفترة وصولاً إلى عام ٥٤٠ ق.م.

أهمية الطقوس:

تميز الإتروسك بإحساسهم بالقلق الدينى العميق، وكرسوا أنفسهم للطقوس أكثر من كل الشعوب القديمة، وعلى الرغم من أن مصادرنا عنهم هى أيضاً متأخرة وغير كافية، فإنه يبدو لنا أنهم صاغوا مجموعة شاملة من القواعد التى تنظم طقوسهم لقد قامت الثقافة الإيتروسكية على مؤثرات وردت من بلاد اليونان عبر مراكز للثقافة اليونانية فى كامبانيا استوطنتها جماعات من الإيبويانيين ومع ذلك فإن الدين الإتروسكى لا ينسجم مع الموقف الدينى اليونانى من حيث الانسحاق تجاه الآلهة والانصياح أمام إرادتها الطاغية، بل على العكس من ذلك فإن هدف السعى الدينى لديهم كان محاولة إجبار الآلهة «بما فيهم كبيرهم تين ـ جوبيتر» على إفشاء أسرارها من خلال تقنيات العرافة.. لقد رأوا رابطة وثيقة بين السماء والأرض تجمعهما فى وحدة متكاملة تجعلهما يعكسان بعضهما بعضاً، وكانوا أكثر طموحاً فى الكشف عن غياهب المستقبل من كلا الروما والإغريق وقد كونوا لأنفسهم صورة على درجة عالية من الغنى والتعقيد للحياة الثانية، واهتموا بها إلى درجة جعلت الأحياء مشغولين على الدوام براحة الأموات، يتجلى هذا الاهتمام فى قبورهم الفخمة وقرابينهم الجنائزية السخية فعل الرغم من قناعتهم بوجود عالم أسفل، كان لديهم قناعة أخرى بأن شخصية الموتى تستمر من خلال رفاتهم، ولذا فإنه من الضرورة أن يستمتعوا بحياة القبر كيلا يعودوا لإيذاء الأحياء.

ابتداءً من القرن الرابع، وبعد أن فقد الإتروسك سلطتهم فى روما، نلاحظ أن فنونهم تعكس خوفاً متزايداً مما يمكن أن يجلبه الموت.

المؤثرات على الديانة الرومانية:

لقد استمر الدين الرومانى فى إظهار تأثره بالاتروسكيين خلال الفترة التى كانت روما تحت سيطرتهم هذا مع الاعتراف بأن الأشباح الرومانية المدعوة

باللاتينية Di Manes كانت أقل حضوراً وتجسيداً من تلك الأشباح الإتروسكية المرعبة وعلى الرغم من أن تقنيات العرافة الإتروسكية بواسطة أكباد وأحشاء الحيوانات قد استمرت وشاعت لدى الرومان، إلا أن العرافين الرومان الذين ينتمون إلى ثقافة أكثر واقعية من الإتروسك، لم يطمحوا إلى ما طمح إليه الإتروسك فى الحصول على معلومات دقيقة عن المستقبل، ومع ذلك فإن الإتروسك هم الذين رسموا الخطوط العامة للحياة الدينية والرومانية وفى الحقيقة، فإن العديد من الملامح الدينية التى عزاها المؤرخون الرومان بدوافع وطنية إلى الملك نوما يومبيليوس «وهو الخليفة السابينى لرومولوس فى القرن الثامن ق.م» يمكن إرجاعها فى الواقع إلى فترة الحكم الإتروسكى بعد ذلك بقرنين على أى حال فإن الرومان يظهرون مديونيتهم لإتروريا من خلال احتفالاتهم الدينية وطقوسهم ومخططات وتزيينات عدد من معابدهم، وعلى رأسها معبد الثالوث الكابيتولينى جونو وجوبيتر ومينيرفا، كما تظهر مديونية الرومان للإتروسك فى تماثيل آلهتهم الأولى، بما فيها تمثال العبادة الخاص بجوبيتر الذى صنعه الإتروسكيون لمعبد الكابيتولين إن مثل هذه التماثيل التى تظهر الآلهة فى هيئة بشرية قد حفزت الرومان على التفكير بآلهتهم بهذه الطريقة وما يترتب على ذلك من تزويدهم بأساطير تراكمت تدريجياً على طريقة القصص الإغريقية مع الحفاظ على نكهة محلية.

ولعل أهم ما تدين به روما للملوك الإتروسك هو روزنامتها الدينية، التى تم العثور على شذرات من أربعين نسخة لها، بالإضافة إلى الأعمال الشعرية التى تناولت الروزنامة على طريقة الإخباريين، كما فعل أوفيد فى عمله المعروف فاستى إلى جانب هذه الشذرات الباقية فى حلتها التى قام بمراجعتها وتحريرها يوليوس قيصر، لدينا روزنامة من العصر الجمهورى تعود إلى ما بعد ١٠٠ ق.م بقليل، تم اكتشافها فى أنتيوم.

ومن الممكن فيما يتعلق بهذه الروزنامات أن نتبين العديد من العناصر الأكثر قدماً، بما فى ذلك السنة الشمسية المؤلفة من عشرة أشهر والسابقة على الفترة

الأتروسكية. على أى حال فإن الأسس التى تقوم عليها فى حلتها التى وصلت إلينا تحمل سمات متأخرة، بسبب محاولتها للتوفيق بين السنة الشمسية والسنة القمرية وفق الحسابات البابلية، وبشكل عام فإن هذا المشروع برمته يرجع إلى فترة الحكم الإتروسكى على ما نتبينه مثلاً من أسماء بعض الأشهر ذات الجذور الإترورية يضاف إلى ذلك أن وجود أو غياب احتفالات معينة يسمح بوضع تاريخ يقارب فترة الحكم الاتروسكية فى أواخر القرن السادس ق.م مع تعديلات أدخلت على الروزنامة فى القرن التالى، وتعديلات أخرى أدخلت عندما تم نشرها عام ٣٠ ق.م.

إن الاحتفالات التى تسجلها الروزنامة والتى دون أقدمها بأحرف كبيرة، تعكس فترة انتقالية فى حياة الريف إلى حياة المدينة وعلى الرغم من بقاء العبادات المحلية حية وناشطة، فإن أشكالاً عديدة من العبادة والتى كانت حتى ذلك الوقت عبادة أسر ومزارع مختلفة قد تحول الإشراف عليها إلى الدولة الرومانية الناشئة.. هذه الإدارة الحكومية قد قطعت الطريق على أى ميل إلى الروحانية، واستبعدت الحاجة إلى مشاركة الأفراد المتحمسين ومن خلال توكيد السلطة الرسمية على أن الآلهة قد تم استرضاؤها من خلال برنامج يتوافق مع دورة الحياة الطبيعية، فإنها تجعل الأفراد يشعرون بالتأكيد أن العلاقات مع القوة الإلهية هى بين أيدى أمينة.

الدين فى العصر الجمهورى المبكر

حتى بعد أن تم خلع الملوك الإتروسك قبل عام ٥٠٠، على ما تقوله الروايات فإن العلاقات التجارية مع إتروريا لم تضعف، وبقيت مدنها الجنوبية مثل كييرى وفيى القريبتين من روما، تستخدمان المدينة الإغريقية كومى كمنقذ تجارى وحولتها إلى مزود مهم بالحبوب وعندما واجهت روما أزمة حادة فى الحبوب، تدبرت أمر استيرادها من كومى ومن هذه المدينة وردت التأثيرات اليونانية التى حفزت الرومان على بناء معابدهم على النمط اليونانى، والآن وبعد أن تعود الرومان على العادات الدينية اليونانية خلال فترة الحكم الإتروسكى، فقد جاء

الوقت لكى يمتصوا هذه العادات، وأبدوا الرغبة فى ذلك على الرغم من طابعهم الدينى المحافظ. يضاف إلى ذلك أن الرومان منذ القرن الثالث ق.م. وربما أبكر من ذلك، قد استعاروا من مناطق أخرى فى إيطاليا طقساً خاصاً، يدعى Ev-icatio باللاتينية، يهدف إلى دعوة آلهة المدن المغلوبة إلى ترك مواطنها والهجرة إلى روما.

فى عام ٣٩٩ ق.م عندما كانت مدينة فيى تتعرض لحصار طويل وقاس سارت روما شوطاً أبعد فى الهلينة «أى تبنى العادادت اليونانية» عندما استوردت طقساً يونانياً يدعى Lectisternium يعرض بموجبه تمثالان أجنبيان على أريكتين، وتوضع أمامهما مائدة وضعت عليها أطباق الطعام والشراب، وذلك لإشعارها أنهم ضيفان عزيزان على روما ومنذ القرن الرابع إن لم يكن أبكر، كان يتم دفع بلاء الطاعون والأوبئة الفتاكة الأخرى باللجوء إلى طقس آخر يدعى Supplicatio، يقوم بموجبه كل الأهالى بالدوران حول المعبد والسجود على الطريقة اليونانية ثم صار هذا الطقس يتبع احتفالاً بالنصر العسكرى.

الدين فى العصر المتأخر

أزمات واتجاهات جديدة:

استمر طقس عرض التماثيل أمام المائدة يقام على نطاق أوسع وبأبهة أكثر وفى عام ٢١٧ ق.م كانت إيطاليا تتعرض لحالة من القلق الدينى والجيشان العاطفى بسبب الحرب البونية الثانية واجتياح هانيبال القرطاجى أراضيها، ولقد عملت روما على استجلاب عطف وتأييد كل إله اعتقدت بقدرته على مساعدتها ولكن دون طائل فلجأت أخيراً إلى دعوة الإلهة سيبيل، الأم الكبرى لآسيا الصغرى للإقامة فى روما بشكل دائم وقد مضى إلى مدينة بيسنوس المقر الرئيسى لعبادة سيبيل سفراء دينيون وأحضروا معهم إلى روما الحجر الأسود المقدس الذى يرمز إليها، عام ٢٠٤ ق.م وبعد ١٨ سنة كانت عبادة ديونيسيوس «باخوس» المتصلة بالعربدات الجنسية تغزو روما قادمة من إيطاليا الجنوبية،

حتى اضطر مجلس الشيوخ إلى اتخاذ الإجراءات اللازمة لقمعها.

ولكن هذه العبادة وغيرها من عبادات الأسرار التى تقدم لأتباعها وعداً بالخلاص إلى حياة ثانية. واستثارة دينية مفقودة فى العبادات الرومانية الرسمية. قد جاءت لكى تبقى وعلى الرغم من كل المقاومة التى أبدتها السلطات الرسمية فإن هذه العبادات قد تأقلمت بعد مدة. ولعبت دوراً مهماً فى المشهد الدينى الإيطالى، كما ورد إلى روما أيضاً علم التنجيم الشرقى وصارت له شعبية واسعة. وهو يقوم على القناعة بوجود رابطة تعاطفية بين الأرض والأجرام السماوية. ولاسيما الكواكب السيارة السبعة وبما أن ضوء هذه الكواكب يؤثر على الأرض وسكانها فى شتى المجالات المادية والمعنوية فإنه لمن الممكن استخدام تقنيات خاصة للإفادة من الآثار الإيجابية لحركة ونور الكواكب، وتجنب أثارها الضارة.

ولقد تلقى علم التنجيم تشجيعاً خاصاً من الفلسفة الرواقية التى دخلت روما بين القرن الأول والقرن الثانى ق.م على يد بانياتيوس وبوسيدونيوس، فلقد رأى الرواقيون فى هذا العلم الزائف برهاناً على النظرة الأفلاطونية لكون موحد، ولقد أثرت الرواقية على التفكير الدينى الرومانى بثلاث طرق أخرى.. فأولاً كان فى الأفكار الرواقية حول الحتمية ما شجع على الإيمان بالقدر، وبطريقة غير منطقية بالحظ أيضاً. الأمر الذى كان شائعاً فى الحضارات المشرقية وثانياً، أدخلت الرواقية عنصراً روحياً على التفكير الدينى وذلك بقولها إن الروح الإنسانية هى جزء من النفس الكلية للعالم وتشاركها القداسة نفسها. ثالثاً: ترتب على ما سبق ظهور مضامين أخلاقية جديدة، فالبشر على ما يقول الرواقيون إخوة وعليهم التعامل مع بعضهم على هذا الأساس لقد أثرت هذه الأفكار على صميم السيكولوجيا الرومانية التى تملك ميلاً أخلاقياً قوياً، تأكد الآن من خلال مصادفة جاءت من الفلسفة، ولم يكن بمقدور الدين الرومانى الشكلانى تقديمها وهكذا فقد فشل الدين الرسمى للإمبريالية والمادية، وأخذت الفلسفة تملأ الفراغ بالتدريج وفى الوقت نفسه فإن الموقف السلبى للديانة الرومانية من مسألة الحياة الثانية قد قابله تكون أفكار مزجت بين اللاهوت

والتصرف والسحر وجعلت الشخصية الأسطورية أورفيوس والشخصية التاريخية شبه الأسطورية فيثاغورس، بمثابة الأنبياء.

ولقد عمل المدافعون عن الاتجاهات الجديدة جهدهم فى نقد الدين الرومانى، مثل الشاعر القومى إينيوس والمسرحى الكوميدى بلوتوس الذى سخر على المسرح من الآلهة الرومانية، وبالمقابل فإن موقف الطبقة العليا كان يعبر عنه أشخاص مثل المؤرخ بوليبيوس والكاهن القاضى سكيفولا والباحث فارو والفيلسوف الخطيب شيشيرون الذى قال إن أهمية الدين هى سياسية بالدرجة الأولى، وتكمن فى قدرته على التحكم فى الجماهير من أجل الحيلولة دون الفوضى الاجتماعية وفى قدرته أيضاً على تنمية الولاء القومى.

الدين فى العصر الإمبراطورى

الأشكال المتأخرة للوثنية الرومانية:

بعد انتهاء ويلات الحرب الأهلية فى عام ٣٠ ق.م قام أوكتافيان الابن المتبنى ليوليوس قيصر بالتأسيس للنظام الامبراطورى، وقرر أن الدين القديم ما زال حياً وبعيداً عن الاندثار، وأن إحياء جميع أشكاله سوف يستجيب للحس العام بأن مصائب الأيام السالفة قد وقعت نتيجة لتجاهل الفروض الدينية.

العبادة الامبراطورية:

اتخذ أوكتافيان اسم أوغسطس «الجليل» وهو اسم يدل على ادعاء العظمة والتبجيل، ولكن هذا لم يرفعه إلى مصاف الآلهة فى حياته على أن ما رافق ذلك من إدخال الاسم فى ممارسة طقوس معينة قد مهد الطريق أمام تأليهه بعد مماته، مثلما كان الحال بالنسبة ليوليوس قيصر فلقد تم تأليه هاتين الشخصيتين من قبل الدولة لأنهما قدمتا للبلاد ما هو حرى بالآلهة.

وقبل ذلك فى بلاد اليونان هنالك فكرة تقول: إنه إذا أنقذك شخص فإنك تدين له بفروض احترام مثل التى تؤدى للآلهة، ولقد طلب الاسكندر المقدونى وبعض خلفائه من بعده تبجيلهم كمخلصين إلهيين، فقد أدخل الخليفة الثانى

للاسكندر على مصر، بطليموس الثانى، عبادة شخصه أثناء حياته. لقد كان من نتيجة الاعتقاد الرواقى بأن الروح الإنسانية هى قبس من نفس العالم الكلية. القول بأن الرجال العظماء يملكون نصيبًا أوفى من العنصر الإلهى فيهم. يضاف إلى ذلك أن الميثولوجى بوهيميروس الذى عاش فى القرن الثال قبل الميلاد قد طور نظرية تقول بأن الآلهة أنفسهم كانوا قبل ذلك بشرًا عاشوا على الأرض مثل هذه الأفكار قد بررت سابقًا ارتقاء شخصيات بشرية إلى مصاف الآلهة. مثل هرقل والزوج الديسكورى كاستور وبولوكس، ثم طبقها الرومان على الإله ساتورن، والإله قيرينوس الذى جرت مطابقته مع رومولوس البطل المؤسس لمدينة روما الذى صعد إلى السماء، وهكذا صار من المعتاد رفع الأباطرة المحبوبين إلى مرتبة الألوهية بعد وفاتهم. مثل هؤلاء كانوا يدعون ديفى DIVI لا ديى Dei كما هو حال الآلهة الأوليمبيين. فالآلهة الأوليمبية كان يصلى لها. أما هذا النوع من الآلهة فكان ينظر إليهم بتوقير واعتراف بالجميل.

مع المضى قدمًا فى العصر الامبراطورى، تبين أكثر فأكثر أن الدين القديم لم يعد على صلة بمشاغل الناس الحقيقية وما يتعرض له المجتمع من أزمات. أما عبادة الديفى، وهم الشخصيات الإنسانية المؤلهة، فقد تركزت فى قاعة شرف واحدة وبقيت فى مقدمة العبادات الوطنية التى كان يجرى تشجيعها باعتبارها قوة جامعة على النطاق القومى، وبتركيز هذه العبادات على الحماة من الأباطرة وعلى الأمة، فقد اتسع نطاقها لتشمل روما نفسها. وفيما يتعلق بالجيش فقد سجل لنا تقويم دورًا أوروبسٌ فى بلاد الرافدين عدداً من الاحتفالات الخاصة به وفيما يتعلق بالحكام الأحياء من الأباطرة فكانوا يعاملون على هذه الدرجة أو تلك كشخصيات مقدسة، وعلى النطاق الرسمى كانوا يقرنون عادة بالآلهة ومع نمو الاتجاهات الدينية التوحيدية، فإن هؤلاء صار ينظر إليهم باعتبارهم مختارين من العناية الإلهية ويقدسون بهذه الصفة ومع متابعة هذه الطريقة فى التفكير خلال الهزيع الأخير من حياة الوثنية الرسمية، اتخذ كل من الامبراطور ديوكليتيان والامبراطور ماكسيمان اسمى جوفيوز وهرقوليوس تيمنًا باسمى راعييهما وحامييهما جوبيتر وهرقل.

دخول المسيحية والميثروية

في هذا الوقت لم تعد الفكرة الإنسانية التي تقول: إن بمقدور الإنسان أن يحول إلى الإله مقبولة. وترفق ذلك مع ظهور أفلاطون وفلسفته الأفلاطونية الحديثة، وهي الفلسفة التي سادت العالم الوثني منذ أواسط القرن الثالث الميلادي، وأعطت صيغة صوفية للمفهوم الأفلاطوني والرواقي عن كون تحكمه قوة واحدة ومن ناحية أخرى، فإن أكبر شخصية روحية في القرن الثالث الميلادي وهو ماني الإيراني، قد بدأ تبشيره في بلاد الرافدين منذ العام ٢٤ ميلادي، وقال بالثنوية الكونية وبأن العالم ليس من صنع قوة خيرة فقط. وإنما من صنع قوة شريرة أيضًا لقد أقنعت الكنسية المانوية الامبراطورية ديوكليتان ولفترة قصيرة اجتذبت اللاهوتي المعروف القديس أوغسطين قبل تحوله إلى المسيحية وامتصت إليها عددًا كبيرًا من العبادات الغنوصية التي يدعى أتباعها امتلاكهم لعرفان صوفي يأتي عن طريق الإلهام والكشف، وهذا العرفان هو الذي يساعدهم على تنقية أنفسهم من العناصر غير المادية وتخليص أرواحهم من سجنها الأرضي، وفي هذا الوقت كانت العبادة الميثورية «نسبة إلى الإله الإيراني ميثرا» تمزج الثنوية المانوية مع عبادات الأسرار وطقوسها الإدخالية بعد تزويدها بنزعة أخلاقية صارمة، وصارت بمثابة حلقة وصل متينة بين عبادة الشمس التي راقت للموحدين المعاصرين، وظاهر، الانسحاب من عالم المادة والحواس الذي ما لبث أن أدى إلى ظهور النسك المسيحي، لقد كان للميثروية قربانها المقدس مثل المسيحية، ولكن حياة ميثرا لم يكن لها نفس التأثير الذي كان لحياة يسوع المسيح يضاف إلى ذلك أن الميثروية قد استبعدت النساء من عضويتها.

لقد غزت المسيحية بأفكارها المتميزة بخصوص المحبة الكونية ويسوع الذي التقت فيه الألوهية بالإنسانية، العالم الروماني وبعد فترة صراع مريرة راقت للامبراطور قسطنطين ولبت لديه حاجة للدعم الإلهي في ظرف معين ومنذ عام ٣١٢م، وعبر عملية تدريجية ومعقدة، صارت الدين الرسمي للامبراطورية.

آثار الدين الرومانى على المسيحية

لفترة من الزمن، بعد تحول قسطنطين إلى المسيحية، استمرت قطع العملة المعدنية وغيرها من الأعمال الفنية، تعكس رابطة بين العقيدة المسيحية وعبادة الشمس وحتى بعد انتهاء هذا الطور فإن الوثنية الرومانية تابعت إظهار تأثيراتها إلى هذا الحد أو ذاك، فلقد استمد الباباوات من الأباطرة لقب «الحبر الأعظم» والقديسون بوظائفهم المختلفة حلوا محل العديد من القوى الإلهية التى كانت تستميل قلوب الناس، والروزنامة الكنسية حافظت على بقية من مواعيد الاحتفالات السابقة على المسيحية، وأهمها عيد الميلاد الذى امتزجت فيه عناصر من عيد الساتورناليا الرومانى التقليدى وعيد يوم ميلاد ميثرا، إن التيار الرئيس للمسيحية الغربية مدين لروما القديمة بالنظام الشديد الذى أعطاها استقرارها وشكلها فجمعت إليها بين الأطر الراسخة وإمكانية الانفتاح على الجديد الذى كان كامنًا فيها منذ البداية.

■ ■ ■

المعتقدات والممارسات والمؤسسات

الآلهة المبكرة

كغيرهم من الإيطاليين فإن الرومان لم يعبدوا فقط القوى المحلية ذات الوظائف، بل عبدوا أيضاً بعض الآلهة العليا، وعلى رأسهم إله السماء جوبيتر الذى كانت عبادته فى البداية مقتصرة على الجماعات التى تعيش حول تلال البان، قبل أن تنتقل على الرومان، لقد جعل الرومان لجوبيتر كاهنًا خاصًا، ولكن وجود كاهنين رئيسين مخصصين لكل من مارس وقيرينيوس، من شأنه أن يؤيد شواهد أخرى تدل على أن الرومان قد جعلوا هذه الآلهة فى ثالوث، وأن هذا الثالوث يعود إلى الأزمنة الموغلة فى القدم، ولكن الرأى القائل بأن هذا الثالوث يعكس الطبقات الاجتماعية الثلاثة للشعوب الناطقة باللغة الهندو - أوروبية لم يعد مقبولاً اليوم كان مارس «الذى لا ندرى ما إذا كان اسمه هندو - أوروبياً أم لا» إلهاً أعلى لعدد من الشعوب الإيطالية، على ما نستشفه من رقيم برونزى عثر عليه فى إيجوفيوم، وكان يدافع عنهم فى الحروب ويحمى مزروعاتهم وقطعانهم، وقد اعتبر والدًا للملك ريمولوس مؤسس روما وفيما بعد جرت مطابقته مع إله الحرب اليونانى وتحت اسم مارس غرايفيوس كان يشرف على بداية الحرب وتحت اسم مارس قيرينيوس كان يشرف على نهايتها، ولكن قرينيوس القديم كان إلهاً مستقلاً وحامياً لقرية قيرونال قبل اندماجها بالبلاتاين ثم جرى الاعتقاد بأن قيرينيوس هو ذاته الإله الذى تحول إليه رومولوس بعد موته وصعوده إلى السماء.

من القوى الإلهية التى تعود أيضاً إلى العصور الموغلة فى القدم لدينا جانوس القوة الكامنة فى البوابة، وفيستا القوة الكامنة فى النار ليس لجانوس معادل يونانى، وكان له مقام عبادة قرب الساحة العامة، له بوابتان متقابلتان، لقد مثل فى البداية السحر فى البوابة المنزلية أو بوابة الكوخ القديم، وبعد ذلك

صار جزءاً من الدين الرسمى وفيما يتعلق بالإلهة فيستا، فقد انتقلت هى الأخرى من المجال المنزلى إلى دين الدولة وكان لها على الدوم معبد دائرى الشكل يعكس الكوخ البدائى الذى رأى الأثاريون بقاياه على الأرض أو رسومه على الجرات الفخارية الجنائزية، وفى معبد فيستا هناك على الدوام شعلة نار لا تنطفئ ولكن عدم وجود تماثيل لها فى المعبد يدل على أنها سابقة على الفترة التى شهدت ظهور صور الآلهة على أن موقع العبادة الذى تم اكتشافه خارج مستوطنة البالنتاين القدمة، يدل على وجود عبادة نارية أبكر من عبادة فيستا مكرسة لألوهة اسمها «كاكا» على البالنتاين نفسه، وقد استمرت عبادة فيستا التى تخدمها كاهنات عذراوات حتى نهاية العصور القديمة، وكان لها دور مهم فى الحماية الإلهية لروما.

كان الـ «ديمانى» هم القوة الجمعية للموتى «وهم الأرواح فيما بعد» والاسم يعنى «الأخيار» وهذا من قبيل الإشارة بطلف إلى شىء بغيض، كما هو الحال عن اليونان الذين دعوا ربات الانتقام «الفيوريات» باللطيفات بعد وفاته، يبقى المرء رجلاً كان أو امرأة عضواً فى العائلة وفى العشيرة ويغدو واحدًا من الأسلاف الذين يتوجب تبجيلهم واحترامهم وكان تبجيل الأسلاف بمثابة حجر الزاوية فى الدين والحياة الاجتماعية للرومان.

وقد أطلق على هؤلاء الاسم الجمعى «دى انريجيتيس» الذى يعبر عن القوة الجمعية للجدود ومن هؤلاء فريق يدعى «لار» وهم يشرفون على الحقول، وتقام لهم العبادة أينما التقت وتماست الملكيات الزراعية، وتنصب تماثيل صغيرة لهم فى كل مصلى منزلى وقد انتقلت عبادتهم من البيت إلى الدولة وصارت تماثيلهم الحامية توضع على مفارق طرق السفر، وعبدوا باعتبارهم أرواحًا حامية للمجتمع الرومانى وإلى جماعة الأسلاف ينتمى أيضاً الـ «دى بيناتى» الذين اعتبروا منذ أقدم الأزمنة بمثابة القوى التى تؤمن ما يكفى من الطعام للناس كانوا يعبدون فى المنازل ثم تحولوا فيما بعد إلى حماة قوميين.

آلهة الفترة الملكية المتأخرة

وهنالك ألوهتان أخريان تعزى عبادتهما إلى فترة الملوك، وهما ديانا وفورز فورتونا. كانت «ديانا» إلهة إيطاليا للغابات تتضرع إليها النسوة من أجل الحمل، وقد تمت مطابقتها بعد ذلك مع الإلهة اليونانية أرتميس كان معبدها على تلة الأفينتاين يحاكى فى تصميمه معبد أرتميس فى إفسوس، وفيه تمثال جرى تنفيذه وفق تمثال يونانى من ماسيليا نحو عام ٥٤٠ ق.م.

وقد هدف العاهل الرومانى سيرفيوس تاليوس من بناء هذا المعبد إلى محاكاة ما يشبه الرابطة الأيونية فى اليونان بين اللاتين.

أما «فورز فورتونا» فكان معبدها على الجهة المواجهة لروما عبر نهر التيبر واحداً من المعابد القليلة التى كان بمقدور العبيد أن يقصدوها، كانت فى البداية إلهة للمزارعين ثم تحولت إلى إلهة للحظ، وجرى بعد ذلك مطابقتها مع تيكى حامية المدن وإلهة الحظ عند اليونان وفق المرويات الرومانية، فقد حكم سيرفيوس تاليوس خلال فترة معترضة بين ملكين إتروسكيين هما تاركوينوس برسيكوس وتاركونيوس سوبيريوس ولقد شرع الملوك الإتروسك فى بناء «وربما أنهو» أهم معبد رومانى مكرس لعبادة الثالوث الكابيتولينى جوبيتر وجونو ومينيرفا «وقد تم التكريس فى عام ٥٠٩ أو عام ٥٠٧ بعد طرد الإتروسك». إن وضع هذه الآلهة التى تشكل ثالوثًا فى ثلاث قاعات هو تقليد إتروسكى ولكن جمع هذه الآلهة معًا يبدو مدينًا للمفاهيم التشخيصية اليونانية فالإلهتان هيرا وأثينا اللتان قرنتا بجونو ومينيرفا، كانتا على التوالى زوجة وابنة لزيوس «جوبيتر» كانت جونو فى إيطاليا أحيانًا إله حرب عليا للمدينة، ولكن وظيفتها الرئيسة كانت الإشراف على حياة المرأة وبشكل خاص حياتها الجنسية، أما وظائف مينيرفا فاختصت الحرفيين، وهى تعكس الحياة الصناعية النامية لروما، وهناك إلهان إتروسكيان عبدا فى مذبحين فى الهواء الطلق قبل أن يكون لهما معبدان فى روما، وهما فولكان وساتورن، كان الأول إله نار جرت مطابقته لاحقًا بالإله اليونانى الحداد هيفستوس، والثانى كان إلهًا زراعيًا جرت مطابقته مع

الإله اليوناني كرونوس والد زيوس وقد عبد ساتورن على الطريقة اليونانية برأس مكشوف.

كان مركز عبادة هرقل هو المذبح الكبير فى سوق الماشية على أطراف مستوطنة البالاتاين، وقد أقيم هذا المذبح فى موقع لعبادة الإله الفينيقى ملكارت أسسه تجار فينيقيون فى القرن السابع ق.م، وقد اشتق اسم هذا الإله من اسمه اليونانى وانتشرت عبادته من جنوب إيطاليا إلى شمالها عن طريق التجار الذين قدروا رحلاته وأعماله البطولة الخارقة ومقدرته على مقاومة الشر وفى الواقع فإن حضور مثل هذا الإله المحبوب على نطاق واسع فى سوق يؤمه غرباء من شتى الملل من شأنه أن يحافظ على السلام والوئام بين المتعاملين.

آلهة العصر الجمهورى

لقد بُنيت سلسلة من المعابد المهمة فى بداية القرن الخامس ق.م وإلى هذه الفترة يعزى بناء معبس ساتون الإتروسكى «٤٩٧ ق.م» وكذلك المعبد المكرس للفارسين التوأمين الديسكورى المدعوان كاستور وبولوكس، ولدينا نقش من لافينيوم يصفهم بالتعبير اليونانى **kouroi** الأمر الذى يشير إلى أصول يونانية من جنوب إيطاليا ودونما توسط إتروسكى وتقول الأسطورة: إن الديسكورى قد ساعدا روما فى معركتها مع اللاتين قرب بحيرة ريجيلوس. وفى الفترات التاريخية كانا يشرفان على موكب الفرسان السنوى الذى يقام سنويًا احتفالا بهذه المناسبة ومن جنوب إيطاليا جاءت أيضًا الإلهة سيريس التى بنى لها معبد عام ٤٩٣ ق.م وسيريس إلهة إيطالية قديمة تتكفل بالقوى الخلاقة فى الطبيعة، وجرت مطابقتها مع ديمتر إلهة القمح اليونانية، ويبدو أن إدخال عبادتها إلى روما يعزى إلى تأثير المستعمرة اليونانية كومى، التى استورد منها الرومان القمح عندما حلت بهم المجاعة، إن مشاركة سيريس لإلهين آخرين فى معبدها هما ليبير وهو إله خصب جرت مطابقته مع ديونيسيوس، وزوجته ليبيرا قد نسج على منوال ثالوث إليوسيس فى اليونان، لقد بُنى المعبد على الطراز الإتروسكى

ولكن تزييناته حملت طباعًا يونانية، وهو يقوم إلى جانب مركز تجارى يونانى على تلة الأفنتاين كما لعبت كومى دوراً فى تقديم عبادة الإله أبوللو إلى روما وهو الذى رفعه الامبراطور أوغسطس فيما بعد إلى مرتبة حاميه الشخصى وحامى نظامه السياسى.

على عكس أبوللو فإن أفرودايت لم تحتفظ باسمها عندما جرت مطابقتها مع إلهة إيطاليا، بل حملت اسم فينيوس أى الطبيعة المزدهرة على الغالب، وقد اكتسبت هذه الإلهة أهمية بالغة بسبب أسطورة تجعلها أماً لإينياس سلف روما والبطل الطروادى، الذى تمثله بعض الأعمال الفنية من فيى تعود إلى القرن الخامس وهو يهاجر من طروادة الذى تمثله بعض الأعمال الفنية من فيى تعود إلى القرن الخامس وهو يهاجر من طروادة عقب سقوطها وبصحبته ابنه وأبوه.

بعض الآلهة كان لهم مرافقون من الجنس النسائى هن لسن زوجات لهم وإنما شركاء عبادة، ويعكسن جوانب خاصة من قوتهم ومشيتهم أو خصائصهم وهؤلاء المرافقون عبارة عن أفكار مجردة جرى تجسيدها مثل الإخلاص التى كانت صفة لإله القسم السابينى، ثم تحولت بعد ذلك إلى مرافق إلهى ومثل فيكتوريا التى كانت نصر جوبيتر والوفرة مرافقه ساتورن والتى قرنت مع هيبى كان من أولى هذه الخصائص المجردة التى صار لها معبد، على ما نعرف، هى كونكورديا عام ٣٦٧ ق.م ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ وكان الإغريق منذ الأزمان القديمة يبثون الحياة فى أمثال هذه المفاهيم مثل الصحة والعدالة والحظ، والتى تناوست بين الشخصية الإلهية المكتملة وبين كونها مجرد تجريدات لا شخصية واضحة لها، ولكن هذه الأفكار والمفاهيم لدى الرومان لم تكن عبارة عن تجريدات ومجازات بل كانت موضع عبادة حقيقة فهى قوى مقدسة ذات وجود موضوعى وتؤثر على البشر بالطريقة التى تستوجبها أسماؤها وبتأثير الأفكار الفلسفية ولاسيما الرواقية التى غزت الرومان ذوى الفكر الأخلاقى، فقد تحولت هذه القوى إلى مفاهيم أخلاقية، مثل الفضائل والبركات التى كانت تصور بشكل إنسانى على قطع العملة المعدنية كجزء من الدعاوى الامبراطورية.

الشمس والنجوم

لم يتم إنجاز شىء ذى قيمة فى العالم الرومانى فيما يتعلق بعلم النجوم، والرأى الذى قال به أريستارخوس الساموسى نحو ٢٤٠ ق.م من أن الأرض تدو حول الشمس لم يلق أذنًا صاغية من أحد، وبقيت فكرة مركزية الشمس هى السائدة، حيث تم تصور الشمس باعتبارها قلب منظومة الكواكب التى تدور حول الأرض، وقد اعتبر إله الشمس سول واحدًا من الأسلاف المقدسين لروما ومنذ القرن الخامس تمت مطابقة هذا الإله الشمسى الذى كان له أجمة مقدسة فى لافينيوم مع الإله أبوللو فى وظيفته كواهب للخيرات الزراعية وخلال القرون الأخيرة قبل الميلاد انتشرت عبادة الشمس فى عالم البحر المتوسط وشكلت النقطة التى التأم شمل الوثنية حولها فى الهزيع الأخير من حياتها، وقد ارتبط بعبادة الشمس الإله ميترا القادم من إيران والذى كان بمثابة وكيل الشمس ونصيرها كما ذاعت عبادة الشمس لدى الفرق العسكرية الرومانية، ولاسيما تلك المتواجدة على نهر الدانوب وقد بنى أورليان أحد أهم الأباطرة العسكريين معبداً هائلاً فى روما للإله سول أنفيكتوس أى الشمس التى لا تقهر سنة ٢٧٤ ميلادية وبعد ذلك أعلن الامبراطور قسطنطين الشمس نصيرًا رئيسيًا على قطع العملة المعدنية التى تم تداولها فى العالم الرومانى بأسره وكرس نفسه لعبادتها قبل تحوله إلى المسيحية.

الكهنة

بعد انتهاء سيادة الملوك كان المنصب الكهنوتى الرئيس هو منصب «ملك الطقوس المقدسة» وقد انتقلت إلى هذا المنصب بقية السلطات والواجبات الدينية التى كانت للملوك، والتى لم تنتقل إلى مسؤولى الدولة الجمهورية، وعلى أى حال، فإن سلطة هذا الكاهن وزملائه قد أضعفها قانون الألواح العشرة «٤٥١ - ٤٥٠ ق.م» الذى جعل للسلطات نصيب فى المهمات الدينية وعلى الرغم من أن مسؤولية الروزنامة الدينية بقيت بين يدى ملك الطقوس حتى عام ٢٧٥ ق.م إلا

أن منصبه كان قد أُضعف إلى حد بعيد.

يمكننا أن نتتبع أصول العديد من الوظائف الكهنوتية إلى أزمان مبكرة، وعلى وجه الخصوص مناصب كهنة جوبيتر ومارس وقيرنيوس وكان منصب كاهن جوبيتر المسمى دياليس محاطاً بعدد من المحرمات أو التابوات الصعبة التى جعلت ملء المنصب فى الفترات التاريخية أمراً على غاية من الصعوبة.

فيما عدا ملك الطقوس وكاهن الدياليس اللذين كان منصبهما مهنياً وتقنياً، فإن بقية المناصب الكهنوتية كانت تشغل من قبل رجال بارزين فى الحياة العامة، ونظراً لما تؤمنه هذه المناصب من تميز اجتماعى وسياسى، فقد كانت موضع تنافس الراغبين فى الحصول عليها.

كان هنالك أربع مجموعات من الكهنة وهم الـ Pontifices، والـ Augures، والـ Quindecnviri Sacris Faciudis، والـ Epulones كانت المجموعة الأولى تتألف من ثلاثة كهنة ثم من ستة عشر، وهى التى تشرف على النظام الدينى للدولة منذ مطلع القرن الثالث ق.م أما الكاهن الأعظم المدعو بملك الطقوس المقدسة فلم يكن ينتخب من هؤلاء وإنما يجرى تعيينه من السلطة الرسمية، أما المجموعة الثانية، فكانت مهمتهم معرفة مشيئة الآلهة فيما يتعلق بالإقدام على أى عمل، وكانوا يمارسون ذلك من خلال تقصى حركة الطيور السابحة فى السماء، وقد تحولت هذه التقنية بتأثير الإتروسك، إلى شىء لا غنى عنه لمشاريع الدولة وقراراتها، ولكن مسؤولية اتخاذ الإجراءات لم تكن تقع على عاتق الكهنة بل على عاتق رجال الدولة وقد بقى هذا النوع من استخارة مشيئة السماء ضرورياً قبل الإقدام على عمل مهم من قبل السلطة حتى زمن شيشرون وهوراس فى القرن الأول ق.م كما صار أسلوب التنبؤ من خلال فحص أكباد وأحشاء حيوانات القربان، والذى يعود إلى العصر الإتروسكى شائعاً منذ الحرب البونية الأولى، على الرغم من أن ممارسيه الذين بلغ تعدادهم ٦٠ خلال العصر الامبراطورى لم يصبحوا قط أعضاء فى السلك الكهنوتى.

وفيما ايتعلق بالمجموعة الثالثة فقد كان تعدادها ١٥، وتتصل مهماتها بالإشراف على الطقوس الأجنبية، وفيما يتعلق بالمجموعة الرابعة فقد كانت تشرف على الاحتفالات الدينية، إضافة إلى هذه المجموعات الأربعة، لدينا ا' Fetiales وهم كهنوتون يرعون مسائل العلاقات الدولية مثل المعاهدات وإعلان الحرب وما إليها ولدينا كاهنات فيستا «النار المقدسة» الستة اللواتى كن ينتخبن من العائلات الأرستقراطية العريقة، وهن يرعين هيكل فيستا وشعلة ناره، ويقمن فى سكن قريب حيث يعشن فى إسار عدد متنوع من التحريمات التى تعود إلى الأزمنة السحيقة.

المعابد

تحتوى الروزنامة الرومانية الطقسية التى وضعها أو عدلها الملوك الإتروسك على ٥٨ احتفالا دينيًا منتظمًا بينها ٤٥ احتفالاً تدعى feriae Publicae تجرى فى أيام محددة من كل عام، وكذلك احتفال اليوم الثالث عشر من كل شهر المكرس لجوبيتر واحتفال اليوم الأول من آذار المكرس لمارس ومن بين الـ feriae Publicae يبرز بشكل خاص احتفال اللوبيركاليا فى الخامس عشر من شهر شباط. واحتفال الساتورناليا فى السابع عشر من شهر كانون الأول، وهنالك أيضاً الـ feriae conceptivae الذى يحدد موعده كل عام من قبل الجهة المختصة.

إن كلمة Templum التى صارت تعنى معبدًا فيما بعد، هى كلمة إتروسكية وتدل على قطاع فى السماء يحدده الكاهن لاستطلاع الفأل، وفيما بعد صارت تعنى مسقطًا لذلك القطاع السماوى على الأرض تتحدد بموجبه قطعة مفرزة ومكرسة للآلهة فى البداية لم تكن هذه القطعة المقدسة من الأرض تحتوى على أبنية دينية وإنما احتوت فقط على مذبح ثم على مقام صغير وفى روما لدينا معابد منذ عام ٥٧٥ ق.م بينها المقام الدائرى لفيستا وعدد من المناطق المقدسة قرب نهر التيبر وعلى مسافة غير بعيدة من سوق الماشية كانت المعابد الإتروسكية الكبرى تبنى من الخشب وتعلوها تزيينات منفذة بالطين المشوى، وقد بلغت أوجها

فى معبد ثالوث الكابيتولينى، وبعد ذلك جرى استخدام مواد أكثر صلابة مثل الحجر والرخام والقرميد، أما أرشيفات المعابد التى ضاعت الآن فكانت بمثابة الذاكرة التاريخية التى حفظت فيها الأحداث، كما أن ذكرى النذر والقسم ببناء المعابد وتكريسها، قد تم تسجيلها والاحتفاظ بها على قطع العملة المعدنية.

القرابين وعادات الدفن

كانت التقدمات الرئيسة للرومان عبارة عن قرابين ترافقها نذور وصلوات وكانت القرابين الحيوانية هى المفضلة والأكثر فعالية فى نظرهم، وتتألف من الخنازير والخراف، ويحتفظ بالثيران للمناسبات المهمة. وأفضل أجزاء الذبيحة هى المتصلة بوظائف الحياة مثل القلب والكبد والكلية، وبشكل عام فإن القرابين البشرية كانت غريبة على العادات الرومانية، ولكن وجودها لدى الإتروسك قد ساهم فى خلق ألعاب المجالدة حتى الموت فى إتروريا وروما، والتى جرى إحياؤها فى الأزمات الكبرى بعد ذلك، ولاسيما خلال الحرب البونية الثانية مع قرطاجة عام ٢١٦ ق.م.

لقد بلغ الاهتمام بالأسلاف عند الرومان حد الهوس، إلا أن عنايتهم بالموتى لم تبلغ الحد الذى بلغته عند الإتروسك وعلى الرغم من فلسفة فيرجيل وشيشرون التى تحدثت عن نوع من حياة الروح بعد الموت، ولاسيما لمن يستحقها فإن الأفكار الرومانية عن الحياة الثانية كانت غامضة ومشوشة، إلا إذا كانوا من المؤمنين بديانات الأسرار. وقد كان لديهم خوف من عودة أشباح الموتى، ولاسيما المتوفين حديثًا ممن يحملون ضغينة ما، لإحداث الأذى بالأحياء، وكانت المقابر منطقة تعد حرامًا ومحمية من قوى فوق طبيعانية ومحوطة بتحريمات عديدة فى الفترات الأولى مارس الرومان عادة حرق الجثث مثلما مارسوا أيضاً عادة دفنها ولكن الحرق كان هو العادة السائدة، ربما بسبب شيوع الاعتقاد بأن راحة الروح تعتمد على راحة الجثة فى القبر ومثل هذه الأفكار كانت سائدة فى عبادات الأسرار، على الرغم من تعارضها مع توكيدها على استمرار حياة الشخص فى

عالم روحانى بعد الموت، وكان تصميم مقابرهم يعكس رؤيتهم لاستمرار الروح باعتبارها كائنًا مستقلا حصل على حقه فى النعيم.

الفن الدينى

خلف لنا الرومان تركة غنية من فنون العمارة والنحت والميداليات والرسم والموزاييك، توضح العديد من جوانب الدين الرومانى، وتساعدنا على ردم الفجوة التى تركتها الوثائق الأدبية والنقشية.. هذه التركة التى ابتدأت بالدمى الطينية الأولى والتزيينات المنفذة بالطين المشوى للمعابد، وقد وصلت حدًا من التطور أوصلها إلى إنتاج روائع من الفن مثل تمثال أبوللو المشهور فى مدينة فيى، وبعد ٤٠٠ سنة إلى انتاج اللوحات التى تظهر الأسرار الديونيسية، والتى وجدتر قرب موقع مدينة بومبى، والنحت البارز لأوغسطس أراباكيس فى روما، ومع شعارات وقطع عملة قسطنطين، تأتى فترة ألف سنة من الفن الرومانى إلى نهايتها.

نتيجة

لم ينتج الدين الرومانى أيديولوجيًا دينية ولا قواعد صارمة للسلوك. ولكن طقوس المنزل والحقل القديمة قد صنعت إحساسًا بالواجب والوحدة وأفكاره عن الفهم المتبادل بين الإنسان وإلهه قد منحت الرومان حسن الأمان الذى احتاجوه لبلوغ نجاحاتهم، وأطلقت لديهم فكرة الالتزام المتبادل والعهد الملزم بين الفرد والآخر، وفيما عدا بعض الشذوذات، مثل القرابين البشرية، فإن الدين الرومانى لم يتلوث بطقوس العريدة ولا بالممارسات الهمجية ولم يكن طائفيًا ولا حصريًا، بل كان دينًا متسامحًا ومفتوحًا للجميع وقلما نجد دينًا مثله لم يرتكب أتباعه جرائم تذكر باسمه.

■ ■ ■

أساطير الخليقة Gensis

اختفت أساطير الخليقة الرومانية القديمة يوم كانت الأرواح والآلهة المحلية فى روما وما يحاورها هى المنظومة الثيولوجية الكبرى لمدينة فى طريقها إلى التفتح والنضج وتكوين دولة قوية، وجاء هذا الاختفاء بسبب ضغط الأساطير الإغريقية التى كانت فى طريقها إلى الرومنة والتهام التراث الميثولوجى الأصيل لروما.

ولذلك فنحن اليوم وجهًا لوجه أمام أساطير الخليقة الرومانية الإغريقية الأصل التى وضعها كتاب شعراء رومان كبار مثل أوفيد فى كتابيه «مسخ الكائنات» و«فن الهوى».

وعلينا أن نثبت رأيًا جديدًا مفاده أن أساطير الإغريق وأساطير الرومان، كلها عبارة عن نسخة صنعها شعراء وأدباء من نسخ أصلية غابت مع غياب الكهنة ورجال الدين، كانوا يحفظونها عن ظهر الغيب باعتبارها إرثًا مقدسًا، بمعنى أن هوميروس وهسيود الإغريقيين وأوفيد وفرجيل الرومانيين هم الذين أعادوا صياغة كتابة الأساطير الإغريقية والرومانية بلغة الشعر والأدب عن أصول غربت وكانت تحتفظ بالبراءة والطزاجة الأصلية للأساطير، فعلى سبيل المثال عثر على أساطير سومر وبابل فى رقم ومدونات طينية أصلية التى وردت بها تلك النصوص، كتبها الكهنة وحافظوا على دقتها التى وردت بها تلك النصوص المقدسة، أما أساطير اليونان والرومان فقد جمعها وأعاد صياغتها الأدباء والشعراء، ولم يحافظوا على دقتها وبكوريتها، بل قدموها بالصيغة التى يريدون، أى أنهم عبثوا بأصولها حتى وإن كانت شفاهية وربما يكون هذا هو السبب خصوصًا بالنسبة لليونان لأن الكتابة فى اليونان ظهرت متأخرة ربما بعد هوميروس.

وفى جميع الأحوال سنقدم عرضًا لأساطير الخليقة الرومانية من أصول يونانية، اعتمادًا على كتاب مسخ الكائنات «ميتامورفورس» للشاعر الرومانى أوفيد بالدرجة الأساس.

١ ـ خلق العالم
والجيل الأول من البشر

تتحدث أساطير الخليفة الرومانية الإغريقية عن خلق الكون والعالم ثم عن خلق ثلاثة أجيال من البشر، تزداد شرور الأول بعد حلول العصر الحديدى، ثم ينشأ الثانى من دم العمالقة ثم يسلط جوبيتر عليهما الطوفان وينقذ «بيراود وكاليون اللذين يكونان الجيل الثالث من البشر ولنبدأ من الخطوات الأولى لخلق الكون والجيل الأول من البشر:

١ ـ يحدثنا أوفيد فى مسخ الكائنات عن صورة الكون الهيولية الأولى، حيث العمى الذى يلف العالم كله برواثه ولا يستبين منه غير شكل واحد لا سواء، فكان كتلة مضطربة لا شكل لها. جمادًا لا حياة منها، أو جملة من بذور مختلفة لعناصر الأشياء، ليس ثمة بينها صلة ولا رابطة، فلم تكن شمس «تيتان» يفيض من نورها على العالم، كما لم يكن ثم قمر «فيبى» له من كل يوم وجه جديد، يكمل ثم يعود ناقصًا كما بدأ، ولم تكن الأرض بعد قد ضمها الفضاء تتهاوى فيه بثقلها، كما لم تكن المياه «أمفتريتى» قد بسطت ذراعيها على شطآن البر، فقد كانت الأرض والبحر الضاء كلها متمزجة لا انفصام بينها، وكانت الأرض تعوزه الصلاة والبحر تعوزه السيول، كما كان الفضاء فى عوز إلى الأضواء، لم يكن ثمة شىء له شكل مميز، وكانت هذه العناصر رغم اختلافها لا تنافر بينها، ثم إنها مع كونها كتلة واحدة كان ثمة صراع بين الحرارة والبرودة، وبين التومد والجفاف، وبين الليونة واليبس، وبين الخفة والثقل.

٢ ـ فى مثل هذا الجو السديمى يظهر الإله أو الطبيعة الأكثر طواعية وهو أشبه بالروح الذى سيفصل بين الكتل الكبيرة المتضادة ولا تسمى الميثولوجيا الرومانية هذا الإله ولا تعدده فى فترة الخليقة هذه، فهو يعمل على فصل

السماء من الأرض والأرض عن المياه والهواء الكثيف من الأثير الشفيف، ويزرع بين هذه الكتل السلام والوئام «عكس ما كانت عليه» ويجعل الماء محيطًا بكل شيء فى الوجود ويضمنها الأرض.

٣ - يعمل الإله على جعل الأرض كروية ويقسم فيها المياه إلى أنهار وبحيرات وبحار وينابيع ومستنقعات، ويبسط الوديان ويعلى الجبال، ويقسم السماء إلى خمس مناطق، وكذلك الأرض وجعل المناطق الوسطى تقليمها لا حياة فيها لشدة قيظها، والثلوج تغطى منطقتين منها أو ما بينهما فتستمتعان بمناخ البرودة والحرارة.

٤ - خلق الإله الهواء والنار والضباب والسحاب والرعد والرياح الأربعة «الشرقية، أبوروس، النسيم: زوفيروس اللافعة: بورياس الممطرة أوستير» وخلق الأثير، ثم خلق الكواكب وجعلها تتألق فى السماء وتجرى فى رعاية آلهة مجسدة.

٥ - ظهرت الأسماك فى المياه والوحوش على الأرض والطيور فى الهواء.

٦ - خلق الإنسان: قام برومثيوس بن بابتوس فقبض قبضة من تراب الأرض وعجنها بماء المطر وسواها إنسانًا على صورة الآلهة مشرئباً بوجهه إلى السماء تشد بصره الكواكب، ومر الإنسان بأربعة عصور.

٢ - العصور الأربعة

أ - العصر الذهبى: ويبدأ من بداية خلق الإنسان وتكاثر البشرية القائمة على الإيمان العميق والمبادئ السامية، فلم يشرع للبشر قانونًا يلزمون حدوده أو يخافون عقابه، وعاشوا ليس لهم وازع غير الضمير، فلا قضاة يفصلون بينهم، ولا حكام يجازونهم، إذا لم يكن ثمة نزاع أو عدوان، وكان الناس حيث هم: لا هجرة ولا نزوح عن أرضهم كان الناس آمنين لا تفزعهم الحروب ولا هم فى حاجة إلى جيوش تدفع عنهم شر المعتدين، والناس لا يعملون، يأتيهم رزقهم من بلوط جوبيتر الممتدة فروعه، حيث يعتقد الناس أن الشهد قطرات ندى تسقط من السماء، ثم يجمعها النحل من ورق شجر البلوط الذى كان مكرسًا لجوبيتر، ويأتيهم أيضاً من الثمار والتوت والأعناب. وكان فصل واحد هو الربيع الذى ساد

الأعوام لكها فلا برد ولا مطر، حيث فاضت الأنهار لبنًا ونكتارًا «شراب الآلهة» وسالت الأشجار شهداً ذهبى اللون.

ب ـ العصر الفضى: بدأ العصر الفضى عندما وقع الإله ساتورن «المقابل لكرونوس الإغريقى، أما ساتورن الرومانى الأصلى فلا علاقة له بذلك» أسيرًا بيد جوبيتر «زوس الإغريقى» فألقى به فى ظلال تارتاروس وانفرد هو بحكم العالم، وقام باختصار الربيع وقسم فصول السنة إلى أربعة هى الشتاء والصيف والخريف المتقلب والربيع القصير الأمد. وجعل الهواء بين بارد وحار وظهرت الثلوج بين الأعاصير العاتية وأخذ الناس يبحثون عن مأوى يقيهم المطر فلجأوا إلى الكهوف والأدغال، ومضى الناس يكدون فى فلح الأرض وحرثها، ويبذرون فيها حبوب الحنطة التى جادت بها عليهم سيريس «ديمتر عند الإغريق» وأخذت الثيران تئن تحت المحاريث.

ج ـ العصر البرونزى: انهارت القيم بين الناس وطبعوا على القسوة فاستسلموا للمنازعات وشاعت بينهم الخصومات، لكن الشر لم يغلبهم تمامًا.

د ـ العصر الحديدى: استمر انحدار القيم فظهرت الجرائم فى أبشع صورها وغاب الحق وسادت الغطرسة والخيانة والطمع والخداع وتفشت القسوة، وتجزأت الأرض وراء حدود وظهرت السفن وعمليات التعدين والحديد بالذات ثم اتبعوه بالذهب اللذين كان عونًا لهم على الحرب والقتال، ووصل الناس إلى مملكة الظلال قرب نهر ستيكس وأصبح الناس يتآمرون على بعضهم فعل العقوق بالوالدين ودس السم بين زوجات الآباء لأبناء أزواجهن، وخرج الناس على طاعة آلهتهم فعم الأرض البلاء وسالت الدماء فهجرتها أسترايا إله العدالة «ابنة زوس وثيمس» وكانت آخر من كان على الأرض من أرباب السماء.

٣ ـ خلق الجيل الثانى من البشر

وكان العمالقة «أبناء جياربة الأرض الذين أنجبتهم من الدم الذى نثر من جرح أورانوس ـ السماء الذى ألحقه به ابنه كرونوس» ويسمون الجيجانت الذى

يسمون البناؤون وهم محتجزون فى أعماق الأرض، خرج هؤلاء العمالقة من أعماق الأرض وأرادوا الانتقام من جوبيتر الذى سجنهم هناك فوضعوا الجبال واحدًا فوق الآخر حتى يصلوا إلى النجوم.

عند ذلك أرسل جويتر عليهم صواعقه فتداعى جبل الأولمب وتزحزح جبل بيليون من فوق جبل أوسا، وإذا تحت ذلك الركام الهائل جثث العمالقة هامدة، وإذا الأرض قد غطيت صفحاتها بدماء أبنائها العملاقة.

ولكن تبقى الحياة متصلة قيل إن الأرض قد نفثت من روحها فى هذا الدم الدافئ فكانت مخلوقات لها سمات البشر عمرت الأرض من جديد. غير أنه سرعان ما خالف هؤلاء أمر الآلهة وثارت فيهم ثائرة ذلك الدم المسفوح الذى خلقتهم الأرض منه، فغلظت قلوبهم وعدا بعضهم على بعض.

٤ ـ الطوفان

يغضب جوبيتر لما حصل بالأرض فيدعو الآلهة إلى مجلسه ويبلغهم خشيته من أن يقوم البشر بما قام به العمالقة فيتجاسرون على الآلهة وعلى السماء وتحدث لهم عن عقابه لطاغية أركاديا «ليكاوون» الذى تجاسر عليه فمسخه جوبيتر ذئبًا، ثم قرر جوبيتر أن يفنى البشر من على وجه الأرض فانقسم حوله الآلهة بين معارض ومتفق وصامت لكن جوبيتر أخبرهم أن الأرض لن تهجر؛ لأنه سيخلق نوعًا جديدًا من البشر، وهكذا اتخذ القرار بفناء البشر عن طريق الطوفان، جمع جوبيتر رياح الشمال فى كهوف إيولوس وجمع معها الأعاصير التى تبدد السحب الكثيفة، ثم أرسل رياح الجنوب من محبسها حاملة المطر ثم أمر «إيريس» بإنشاء السحب الأولى وإرسالها إلى الأرض، وطلب من نبتون «إله البحر» أن يرسل أمواجه، فإذا البحار والسماء تعصف الأرض بالمياه وإذا صفحة الأرض كلها مغمورة بالمياه، وغرق الناس وفنى الناس غرقًا أو جوعًا ومع البشر غرقت الكائنات كلها من زواحف إلى أسماك إلى طيور.

٥ ـ ظهور الجيل الثالث من البشر ديوكليون وبيرا

ويبدو أن هناك سفينة لا يذكرها أوفيد سابقًا تحمل رجلاً وامرأة من أصل إلهى. وهناك أسطورة تقول إنهما قد وضعا فى صندوق مغلق أرسته المياه على قمة جبل برناس.

حين ترسو السفينة التى كانت تحمل ديوكاليون وبيرا على جبل برناس يكون الطوفان قد أوشك على الانتهاء.

كان ديوكاليون ابن عم بيرا فهو ابن بروميثيوس وهى ابنة إبيمثيوس شقيق برومثيوس، اللذين ظهرا فى الأساطير الإغريقية كمساعدين للبشر وهما يعلمانه العلوم ويقوم بروميثيوس بسرقة نار الآلهة وإعطائها للإنسان حتى إنه نال عقاباً قاسياً من الآلهة.

ويبدو أن ديوكاليون وبيرا كانا أفضل البشر وألزمهما للطريق السوى فكان أول شىء فعلاه هو شكرهما لربات الجبل حوريات كوركيا وإلى ثميس ربة الوحى الكاشفة عن الغيب، فقاما يصليان لهن من أجل نجاتهما.

شعرا بالوحدة ثم مضيا إلى نهر كيفيسوس «فى بويوتيا» فغسلا بمياهه رأسيهما وملابسهما، ثم تقدما إلى مزيج لإلهة «ثميس» طالبين منها إصلاح ما حصل للجنس البشرى فقالت لهما: اخرجا من معبدى، وضعا على رأسيكما غطاء، وتخففا من تلك الأحزمة التى تشد ملابسكما، واتركا وراءكما عظام أمكما الجليلة فترددا، ثم فعلا ذلك وأخذ يلقيان بالأحجار وراءهما كما أشارت الربة. فإذا بالأحجار تلين وإذا هى تتشكل أشكالاً وإذا هذه الأشكال على صور هياكل آدمية رغم أنها لم تكن ذات سمات واضحة بل كانت أشبه بتماثيل من الرخام لم يكتمل نحتها، ثم ما لبث أن استحال الجحر لحمًا فكسا تلك الهياكل العظيمة، كما استحالت العروق التى كانت تتخلل الصخور عروقاً فى تلك الأجسام الآدمية، وكان كل حجر يلقيه ديوكاليون يأخذ صورة الرجل، كما أن كل

حجر تلقيه بيرا يأخذ صورة المرأة، وإلى هذه النشأة القاسية الصلبة يعزى كل ما فى الجنس البشرى من عنف وغلظة وقسوة.

وبعدها تتهيأ الأرض لاستقبال حياة جديدة وتظهر الآلهة فيها وتبدأ أساطير الآلهة بالظهور.

تأليه أبطال روما

نهج الرومان ذات النهج الذى سار عليه الإغريق فألهوا بعض أبطالهم القدماء وأحاطوهم بشىء من الغموض، وسنترك أمر حياة أبطال روما جانباً لأنها ليست من اختصاص هذا الكتاب بل سنؤكد على تأليههم فقط.

إينيــاس

عرفنا أن إينياس بن أتغيسس كان قد وشح بالألوهية من سيرته من خلال أمه التى يعتقد أنها فينوس «أفروديت عند الإغريق» ومعروف أن إينياس هو أحد أبطال طروادة الذين خرجوا من حربها خاسرين من أهالى طروادة وقد وعدته الآلهة بأن يخرج من طروادة ليؤسس له نسلاً فى أرض إيطاليا ثم ليؤسس هذا النسل روما التى ستصبح أعظم مدن العالم، وقد تحقق كل هذا.

وعندما توفى إينياس كانت شهرته وعظمته أكبر من أن تنس أو يغفل عنها فقامت فينيوس بالطلب من جوبيتر أن يمنح ابنها إينياس الألوهية أو بعضًا منها فوافق الإله على ذلك ووافقت زوجته كذلك «جونو».

فركبت فينوس مركبتها ووصلت إلى شواطئ لاورنتوم حيث نهر نوميكيوس يصب فى البحر المجاور وهناك أمرت إله النهر أن يغسل أعضاء إينياس ففعل وبذلك سادت أعضاؤه الخلود ومسح جسمه بزيت العطر ومس شفاهه بشهد الآلهة «الامبروزيا» وبنبيذهم العذب «النكتار»، وهكذا تحول إلى إله مرحب به أهل كريرينوس «أخذ تلال روما» ودعوه رب المكان وشيدوا له معبدًا وهيكلاً.

أما نسل إينياس فكان كما يلى:

١ ـ إينياس.	٢ ـ أسكانيوس.
٣ ـ سلفيوس.	٤ ـ لاتينوس.
٥ ـ ألبا.	٦ ـ أيتيوس.
٧ ـ كابيس.	٨ ـ كابيتوس.
٩ ـ تيررينوس.	١٠ ـ ريمولوس + أكرونا.
١١ ـ أفينيتوس.	١٢ ـ بروكا «بروكوس».
١٣ ـ أميوليوس + نيوميتور.	
١٤ ـ إيليا ابنة نيوميتور	١٥ ـ رومولوس + ريميس

روميولـــوس

أنجب بروكا «بروكوس» الملك الثانى عشر لألب لالونغ بعد إينياس الجد الأكبر لهذه السلالة أنجب ولدين هما نوميتور وأوليوس وكان نوميتور الوريث الشرعى للعرش، لكن أموليوس قام بعزل أخيه نوميتور «لكنه لم يقتله» وقام بقتل ابن أخيه وفرض على ابنته ريا «إيليا» سيلفيا على أن تعيش عذراء وراهبة لمعبد الفيستا حتى لا تنجب ولدًا يطالب بعرض جده.

وبعد أربع سنوات وبينما كانت ريا فى غابة الإله مارس تجلب الماء من الينبوع اسودت السماء فجأة وتتمثل لها الإله بشرًا خرافيًا ذا حجم خرافى وجمال رائع واغتصبها وبشرها بأنها ستحمل من ذريته توأمين يفوقان سائر البشر فى الشجاعة.

ولما حملت ريا وبان أمرها حاكمها أميليوس وشكاها لوالدها، إذ كيف تفعل ذلك راهبة فستا وحكم عليها بالإعدام ورمى أولادها فى النهر، لكنها نفيت ووضع الطفلان التوأم فى صندوق ورمى فى نهر التيبر فحمله النهر حتى سفح

تل بلاتيا «أحد التلال السبعة التى ستقام عليه روما» ولما انحسر الماء رسا الصندوق على قاع المجرى وتقلب التوأمان فى الوحل وهما يصرخان بجوار إحدى شجرات التين حيث ظهرت ذئبة «اسمها لوبا» ذات ضرع منتفخ فنظفت الطفلين لعقًا بلسانها وأرضعتهما.

قام راعى قطعان الملك فاوسيولاس برعياتهما سرًا وأسماهما روميلوس وريموس نسبة إلى روما «أى حلمة الثدى» إشارة إلى معجزة رضاعتهما.

شب الولدان على رعى أغنام الملك أموليوس وكانا يتعاركان مع رعاة أغنام جدهما نيوميتور، وقد وقع ريموس ذات مرة فى يدهم عندما كان روميلوس غائبًا عن القطيع، فحاول الانتقام لكن فاوستيولوس أخبره بالحقيقة ودعاه إلى خطة كبيرة لعزل الملك وتنصيب الملك الشرعى جده وإعادته إلى الحكم وتعرف الملك المعزول نيوميتور على ريميس فاتفق الأربعة على خطة محكمة قتل فيها أميولوس وعاد نيوميتور إلى عرشه.

صرح نيوميتور للتوأم وأتباعهما بأن يؤسسا مدينة جديدة فى المكان الذى تربيا فيه، أى على تل بلاتيام بجوار كوخ فاوستيلوس واختلف الإخوان حول مركز المدينة فرأى رومينوس اثنا عشر عقاباً على تل البلاتيام بينما رأى ريموس ستة عقبان على تل أفنتان، فاختاروا تل البلاتيام وبنيت عليه مدينة روما ثم اختلف الأخوان من جديد حول حدود المدينة التى خطها روميولوس بالمحراث وخطر على أى إنسان اجتيازها، فسخر منه أخوه وقفز فوق الخط «ويقال إنه خندق ضيق» فقلته أحد جنود روميلوس أو روميولوس نفسه وهناك خلاف كبير حول هذا الموضوع سنتحدث عنه.

كان على روميولوس أن يملأ روما بالسكان ففتحها للعصاة والصعاليك واللصــوص، ولم يرغب الناس فى تزويج هؤلاء من بناتهم ولأجل ذلك قـام روميلوس بتدبير خطة لاغتيال أشراف جيرانه السابينيين للفوز بنسائهم ففعل ذلك حتى قامت حرب ضروس بين اللاتين والسابين اتحدوا فى نهايتها بعد أن

استعان روميلوس بالإله جوبيتر وقرروا أن يكون الحكم متداولاً بين روميولوس وزعيم السابينيين «تتيوس تايتوس» فلما قتل انفرد روميلوس بالحكم فهناك نهايتان له هما:

١ ـ أنه أصبح طاغية لا يطاق فقام أعضاء مجلس الشيوخ بالتآمر عليه وتمزيقه إلى قطع صغيرة حمل كل منهم شلوا منه تحت عباءته.

٢ ـ أن مارس «وهو ولد روميلوس» رفعه إليه فى عاصفة وأنه ظهر بعد ذلك لأحد أعضاء مجلس الشيوخ وأوصاه بأن يعبده الرومان تحت اسم «كيرينوس» وكيرينوس تعنى الإنسان وهو إله له علاقة بالخصب والأرض.

٣ ـ أن مارس هبط بعربته فوق تلك البلاتين حيث كان رومولوس يقضى بين شعبه فانتزعه من بينهم وتناثر جسد الملك الفانى فى القضاء، كما تناثر فى السماء قذيفة متفجرة وأصبح جسده جلالاً وغدا اسمه كويرينوس الذى يرتدى الـ «ترابيا» «ثياب الاحتفالات السماوية»، أما زوجة روميولوس «هرسيليا» فقد أرسلت جونو إلى رسولتها إيريس لتهبط إلى الأرض ولتدلها على رؤية زوجها بعد وفاته عند الكويرينيالس عند تلك روميولوس فسقطت نعمة من السماء وأشعلت النار فى شعر هيرسيليا وعرجت بها إلى السماء حيث التوت روميولوس وأصبح اسمها «هورا» الإلهة التى ارتبطت عبادتها بعبادة كويرينوس.

فضلاً عن الرواية الأسطورية التاريخية عن روميولوس وريموس حول تأسيس روما هناك عدد غير قليل يصل إلى ستين رواية لا تتطرق إلى الأسطورة المعروفة التى ذكرناها فى أكثر من موقع من هذا الكتاب وتحتاج هذه الروايات الأسطورية والتاريخية إلى تمحيص دقيق وتحليل علمى، لكننا هنا سنمر على أشهرها مرورًا سريعًا.

١ ـ بعض الروايات تقول إن إينياس هو بانى روما وبعضها تقول إن اسكانيوس هو الذى بناها، وربما كان روماس هو ابنه الذى بناها وربما كان روماس وابنه اللذان بنياها.

٢ ـ بعض الروايات ترى أن رومولوس هو ابن إينياس وهو الذى بنى روما.

٣ ـ بعضها تقول إن إينياس وأديسيوس «عوليس» هما اللذان بنياها.

٤ ـ بعضها تقول إن أبناء أوديسيوس من سرسه.

٥ ـ بعضها تقول إن روما هى امرأة طروادية جاءت مع إينياس أو مع أوديسيوس، أو هى ابنة ايتالوس ولكاريا، أو ابنة يتلوفوس زوجة إينياس، أو ابنة اسكاينوس، أو أنها أم روميولوس، أو أنها لها أبناء هم الذين بنوا روما وعادت ما ظهرت روما بصفة الفتاة التى تغرق السفن لتضمن بقاء المحاربين والبحارة وعدم انتقالهم إلى أماكن أخرى وجعلهم الفتيات خادمات لهم.

٦ ـ بعضها يرى أن روما أسست قبل تاريخها المعروف، ومنها أن البلاسجين سكان اليونان الأصليين هما سكنتها وبناتها، وبعضها يرى أن الطرواديين هم من فعلوا ذلك.

٧ ـ وهناك آراء أخرى كثيرة.

ديوسكـور

الدايوسكوريس أو الأخوان «أوسكور» هو اسم مشترك للأخوين التوأمين كاستور وبولكس ولدى الحسناء ليدا، وكان أب كاستور هو تنداريوس ملك اسبارطة، أما أب بولكس فهو زوس «جوبيتر» وأصل اسطورتهما إغريقية لكنها أصبحت رومانية بعد المطابقة.

ولهما عدة أساطير لكن أشهرها أسطورة اختطافها لبنتى الملك لوسيوس المخطوبتين من ابن عمها، فقد قام هذان بالتصدى لهما وقتلا كاستور؛ لأنه من أصل بشرى، أما بولكس فقد جرح ورفعه زوس إلى الأولمب، لكنه عاش فى غم وحزن بسبب فراقه لأخيه فسمح لهما بأن يتقاسما الخلود والموت وذلك بأن يلتقيا يومصا فى الأولمب ويومًا فى العالم الأسفل.

انتشرت عبادتهما عند الرومان وخصوصًا فى طبقة الفرسان ولهما معبد

فى الفدرم معابد معبد الفستا.

وفى الأساطير أنهما كانا يظهران للقائد ليساندر فى حروب البلوبوبينز الإغريقية فوق سفينته بهيئته شعلتين ناريتين ليحميانه من الأعداء، وهكذا رأى البحارة أنهما يمثلان بروق العواصف، وهما راعيا الألعاب الأولمبية والمساهمان فى أناشيد احتفالاتها.

تأليه هيركيوليس «هرقل»

كان هيركيوليس «هرقل» يرعى قطيعصا لجريون قادمًا من أقصى الغرب بعد مغامرته العاشرة، وعند مطاردته لعجل جامح يقال إنه مر بشبه الجزيرة الإيطالية فأسماها «فيتوليا» ومعناها باللاتينية «مسرى العجل» وترجع هذه القصة إلى أواخر القرن الخامس قبل الميلاد حسب رواية هيلانيكوس من جزيرة ليريوس.

وحسب هذه الرواية يكون اسم إيطاليا مشتقًا من فيتوليا وعندما وصل هيركيوليس بالقطيع قرب تل بالاتاين قرب نهر التيبر قطع الطريق عليه وحش اسمه كاكوس فسرق بعض الماشية فقتله هيركيوليس فتنبأت أم إفاندرا وهى القديسة المعروفة باللغة الإغريقية بنيكو ستراتا أو تميس وفى اللاتينية كارمينتا أو كارمنيتس» تنبأت لهيركيوليس بالألوهية. فأقام إيفاندرا «أو هيركيوليس نفسه» معبدًا للإله الجديد وأقدم معبد معروف عن القديسة والمعبد بطقوسه الإغريقية هو سى أسيليوس فى النصف الأول من القرن الثانى قبل الميلاد.

وهكذا كان هيركيوليس بطلاً إغريقيًا مر بإيطاليا وروما فأُله وأُقيم له معبد على سطح تل كابتولاين ومازالت آثاره تحفظ نحتاً يظهر فيها هيركيوليس محفوظًا بحراسة بلاس أثينا.

ونعرف الآن أن تأليه هيركيوليس «هرقل» احتفلت به روما فى القرن السادس قبل الميلاد فى معبد قديم قريب جدًا من معبد كارمينتا وبوابة كارمينتالس المبنية مؤخرًا بمسيرة من المعبد الكبير، عبر سوق الماشية فى بوفاريوم.

تأليه قيصر

بعد الأعمال العظيمة ليوليوس قيصر وقبيل فجعة التآمر عليه وقتله كانت الإلهة ينوس تحاول جاهدة تغيير مصير قيصر لكن جوبيتر أقنعها بأن لا سبيل إلى ذلك: لأنه مكتوب فى ألواح الأقدار المصنوعة من البرونز والحديد ولا يمكن تغييره لكنه وعدها بأنه سيجعل منه خالدًا مع الآلهة.

وبعد مقتل قيصر هبطت فينوس وسط قصر مجلس الشيوخ ورفعت روح قيصرها الغالى من جسده الممزق وارتفعت بها نحو السماء فشعرت أنها تشتعل شيئًا فشيئًا حتى التهبت تمامًا، وإذا بها تنقلت من تصدر فينوس محلقة عاليًا حتى جاوزت القمر وهى تجر وراءها جدائل من أشعة متخذة شكل كوكب متألق.

ومن هناك، من علياء السماء كان قيصر ينظر لمآثر ابنه «أو ابن أخته» ووريثه أوكتافيوس الذى أصبح أغسطس.

انتقلت فكرة تأليه الأباطرة الرومان وبدأت بأغسطس ثم كاليجولا وحتى قبل ظهور الامبراطورية البيزنطية كان الأباطرة الرومان يرون أنهم ينحدرون من الآلهة وأن مالهم إلى هذه الآلهة بعد الموت.

■ ■ ■

تصنيف الآلهة الرومانية

الأساطير هى قصص الآلهة التى تكون نوعًا من التاريخ المقدس لشعب من الشعوب، حيث يدور هذا التاريخ المقدس فى مناطق الأصول والبحوث عن العلل والأسباب الكونية.

والرومان كغيرهم من الأقوام القديمة تعبدوا الكثير من الآلهة كانوا يرددون قصصها ويقدسونها إيمانًا منهم بأنها مفاتيح أسرار العالم وكيمية ظهوره بهذا الشكل أو ذاك.

ولكننا حين نريد تناول هذه الآلهة ومن ثم أساطيرها نقع فى إرباك شديد فهى تبدو مرة كثيرة ومرة ذات أصول مختلفة ومرة بدائية ومرة متطورة تشبه آلهة الإغريق وتقابلها ومرة شرقية مرة تتجسد الآلهة فى الأباطرة ومرة ذات فئات وصفات خاصة وهكذا.

إن ما تمتاز به الآلهة الرومانية عن غيرها من آلهة العالم القديم، واليونانية بشكل خاص هو كثرة أصولها ووظائفها وأنسابها وأنواعها لدرجة أنه يستحيل علينا تناولها دفعة واحدة، ولكننا توصلنا إلى تصنيف معقول لها يضعها فى أطوار موجات واضحة وقد تمكنا من خلال هذا التصنيف أن نسرد الأساطير الخاصة بها.

أول شروط هذا التصنيف هو أن نسميها بـ «الكائنات الإلهية» إذ ليس كل ما تحتويه لائحة التصنيف هذه من الآلهة الخالصة، بل سنلاحظ بوضوح شديد أن هناك كائنات من أصول سحرية قديمة ارتبطت بالديانات والعقائد البدائية لشعوب إيطاليا القديمة وهى عبادات أسروية وعشائرية وسلالية لم تكن تعرف معنى كلمة إله.

أولاً: الكائنات السحرية

أطلقنا مصطلح الكائنات الإلهية على جميع أنواع الأرواح والآلهة وأشباه الآلهة التى عبدها الرومان، أما مصطلح الكائنات السحرية فقد أطلقناه على الكائنات التى ظهرت من عبادات سحرية قديمة هى «فتيشية والطوطية والأرواحية».

لم يتبق من القوى الفتيشية إلا قوة النيومين التى أصبحت تجسد خارقية الإلهية والأباطرة والإنسان، فقد تحولت إلى دلالة على عظمة وقوة من تحمل به فيعزى لها الصفات الألوهية عند الحركة والأباطرة والصفات الخارقية السحرية عند المتميزين من البشر من كهنة وأبطال ومغامرين.

أما العبادات الطوطية القديمة فقد ظهرت بشكل خاص فى الرموز التى تشير إلى الآلهة فالإله مارس أصبح رمزه الذئب؛ لأن الذئب اعتبر ذات يوم طموحًا أو عُبد باعتباره حارس القطعان والحقول، لأن بداية الإله مارس كانت زراعية، ربما كان الذئب أو الذئبة من أكثر الحيوانات حضورًا فى المثولوجيا الرومانية.

أما عبادة الأرواح فيصطلح عليها بأنيمر وقد تترجم إلى الحيوية، فهى الاعتقاد بوجود عنصر مادى، أرواح أو حياة تسكن فى كل الكائنات وكل الأشياء مرئية كانت أم غير مرئية.

ولا يمكننا تخمين طرق عبادة الأرواح القديمة لكننا نستدل من اسمها «مان» بأنها خيرة تنتسب للآباء وقد تكون هذه الأرواح شريرة إذا ما تعلق الأمر بأرواح الموتى الأشرار، ولذلك نرى أن عبادة الأرواح تتضمن عبادة الموتى وعبادة الاسلاف.

أرواح الموتى إما أن تكون سيئة مثل الليمور واللارفا وإما أن تكون أرواح ساحرات مثل «ألمانا».

أما الأرواح الحامية فهى إما منزلية «بينات» وإما عامة «لارات» وإما خاصة وهى الجن.

وقد تنحدر التفاصيل إلى أدق الأماكن فالأرواح الصغيرة تنتشر فى كل مكان ولابد من عبادتها والخوف منها وإقامة الطقوس لها لتبقى راضية عن الإنسان وتعينه فى حياته اليومية.

إن الفرق بين الأرواح والآلهة واضح من الوظائف المحدودة والصغيرة ومن المكانة المتواضعة لهذه الأرواح قياسًا للآلهة التى هى كائنات أكبر وأهم وأكثر تخصصًا ولها استقلالية تامة فى مجتمعها الإلهى.

كانت الجن وهى أرواح حامية للرجال والنساء والأطفال والأمكنة وهى أقرب إلى الأرواح التابعة للرجل جينيًا وللمرأة «يونونى» وللأمكنة على «جينلى» وللدولة والمقاطعات والمدن.

ثانيًا الآلهة

قد تكون بعض الأرواح الرومانية قد تطورت إلى آلهة رومانية لكن هذا لا ينطبق على جميع الأرواح، فقد ظلت هذه الأرواح تعبد جنبًا إلى جنب مع الآلهة حتى آخر الامبراطورية الرومانية.

ويبدو أن وجود هذه الأرواح بغزارة حجب عن الرومان وضوح تصورهم عن الآلهة فقد كانت هذه معبودات خاصة لا جنس ولا شكل ولا مكان لها وبالتالى لا قصة لها أو لا أسطورة توضح أصلها ووظيفتها، وهذا ما يفسر فقر المثولوجيا الرومانية وغياب أساطيرها.

وكانت الآلهة الرومانية إما تطويرًا لبعض الأرواح القديمة أو نقلاً عن الأتروسك أو اللاتين أو السابين والأومبير أو من الإغريق مع محاولة المطابقة مع آلهة محلية.

ويعطينا هذا الخليط صورة عن مدى تفكك المكونات الفاعلة فى صورة

البانثيون والرومانى الذى لا يمكن تصوره متجانسًا مرهفًا متسلسلاً.

وعند رسوخ عبادة الآلهة كان لابد من ظهور الأرواح بصيغة مناسبة لترتيب وحجم ووظائف الآلهة ولذلك سُميت هذه الأرواح بالآلهة الصغيرة.

لقد نظرنا طويلاً فى هذا الكم الهائل من الآلهة ووجدنا أن هناك ثلاث طرق لتصنيف هذه الآلهة وهى:

١ ـ حسب أصول الآلهة: حيث نأخذ بنظر الاعتبار المكان الذى ظهرت فيه هذه الآلهة وكيف أخذت مكانها فى مجمع الآلهة الرومانى، وتنقسم الآلهة حسب هذا الوصف إلى:

أ ـ الآلهة المحلية: وهى الآلهة اللاتينية والسابنيتة والأومبيرية وقد كانت أغلب هذه الآلهة أرواحًا ثم تحولت إلى آلهة، وتنقسم إلى آلهة العائلة وآلهة الدولة ومثل هذه الآلهة «جانونس، جوبيتر، مراس، فستيا، ساتورن، نبتتون، فولكان.. الخ».

ب ـ الآلهة الأجنبية: وهى الآلهة التى وفدت إلى الرومان من خارج مملكة روما القديمة وتنقسم إلى:

ـ الآلهة الأتروكسية: مثل مبركؤر، منيرفا، جونسون، تينا.

ـ الآلهة الإغريقية: مثل أبولو وأفروديت وبوزيدون.

ـ الآلهة الشرقية: مثل أتارجاتس وإيزيس وسيبيل.. إلخ.

٢ ـ حسب وظائف الآلهة: وهو التصنيف الذى يغض النظر عن أصول الآلهة ويركز على وظيفتها ومهماتها، وبذلك تجتمع فى خانة واحدة آلهة واحدة ذات وظيفة واحدة ولكنها من عدة أصول وهو التصنيف الذى سنأخذ به فى عرض الآلهة وأساطيرها ومن هذه الوظائف «آلهة الدولة، الزراعة، المياه، العالم الأسفل، المدينة المحلية، وأسماؤها الرومانية.

٣ ـ حسب شجرة الأنساب الإلهية: وهو التصنيف الذى يرتب الآلهة الرومانية حسب التسلسل العام لشجرة الأنساب الإلهية الإغريقية مع الأخذ بالاعتبار خصوصية الآلهة الرومانية فى بعض فقرات شجرة الأنساب، ولكننا بشكل عام نتبع التسلسل العام الذى تفرضه سياقات الظهور المتدرجة للآلهة العتيقة ثم القديمة ثم الجديدة ثم الآلهة الأخيرة التى تمثل الثمار النهائية لهذه الشجرة.

■ ■ ■

الآلهة الرومانية حسب وظـــائفهـــا

نرى أن التصنيف الأفضل للآلهة الرومانية هو تصنيفها حسب وظائفها، لأن تصنيفها حسب أصولها قديم جدًا وقد طرأت عليه تغييرات كثيرة أبعدت تلك الآلهة عن أصولها، أما تصنيفها وفق أنسابها فقد جرى على ضوء شجرة الأنساب الإغريقية ووفق هندستها وهو حديث جدًا، لكن تصنيفها حسب وظائفها يجمع الاثنين من ناحية، ويعطينا صفاتها الحقيقية من ناحية أخرى.

وسنعمل على الأخذ بالتصنيفين الأصولي والسلالي ونحن نتحدث عن التصنيف الوظيفي لها.

أولاً: آلهة الدولة

وهى الآلهة الرئيسة للرومان فى عصورهم الملكية والجمهورية والامبراطورية، فبالرغم من ظهور عبادة الأرواح السحرية والأرواحية بشكل خاص فى بداية العصر الملكى وبالرغم من ظهور الآلهة الإغريقية ومتطابقاتها الرومانية فى العصر الامبراطورى إلا أن الآلهة الرئيسة للرومان ظلت هى آلهة الدولة التى قلنا إنها نشأت من رمح بعض الآلهة أو الأرواح التى كانت تتعبدها الأسرة. وجعلها آلهة جماعية تتبناها الدولة.

١ ـ يانوس

أصله:

هو إله إيطالى رومانى أصيل ويعتبر أكبر الآلهة الرومانية قبل ظهور جوبيتر، فقد اعتبره الرومان أب الآلهة بل هو الخواء «الكاؤوس» من وجهة نظر الرومان أى المادة الهيولية الأولى للكون والآلهة، قبل أن تتميز وتتحول إلى مادة

وآلهة العناصر الأربعة وقد جاء هذا الاعتبار من كونه إله البدايات، والكاؤوس هو بداية الكون والخليقة.

اشتقاق الاسم:

١ ـ من الفعل غضب أو الجذر سماوى أو مقدس اسمه الأول كان ديفانوس وهو يعنى أصله إلهى.

٢ ـ من كلمة إلهى وتعنى سماوى ومقدس.

٣ ـ من كلمة يانا التى تشير أحيانًا إلى دايانا ومنها dium-dius وهى ما توحى بفكر السماء المنير، وهو ما يؤكد الأصل الشمسى للإله يانوس فقد كان جذره dium-dius.

٤ ـ ونرى أن اسم هذا الإله له علاقة باسم إله السماء السمورى «آن» والأكدى «البابلى والأشورى» آنو، ونرى أنه قد أضيف له حرف «S» للتعريف عند الإغريق والرومان وأصبح آنوس أو يانوس، وهذا يعنى أن الأقوام الرافدية القديمة العراقية القديمة نقلته إلى بلاد إيطاليا من وهو أعلى الآلهة عند السومريين والأكديين وله قدسية خاصة.

وظائفه

١ ـ إله المداخل والمخارج: سواء كانت البوابات العامة والتى من خلالها تمتد الطرق وكذلك الأبواب الخاصة، لذا كانت رموزه المفتاح، الذى يفتح ويغلق الأبواب، والعصا التى يستخدمها البوابون فى طرح من ليس لهم الحق بالدخول. وليانوس وجهان يسمحان له بمراقبة كل من يدخل ويخرج البيت والنباتات العامة كذلك وقد صور على النقود بهذين الوجهين.

٢ ـ إله الرحيل والعودة: وهو إله وسائل الاتصال، وكان إلهًا للموانى ويعبد تحت اسم janus portnus وكذلك يعتبر إلهًا للملاحة.

٣ ـ إله البدايات: اعتبر إله كل بداية من بداية الكون والخليقة وبداية طلوع

الفجر وبداية اليوم، وبداية كل مشروع بشرى وبداية الآلهة، وبداية العام وبداية الشهر وبداية اليوم.

٤ ـ إله الفصول الأربعة: ولأنه يسيطر على بداية السنة فهو يسيطر على الفصول الأربعة ولذلك صور بأربعة وجوه.

٥ ـ الإله الناصر أو الحامى لروما: ولذلك كان معبده عبارة عن ممر يغلق أثناء السلم ويفتح أثناء الحرب ليمر منه المقاتلون وينصرون روما.

كان يانوس إله البدايات وبصفته إلهًا شمسيًا فقد كان تشرف على الفجر، وسرعان ما اعتبر منشئاً لجميع المبادرات الأولية، وبصورة عامة، وضع على رأس جميع المشاريع البشرية، ولهذا السبب فقد عهد له الرومانيون بوظيفة أساسية فى خلق العالم ويروى أوفيد أن يانوس أو جانوس كان يسمى الهيولى فى زمن كان فيه الهواء والنار والماء والتراب جميعًا كتلة لا شكل لها، وعندما انفصلت العناصر، اتخذ الهيولى شكل جانوس، إن وجهيه يمثلان فوضى حالته الأصلية.

أسطورته: يظهر يانوس كأصل للخواء الكاؤوس الرومانى ثم تنفصل منه العناصر الأربعة «التراب، والهواء، والماء، والنار» ويتكون الكون الأول والآلهة الأولى، ثم يصبح ملكاً للعصر الذهبى الذى مر به العالم ومقره فى لاتيوم ويقال إنه رحب بالإله ساتون عندما طرده جوبيتر إبان الثورة عليه، فما كان من ساتورن إلا وأن سلمه علم الماضى والمستقبل ولذا يصور يانوس بوجهين.

كذلك يقال بأنه جاء إلى لاتيوم على رأس أسطول واستقر هناك وحكم وأسس مدينة تسمى يانيكول.

ـ رموزه: المفتاح، العصا «فيركا».

ـ عيده: فى شهر كانون الأول الذى حمل اسمه،

ـ معبده: أقيم معبد يانوس على الأرض التى انبثقت منها المياه عندما تقدم تاتيوس السابينى لغزو روما بعد أن رش امرأة لكى ترشده من مكان خفى داخل

الحصن، فما كان من يانوس إلا وفتح قنوات مياه الينابيع «وهى إحدى وظائفه» وأوقف الماء الساخن، تقدم تاتيوس ويمر المقاتلون من معبده أثناء الحرب.

صوره: صور على قطع النقود براس ذى وجهين أحدهما أمراد والثانى ملتح دلالة على الشمس والفجر، وفيما بعد أصبح الوجهان ملتحيين، وظهر رسمه على بعض قطع النقود بأربعة وجوه، وفى بعض الصور يبدو حاملاً بيده اليمنى مفتاح روما.

ومن المعروف أن إله المصباح والنور السومرى المسمى «إيسمود» يظهر فى الصور بوجهين أيضًا وهو مساعد الإله إنكى ابن آن.

وتظهر صورته على المطارق النحاسية الموضوعة على أبواب المعابد الرومانية القديمة.

٢ ـ ساتيرن

أصله: إله زراعى قديم من أصل لاتينى وروماني يحتل نفس المرتبة التى يحتلها يانوس وجوبيتر، ومن المحتمل أن اسمه يرتبط بكلمة «يشبع، بفرط، يحشو» أو بكلمة «الزراع» وفى كلا الحالين فهو مرادف للوفرة.

لكننا نرى أن لهذا الإله علاقة بعيدة بالإله ساتران السومرى وهو إله القضاء فى مدينة دير شمال سومر وهو أحد الآلهة الذين نزلوا إلى العالم الأسفل، فله أسطورة مفقودة يعتقد أنها تشبه أسطورة دموزى، وبما كان أصله على هذا الأساس زراعيًا وله علاقة بالخصب والوفرة أيضًا ولذلك نرى أن للإله الرومانى ـ ساتيرن علاقة بالإله السومرى ساتارن أو «ساترن».

أسماؤه: «لايتوم» بعد أن طرده جوبيتر.

وظائفه:

١ ـ إله الوفرة والبركة والخير والازدهار.

٢ ـ إله الكروم.

٣ ـ إله تسميد الحقول.

٤ ـ إله الكوكب «زحل».

٥ ـ إله الزمن.

أساطيره:

كان ساتيرن أحد الجبابرة التيتان الذين أنجبهم يورانوس وجيا وكان يحكم العالم وجبل الأولمب كل من التيتان «أوفيون ويورينوما» وعدنما شب ساتيرن طردهما من الأولمب وحكم هو، أن حكمه امتاز بالخير حتى سمى بالعصر الذهبى لكنه من جهة أخرى يوصف بأنه كان يلتهم صغاره خوفًا من تولى أحدهم الحكم بعده. كان يشبه ويقابل كرونوس اليونانى فهو إله الزمن فإذا كان يانوس إله البدايات فإن ساتيرن إله النهايات، حيث ينتهى كل شىء فيه وقد تزوج ساتيرن وأنجبا عدة أولاد التهمهم جميعًا ساتيرن لكن جوبيتر نجا من ذلك بحيلة دبرها «أو بس» حيث لفت حجرًا بقماشة وأعطته له على أنه جوبيتر، ولما كبر جوبيتر وتزوج من ميتس إلهة الحكمة والحذر أعدت جرعة من الأعشاب وأعطتها لساتيرن فلفظهم جميعًا، ثم تمرد جوبيتر وأشقاؤه وشقيقاته على والدهم وأخوة والدهم من التينان فنشبت حرب كبيرة انتصر فيها جوبيتر وقام بسجن التيتان فى الجحيم «تارتاروس» وعاقب الآخرين وحكم على أطلس أن يحمل السماوات على كتفيه.. أما والده ساتيرون فقد قام بطرده من جبل الأولمب فاستقبله يانوس وأكرمه فى روما وأعطاه علم الماضى والمستقبل «العرافة»، وكان ساتيرن قد حمل إلى روما الزراعة والكرمة والازدهار والخصب حتى أصبح عصره هو العصر الذهبى.

ـ رموزه: المنجل وسنابل القمح وكوز الذرة.

ـ عيده: يسمى عيد الساتورنالى فى ١٧ / ٣، كانون الأول ديسمبر من كل سنة.

معبده: قرب الكابيتول، حيث تحفظ خزانة الدولة فى المعبد كما تحفظ رايات الفرق العسكرية التى لا تقوم بالحملات، وقد ربط تمثال الإله بأشرطة صوفية لتمنعه من مغادرة الأراضى الرومانية، وتحل هذه الأربطة خلال احتفالات الساتورناليا.

صوره: ظهر فى لوحة من بومبى تظهره واقفاً وصدره نصف عار وهو يحمل منجلاً فى يده، أما فى النقود المعدنية فيظهر حاملاً منجلاً أو سنابل قمح.

زوجته: أوبس وهى إلهة الخصب والقوى الخلاقة فى الطبيعة، ويشبه دورها إلى حد بعيد، دور سيبيل وريا عند اليونان، فهى إله الخصب والثروة الوفرة بشكل عام وإله الحصاد والبذار وتعد أفتاً لساتيرن وزوجة له ولها أعياد تسمى الأوباليا.

ويقال: إن زعيم السابنين تيتوس تانيوس أدخلها إلى مجمع الآلهة الرومانية وكانت تمثل فى العصر المتأخر على شكل أم تمد يدها اليمنى بالمساعدة وباليسرى توزع الخبز.

٣ - جوبيتر

أصله: هو أب الآلهة الرومانية الذى أصبح ملكًا لها، وهو إله أتروسكى الأصل انتقل إلى اللاتين، ويلفظ أيضاً «يوبتر» كان عند الإتروسك يسمى تينيا وكانت وظيفته عندهم هى تحذير الرجال ومعاقبتهم أحيانًا، ولهذا الغرض كانت صواعقه الثلاثة فكان له أن يقذف بالأولى حيثما شاء ولكن القذف بالثانية وهى تحذيرية أيضًا، كان يتطلب منه الحصول على إذن من اثنى عشر إلهاً بالموافقة أو المشاركة، أما الثالثة فهى التى تقوم بالعقاب ولا يتم إطلاقها إلا بموافقة الآلهة العليا أو الآلهة الخفية، ويمكن معادلة هذه الصورة الأولية له بالإله «سومانوس» وهى إله آخر للرعد عند الأتروسكين والذى كان يهيمن على السماء فى الليل.

أما جويتر اللاتينى فكان فى البدء إله النور «الشمس والقمر» والظواهر الكونية مثل الرياح والمطر والرعد والعواصف والبرق ولهذا كان دوره مهمًا جدًا للسكان العاملين بالزراعة.

اشتقاق اسمه: يرى بعض الباحثين أن اسمه مشتق من اللغة الآرية وأن جذره هو «ديوس باتر» أو «ديس بيتر» ونجد ذلك بالسنسكرتية أيضاً، على

اعتبار أن باتر هو الأب وهو جذر كلمة Father ويمكن العثور على جذر didir والذى يشير إلى القدسية والبزوغ والضياء الكونى، وتشير قمم الجبال إلى مكانه قبل معابده لاقترابها من السماء والشمس، ونحن نرى أنه يمكن العثور على جذر أب من «يوب» أما كلمة إله فتشير إلى الضوء أو الضياء أو «ضى».

لذلك نقول إن «يو» أو «دو» تعنى الضوء حتى فى اللغات السامية والسومرية التى نرى أنها مصدر التسمية فـ «دوباتر» أو أوباتر هى الأب الضوء أو إله الضوء والمقصود به البرق وضوء السماء وهو ما يعنيه معنى زوس «الضوء» المشتق من الإله زو السومرى البابلى. وقد تعززت صفات جوبيتر الرعدية والبرقية من خلال تأثره بالإله «تينا» الإتروسكى. وكان الرومان يرون فى جوبيتر إلهًا حافظًا لعريشة العنب مقرنين إياه بـ «البير» كتقليد لـ «زوس اليونانى» إلهًا ـ مدافعًا عن كرم الضيافة والحياة العائلية وتقول الأسطورة إن ملك تاركوينا الأتروسكى الأصل جهز لجوبيتر فوق هضبة الكابيتول معبداً وبهذا أصبح جوبيتر يعتبر حافظ المدينة، ثم تحول فى وقت لاحق إلى حامٍ أعلى لكل الدولة وإله وطنى للشعب الرومانى.

كانت وظيفة جوبيتر الاتروسكانى تسمى تينيا هى تنبيه البشر وفى حالات أخرى معاقبتهم، ولهذا كان يمتلك ثلاث صواعق، بإمكانه قذف الأولى للتحذير عندما تدع الحاجة إلا إنه عندما يريد قذف الصاعقة الثانية التى هى بمثابة إنذار أولى، عليه أن يحصل على إذن من الآلهة الإثنى عشر، أما الصاعقة الثالثة التى تعاقب فلا يمكن إطلاقها إلا بعد موافقة الآلهة الكبرى أو الآلهة المخفية ويمكن مقارنة هذا الجوبيتر الأولى بـ «سمانوس» وهو إله عاصفة اتروسكانى آخر كان يشرف على السماء الليلية.

وقد مر بتطورات كثيرة من كونه إله العرافة إلى الإله الزراعى إلى الإله الحامى لروما إلى إله الدولة الكبير إلى الإله المحارب إلى حارس الأفلاك إلى حارس قوة الامبراطور، كما كان يطلق عليه لقب الخباز عندما نصح الرومان بعد حصار الكابيتول، بأن يرموا خبزاً من فوق الأسوار ليرى الأعداء بأنهم لا

يخافون من الجوع.

وظائفه وأسماؤه: رأى بعض العلماء القدماء أن جوبيتر هو اسم إله آرى «هندو أورى» قديم وعام، وقد استخدم اسمه بصفة مجازية، مجرد فكرة تشير إلى السماء ولا تعنى شيئًا سوى تحت السماء المكشوفة أى فى الهواء البارد.

ويمثل جوبيتر وحدة الدولة الرومانية القوية وقائد جيوشها نحو النصر وحامى قانونها وفى اتساع الامبراطورية عندما لمعت أسماء آلهة أخرى بجانبه مثل آمون المصرى لم تؤثر على مركزه وقوته فى العصر الملكى كان جوبيتر إله الكروم والعرائش، ولذلك كان يحتفل بعيده أيام ظهور الأعناب فى شهر نيسان، وكانت الوظائف التى نسبت إليه، فى الغالب، محلية ويظهر لنا متملكًا لقليل من الأمور التى من شأنها شحذ الأفكار والتخيل إن لم يكن غير متملك لأى شىء ولم يصبح كذلك إلا فى عصر قادم، عندما أصبحت عبادته وصار إرضاؤه الأمر الرئيس فى الدين.

ويبدو أن جوبيتر كان إله فأل وعرافة عندما ظهر رومولوس قبل تأسيس روما، فحين حلت الهزيمة برومولوس أمام السابين نصح جوبيتر رومولوس بفأل قادمة إلى الانتصار وبناء روما، وكنتيجة لهذا العمل حصل الإله جوبيتر على اسم المنقذ وشيد رومولوس معبده على الكابيتول.

ومع تتويج نوما بومبيليوس بعد وفاة رومولوس ظهر العرافون «كهنة الفأل» الذين أصبحوا يكرسون الملك الرومانى باسم جوبيتر وهو ما يؤشر المراحل الأولى من نشوء طقس الدولة أو المملكة الرومانية.

وقد شيد لجويتر معبد آخر على جيل تاربيان «تارب» فى حدود عام ٥٠٩ ق.م وفاء لنذر قطعة الملك تراكنيوس برسكوس ملك روما الخامس بعد مئتى سنة من الحروب الفولسكى وبعد وفاة الملك بسبعين سنة.

وفى العصر الجمهورى حصل جويتر على لقب حامى روما بعد محاولة العبيد حرق روما ومعبده فى الكابيتول، وازدادت مكانة روما وجوبيتر وظهرت

استعراضات النصر لجوبيتر فى النصف الأول من العصر الجمهورى.

أما فى النصف الثانى منه فقد انفصلت الشرائع الرومانية عن الدين وقامت الرواقية بالترويج للعقل ونقد الدين ورغم أنهم جعلوا من جوبيتر رمزاً للوحدانية إلا أن مكانته ضعفت أمام ظهور الآلهة الجديدة.

وفى هذه المرحلة قام الاتروكسيون بمطابقة جوبيتر مع إلههم المشهور تينيا وبعدها بقليل قام الإغريق والرومان بمطابقة زوس مع جوبيتر، وبذلك دبت دماء جديدة أنعشت جوبيتر وقد حصل هذا التطابق وتكرس فى الفترة ما بين ٣٠ - ١٧٥ ق.م وهو العصر الأخير من الجمهورية تحديدًا عندما أصدر مجلس السناتور قراراً بدخول الألعاب الأولمبية إلى روما وأن يتم إرضاء الإله جوبيتر بالضحايا والقرابين والدعاء لمدة عشرة أيام.

ويبدو أن تقديم الضحايا شمل الحيوانات كاملة النمو ومحاصيل السنة الزراعية وكان لابد من تقديم الخمور واللحم المقلى وغيرها والحقيقة أن هذه الألعاب الأولمبية كانت تقام لزيوس الإغريقى، وبهذا بدأت مطابقة جوبيتر بل وكل الآلهة الرومانية مع الآلهة الإغريقية وهو مال شوه وغير وظائف وأساطير أنساب الآلهة الرومانية العريقة.

ولكن هذا الإجراء أنعش من ناحية أخرى هذه الآلهة، ولو لفترة وجيزة وارتفعت مكانة جوبيتر بقوة وأصبح مركز طقس الدولة الرئيس لكن هذا كان يبعده شيئًا فشيئًا عن الجماهير المتعطشة لفكرة الخلاص الروحى وهنا تأتى المفارقة حيث إن جوبيتر بعد مطابقته بزوس أصبح إلها داعرًا شهوانيًا يضاجع الإلهات القديمات والجديدات والنساء ويركض بخفة وراء شهواته الحسية وهو كان يثير الحقد والسخرية عند الناس ورغم ما كان يحاوله أدباء وشعراء الرومان، فى هذه الفترة، من رفع مكانة جوبيتر إلا أنه كان يزداد انحطاطًا.

ورغم أن البانثيون الرومانى الاثنى عشرى تشكل من أرومة أتروسكية - لاتينية لكن إطاره وأساطيره كانت تجرى فى أنهار إغريقية قديمة ومع دخول

التفاصيل الإغريقية تزايد عدد الأرباب الرومانية وتم تدريجياً انتزاع وظائف جوبيتر وإحالتها لآلهة آخرين وكان الرومان يتوقون إلى الحقيقة والثواب الأبدى ولا يهمهم مطلقًا إن كانوا قد يذنبون فى طريقهم إليهم ولا يهتمون إن كان الإله جوبيتر يرسل عليهم صواعق نتيجة غضبه عليهم فقد أصبح الإله جوبيتر هنا لا يشخص فكرة ولا قيمة كبيرة لرغباته وتأتى إرادته ثانوية.

ولابد من التنويه إلى أن أسطورة زوس منذ ولادته وحتى شيخوخته عند الإغريق قد أصبحت تروى بمسميات رومانية فى هذه المرحلة وبذلك صرنا أمام جوبيتر جديد بعيد عن جوبيتر اللاتينى أو تينا الإتروسكى.

والأسطورة الجديدة التى وضعت لجويتر هى ولادته كابن أصغر لساتورن بعد أن كان هذا قد اطلع على نبأ نهايته على يد أحد أبنائه فما كان منه إلا ابتلاعهم جميعًا تى قامت بونو بتخليصهم بعد أن قذف بهم من بطنه وقام جوبيتر بأسر ساتورن فألقى به فى ظلام تارتاروس وانفرد هو بحكم العالم وكانت هذه بداية العصر الفضى ونهاية العصر الذهبى للعالم ثم تبدأ أساطير، الكثيرة من آلإلهات والنساء البشريات والتى ننصح بالعودة إليها من أصلها الإغريقى مع ملاحظة الأسماء الرومانية الجديدة لها، وهو ما كرسه أوفيد فى كتابه «مسخ الكائنات».

فى العصر الامبراطورى: استولى الأباطرة على صفات جوبيتر وكادوا يحلون بدائل عنه، وبذلك تضاءلت مكانة جوبيتر، وتعرض جوبيتر للاستهزاء والاستخفاف وبحرق قدسيته، ويخبرنا أوفيد بأن جوبيتر مثل البشر يخضع إلى الرشوة ويرغب فيها:

«إن الرشوة صدقنى تشترى كلاً من الأرباب والبشر، فالإله جوبيتر ترضيه نذور العطايا».

وتستمر انتكاسة جوبيتر مع دخول الآلهة الشرقية إلى روما فرغم المحاولة البائسة لمطابقة جوبيتر مع بعل السورى إلا أن هذا كان يميل إلى إله الشمس

الرومانى «سول» ولذلك تم نحت جوبيتر تلفيقى هو جوبيتر سولياتاريس ولا شك أن جوبيتر سيتوارى أمام الإله مثرا إله الشمس الفارسى.

وتميز القرنان الثالث والرابع بالتحول الملحوظ إلى المسيحية، فعندما يتكلم أوسونيوس عن جوبيتر فإنه قصد نجمة المشترى «خامس الكواكب السيارة فى البعد عن الشمس» فى الكون الذى خلقه ويديره الله.

رموزه: النسر «رسول جوبيتر»، البرق «صولجان جوبيتر».

عيده: الألعاب الودية السنوية المقابلة للألعاب الأولمبية الإغريقية، وكان التاركويون القدماء قد وضعوها وتتألف من مسابقات رياضية وخاصة سباق العربات.

معبده: معبد الكابيتول ويبعد مع يونو ومنيرفا فى ثالوث يدعى الثالوث الكابيتولى على جبل الكابيتول وهنا حمل جوبيتر اسم «جوبيتر الأعظم، ثم ارتبطت به يونو، ثم منيرفا، وأصبح ثالوثًا.

كانت تقدم الأغنام البيضاء كأضاح له وله معبد فى بعلبك مع باخوس.

٤ ـ جونو

أصلها: نرى أن أصل جونو «يونو» كان من الأرواح الحامية للمرأة التى تسمى «يونا»، حيث لكل امرأة «يونا» خاصة بها، ثم أصبحت الروح أو الجنية «يونا» إحدى إلهات الأسرة، ثم رفعت إلى مستوى إلهة من إلهات الدولة عندما أصبحت زوجة جوبيتر.

ولا شك أنها إحدى الإلهات الإيطاليات الأصليات، فقد وجدت عند السابنيين والأوسكانيين واللاتين والأومبريانيين والأتروسكان، هناك ما يشير إلى أصلها أيضاً فى كونها الرمز الأنثوى للضياء الكونى فلقبها القديم يدل على ذلك فى مقابل الرمز الذكرى للضياء الذى يمثله جوبيتر، ولذلك نستطيع القول إنها تمثل «النور» الأنثوى الصادر عن القمر، ولذلك فهى إلهة القمر، حيث يمثل

زوجها جوبيتر «الضوء» الذكرى الصادر من الشمس.

وهناك من يرى أن أصلها أتروسكى وكانت تسمى يونى.

اشتقاق اسمها: يوحى لنا الاسم القديم لها «يونانا» بقمارية تبدو غريبة، فمقطع «يو» يعنى الضوء وقد يعنى إله أو إلهة أما «نانا» فهو إله القمر عند السومريين، وهكذا نرى أن أصل يونو مأخوذ من اسم إله القمر السومرى «نانا» وهو ما يفسر كونها إلهة للقمر وبذلك يكون معنى اسمها الكامل «ضوء القمر» أو «نور القمر» وهو ما يطابق حقيقتها الرومانية ووظائفها.

أسطورتها: لها أساطير كثيرة منها ما هو رومانى أصيل ومنها ما هو إغريقى الأصل بعد أن توحدت بـ «هيرا» زوجة زوس، والحقيقة أنها أقل أهمية من هير وأكثر إنسانية منها.

ومن أساطيرها الرومانية تلك المرتبطة باسمها، حيث تروى غزو القبائل المجاورة لمدينة روما بقيادة بوتيموس ليفيس الذى طالب روما بتسليم جميع النسوة والفتيات، فأرسل الرومان لهم النساء الإماء متنكرات كنسوة حرائر، ثم قمن بإعطاء إشارة من أعلى شجرة التين عندما كان الأعداء نائمين فأسرع الرومان وقتلوهم، وتم تحرير الإماء وخلد عملهن البطولى بذكرى سنوية تقام فى ٧ يوليو عرف باسم «عيد التين».

وأسطورة الإوزات اللائى حذرن الرومان من غزو الغاليين وكانت الأوزة طيريونو.

أما أساطيرها الإغريقية المنشأ فكثيرة جدًا ونفضل العودة إلى كتابنا عن المعتقدات الإغريقية وتتبع أساطير هيرا نظيرتها اليونانية وكان أغلبها يدور حول غيرة هيرا «يونو» من الإلهات والحوريات والنساء البشريات على زوجها «زوس، جوبيتر».

وقد أصبحت جونو «جونون» المسئولة عن الثورة عند اقتسام الآلهة للعالم، وأصبحت وظيفتها حماية المبادلات التجارية وسموها «مونيتا» وكان الرومان

يقيمون لها معبدًا حيث يصكون نقودهم منذ القرن الثالث ق.م.

لكننا ونحن نفحص أساطير جوبيتر وبونو نصل إلى استنتاج غريب وهو أن بونو لا تنجب من جوبيتر إلهًا مهمًا رغم أنها زوجته الرسمية. أما نسب مارس لجوبيتر فمشكوك فيه إذ أن بونو تنجبه من شم زهرة ربيعية لا من الاتصال بجوبيتر.

أما نسب فولكان لهما فغير موجود مطلقًا فى الأساطير الرومانية القديمة وهو نسب يعتمد على علاقة زوس بهيرا نظريهما الأغريقيين، وكذلك نسب جومانتيس وجانميدوس «الشباب والشراب» فهو من المؤثرات الإغريقية وهما إلهان ثانويان.

وهذا يعنى أن صلة جوبيتر بيونا صلة ضعيفة أصلاً رغم أن مثولوجيا أوفيد تدلل بها على خليقة يونانية لا رومانية.

رموزها:

١ ـ الصولجان الذهبى.

٢ ـ الصاعقة.

٣ ـ الأوزة.

٤ ـ الخمار.

٥ ـ الطاووس.

عيدها: العيد الرئيس فى الأول من آذار.

عيد التين فى ٧ تموز.

معبدها: كان لها معبدان فى روما، وتشترك مع جوبيتر ومنيرفا فى معبد الكابيتول ولها معبد فى لافنيوم تحرسه أفعى ويقدم لها الكعك كل سنة من فتاة عذراء فإذا قبل فسيكون دليلاً على عذرية الفتاة ورخاء السنة، أما إذا رفض

فيكون نذير شؤم لسنة مجدبة.

أُقيم هيكل لجونو لوسينا على الإسكولين عام ٧٣٥ ق.م أى بعد بضع سنوات من تشييد روما وكان لقب جونو فى الهيكل الكابيتولينى الثلاثى الذى شيده التاركوين هو ريجينا وهناك كانت تحمل الصولجان وآنية النذور والصاعقة، ثم قامت بدور الزوجة العظمى لجوبيتر وحامية الشعب الرومانى وانتشرت عبادتها فى جميع أنحاء الامبراطورية.

٥ ـ فستا

اشتق اسمها «مثل اسم هيتسا مقابلتها الإغريقية» من الجذور السنكريتى والذى يعبر عن الضياء، وجعل اللاتينيون من فستا إلهة تجسد الأرض والنار، بينما أبقى الرومان على القسم الثانى فقط من هذا التجسيد فلم تكن فستا إلهة للنار بمعناها العام فقط بل أيضاً للنار المستخدمة فى العمليات المنزلة أو الطقوس الدينية.

لكننا نرى أن اشتقاق اسم فستا وأصلها لها علاقة بالجذر السامى «أس» و«أست» الذى يدل على الضوء أو النار السماوية بصيغتها المؤنثة، ولذلك نرى أن أصل فستا البعيد جداً هو بابلى وربما نقله الأموريون والكنعانيون إلى الإغريق والرومان.

وظائفها:

١ ـ أم الوظائف المنزلية: فى البداية كانت فستا إحدى أهم الأرواح التى كانت تعبدها الأسرة وكانت تحتل مكانة بارزة فى المنزل مع اللارات والبنات، وكان استمرار إيقاد الموقد من أهم وظائفها، فهى نار المنزل وهى المسؤولة بطبيعة الحال عن تحضير الطعام والشراب للعائلة.

٢ ـ المسؤولة عن إعداد الوجبات العامة مع جوبيتر دابالس وكان يهدى لها أول طعام وشراب.

٣ ـ الأمومة: رغم أنها عذراء لكنها ارتبطت بالأمومة المثالية بسبب ديمونة النار، وقد تجسد هذا فى ارتباطها بالإله يانوس الذى كان بمثابة الأب وكانت تسمى Tellus Mater.

٤ ـ راعية الحقول المبذوقر: بسبب طبيعتها الأمومية والخصبية.

أسطورتها:

يروى أن روميلوس وروموس ولد من ريا سيلفيا الكاهنة الفستالية وإن بومبيلوس الملك الثانى لروما أسس معبدها فى أسفل البلاتين على شكل كوخ مستدير محاط بالقصب، ولعل أصل عبادتها يعود إلى تقديس النار عن البدائيين وإلى المراحل الأولى التى كان يعهد فيها للفتيات بأن يعتنين بها.

أما أساطيرها الإغريقية الأصل المنبعثة من هسيتا فقليلة أصلا.

ـ رموزها: النار المقدسة.

ـ معبدها: أول معابدها هو الكوخ المستدير الذى بناه بومبيلوس الثانى الذى تهدم وأعيد بناؤه عدة مرات وقد بنى معبدها الحالى زوجة الامبراطور سبتيموس سيفريوس وبقيت نارها مشتعلة حتى عام ٣٩٢ م وكان تجدد فى الأول من آذار وكان كاهناتها هن الفيستالات أو الفيستات.

صورها: أشهر صورها فى فستا جوستنيان فى روما وقد مثلت على هيئة امرأة عابسة مغطاة الرأس مرتدية ألبسة سابغة تضع يدها اليمنى على خصرها وتحمل باليسرى صولجانًا.

وظهرت صورها على العملة النقدية وهى تقليد للفن الإغريقى وترتدى الخمار دائمًا على رأسها.

٦ ـ مارس

أصله: من إله الحرب السابيلي «مامرس» وكان إله زراعة ثم أصبح إله حرب وبذلك أتفق مع حالة مواطني روما المتعاقبين الذين كانوا مزارعين أصلاً ومن ثم فاتحين وقد جعلوا منه الأب الحقيق لرومولوس وريمس اللذين أسسا روما.

اشتقاق اسمه: بعضهم رأى أنه من مار أو ماس اللتين تعبران عن «القوة الخالقة» أو من مار بمعنى يضيء أو يشرق وهو ما يشير إلى أصله الشمسي وأول صيغ اسمه كانت ماريوس «مارفوس» التي اختصرت إلى الشكل المعتاد مارس، وظهرت صيغ أخرى بإضافة كلمة باتر أب.

ولكننا نرى أيضًا أن مارس مشتق من اسم الإله الأموري «مار» أو «مر» وهو الإله القومي للأموريين الذي كان إلهًا للسماء في بداية الأمر ثم أصبح «مارتو» إله الطقس والحرب والدمار عندهم.

ونلاحظ أن اسم مار الذي يعني أيضًا الابن والعجل «في الأمورية» قريب جدًا من «مارس» حيث تضاف «س» للتعريف. كما أنه يحمل صفات شمسية صحراوية، ونرى أن الأموريين نقلوه إلى الإغريق والرومان.

وظائفه:

١ ـ الإله الحامي للزراعة والرعي.

٢ ـ إله الربيع والإخصاب.

٣ ـ إله القطعان.

٤ ـ إله الذرة.

٥ ـ إله نمو الأشجار.

٦ ـ إله الحرب، حيث كان يوصف فى زحفه كمارس غراديفس لارتباط الفعل بالزحف والسير ثم بعد النصر يرافق فيتولا وإلهة النصر.

أسطورته:

يعتقد اللاتينيون أن مارس هو ابن «يونو» ليس عن طريق جوبيتر زوجها، بل عن طريق اتخاد غامض مع زهرة رائعة الجمال، ويبدو أن هذا الرأى كان سائداً قبل اتحاد باريس إله الحرب الإغريقى وابن زوس، ويناسب هذا الأصل طبيعته الزراعية وقد ارتبطت قدسيته ببعض النباتات مثل الذرة والتين والبلوط والفاصولياء وبعض الحيوانات مثل نقار الخشب والحصان والذئب.

ولعل أهم أساطيره القديمة هو علاقته بالفستالية ريا سليقا حفيدة إينياس حيث رآها شبه عارية على ساحل البحر فضاجعها وتزوجها فأنجبت له رمولوس وريمس اللذين اختفيا عند أحد الرعاة ورضعتهما الذئبة لوبا.

ثم اكتسب الصفات الحربية حيث تقدم له القرابين قبل أية معركة ويظهر فى المعركة ومعه إلهات الحرب بيلونا زوجته فيما بعد فاكونا بافور والور إلهتا الحرب، هونوس وفيرتوس اللذان يرسخان الشجاعة والشرف الرومانى.

عبده الامبروييون والأيتوريون وربطه السابينيون بالإله نيرو وعبده الأسوكان واللاتين وشيدت له معابد كثيرة.

أما أساطيره بعد اندماجه بالإله الإغريقى إريس فقد انسحبت من المثولوجيا الإغريقية إلى الرومانية بوضوح ويمكن مراجعتها فى مراجعها الإغريقية.. لقد فسر بعض العلماء المحدثين للأساطير هذا الازدواج «الزراعى ـ الحربى» فى شخصية مارس بين ربيع النبات وألوهية الحرب بأن الربيع هو الفصل الذى تستيقظ فيه جميع القوى من زراعية وتجارية وحربية، ومنه من يحمل الجنود أسلحتهم بعد أن قضوا شتاءهم بعيدين عنها.

ونرى أن هذا الرأى خاطئ: لأن تفسير ذلك أن الجذور الزراعية الرومانية للإله مارس كانت قديمة، ثم أضيفت له الصفات الحربية عندما أصبح الإله القومى الأول لروما المحاربة والدولة الملكية والجمهورية ولكن صفاته الزراعية لم تختف بل أصبحت تحت طبقة الصفات الحربية وينسحب هذا على أغلب آلهة الدولة الرومانية.

وتكونت طبقة ثالثة لشخصية مارس هى الطبقة الإغريقية التى نسخ فيها صفات أريس الإغريقى فأصبحت يونا أمه وأبوه جوبيتر. وتكونت له علاقة حب مارقة مع فينوس وأنجب منها آلهة الحب «كيوبيد وزمرته وهكذا».

ـ رموزه:

١ ـ الذئب.

٢ ـ المعول.

ـ أعياده: كان عيده الرئيس فى بداية آذار «مارس» وهو عيد زراعى.

معبده: عُبد على الكابيتول مع جوبيتر وكيرينوس قبل أن يتكون الثالوث الكابيتولى الثانى المؤلف من جوبيتر وبونو ومنيرفا وفى روما أيضًا كان يعبد على أنه مارس وكويرينس وكان لديه ضريح على تل بلاتين فى روما، حيث كانت هناك رماح الإله المقدسة والاثنى عشر درعًا «الإنجيليا» التى كانت أدوات طقوس عبادته.

كهنته هم: السالى أو الساليون الذين كانوا يمارسون الرقص والقفز وقرع التروس وكانت موجهة بالأساس نحو حماية نمو النباتات وهو ما يذكرنا بأصله الزراعى القديم.

وكان مارس يظهر فى أناشيد الأرفال وهن طائفة من الراهبات كانت مسؤولة عن عبادة «دى ديا» وهى إله ريفية ترتبط بشكل وثيق بكيريس.

لقد خصصت لمارس أماكن عبادة عديدة فى روما منها المعبد الذى أقامه

أغسطس باسم «مارس المنتقم» وقد وضعت حراب فى مركز روما تنسب إليه ويدل اهتزازها على دنو الحرب، وكان قادة الجيوش يحركون هذا الحراب قبل أن يسيروا على رأس جيوشهم قائلين «استيقظ يا مارس».

زوجته: «هل بلونا» وتوصف كأخته وكابنة وكمرضعة له أحيانًا وهى من أصل سابينى، وكانت ترافقه فى الحرب وتقود عربته وتضع الخوذة على رأسها وتحمل الرمح بيدها وقد بنى لها الرومان معبدًا على الكابيتول احترق عام ٤٨ ق.م وقد اتحدت بيسلونا بالإلهة اليونانية إينيو.

وكان معبدها الشهير هذا قرب كارمنيتا وهو مكان الستاتو وكان أمامه «عمود الحرب» الذى رماه فيتالس برمحه عندما أعلنت الحرب وكان لبونا كهنة يتم اختيارهم من المجالدين.

٧ـ فولكـــان

أصله: كان اسمه القديم فولكانوس وقد سبق جوبيتر ومارس فى الظهور، وكان أول رعاة إنشاء روما، وقد ارتبطت قديمًا بآلهة الأرض «يونو، مايا، فستا» ولم يرتبط مطلقًا بفينوس التى كان دورها هامشيًا فى المثولوجيا الرومانية القديمة.

وأكثر ما يعرف عنه قديمًا هو أنه كان إلهًا لنهر التيبر، حيث كان اسم أحد الأسماء المقدسة للنهر، وفى السابع عشر من آب «أغسطس» يقال احتفال الـ «بورتوناليا» والذى كان مخصصًا لنهر التيبر، ومن المحتمل أن فى الأزمنة القديمة كانت تقدم أضحيات بشرية لـ «فولكان».

ـ اشتقاق اسمه: لا نعرف بالضبط كيف اشتق اسم فولكان وفق المرجعيات العلمية، ولكننا سنطرح رأيًا يبدو فى غرابته أقرب إلى المستحيل أو إلى الشطح، وسنعتمد فى ذلك على بعض القرائن اللغوية القديمة.

نرى أن الاسم القديم لفولكان هو بورتون فقد كان إله نهر التيبر ونرى أن اسم التيبر والبورتون مشتق من اسم الفرات القديم بالسومارية «ابريتانو» وتظهر فى كتابة اسم الفرات علامة بار السومرية التى تدل على الشمس وهذا ما يفسر

علاقة فولكان بالشمس واعتباره إلهًا شمسيًا قديمًا عند الأتروسك والرومان

هذا من ناحية، أما الناحية الأخرى والأهم فهو أن تيبر الذى هو اسم فولكان القديم كان هو اسم نهر روما القديم مشتق من إله سومرى شمسى هو تيبال أو تابيرا وهو إله المعادن الذى ظهر فى مدينة بادتيبرا السومرية. ونرى جارمين أن العلاقة التى أقيمت بين الإله فولكان الذى له عدة وجوه زراعية وشمسية ومعدنية كانت من تلك الجذور الرافدينية العراقية القديمة التى لا شك أنها تعبر عن هجرة غابرة من هجرات السومريين أو الأموريين إلى حوض البحر المتوسط وجنوب أوروبا.

وظائفه:

١ ـ إله نهر التيبر

٢ ـ إله المعادن حيث طوابق مع الإله الإغريقى هيفايستوس

٣ ـ إله الصواعق.

٤ ـ إله الشمس.

٥ ـ إله النار

٦ ـ إله المواقد الذى يغذى الحياة ويمنح الدفء

٧ ـ إله الحرب قبل مارس

أسطورته:

يشوب الغموص أساطير فولكانوس القديمة ويعتقد أن أصله أتروسكى وقد كانت أساطيره الأولى عن نهر التيبر ثم أصبح إله الصواعق ودارت حوله أساطير تشبه أساطير جوبيتر ثم أصبح إله الشمس ثم أصبح إله النار.

ويبدو أن أساطيره المائية تقرنه بثلاثة من الإلهات الرومانيات القديمات هن «يونو» و«ماجستيا» «مايا الإغريقية فيما بعد» و«فستا» وكن من إلهات الأرض

دلالة على ارتباط النهر بالأرض.

ومن الأساطير النارية لفولكان هى أسطورة ولده «كاكوس» أو كويكيلس» حيث كانت إحدى عذراوات منطقة قريبة من بارينيست جالسة قرب النار عندما سقطت عليها شرارة من النار وبعد شهور أنجبت ولدًا تركته فى الغابة حيث وجدته مجموعة فتيات وقربه نار متوقدة واعتبر لهذا السبب ابنًا لـ «فولكان» ونظرًا لصغر عينيه فقد سمى كويكليس، وعندما كبر بنى مدينة بارينيست وأقيمت احتفالات بهذه المناسبة، ولكن بعض الحاضرين شككوا فى أصله لذا استشار والده فولكان وفجأة كان الجمع بأكمله محاصرًا بالنار.

وكان الملك سيفريوس تاليوس ينسب نفسه إلى فولكان وقد يتطابق كاتونيس وقد توحد أو دمج الإله بورتونس مع الإله تيبرونوس «إله التيبر» وهكذا نجد ثلاثة آلهة مندمجة فى إله واحد اشتهر باسم فولكان.

وكان بورتونس أحد آلهة روما القدماء وعرف بحمايته للأبواب ومفاتيحها والطرق وعنابر القمح، ثم أصبح يحمى المرافئ ولاسيما ميناء روما وعلى التيبر وكان الرومان يعتبرونه مثل باليمون عند اليونان، كما وحدوا أمه مارماتوتا مع لوكثيا أم بالمبون وله عيد فى ١٧ آب وله بعض المعابد بالقرب من ميناء روما، وكان يمثل عادة كرجل بيده مفتاح.

ومن أساطير فولكان اللاتينية أن جبل إتينيا هو مقر فلوكان وفيه تصنع صواعق جوبيتر وأسلحة الأبطال بمساعدة المردة السيكولوبات ذوى العين الواحدة وابتنا هو البركان الشهير الموجود فى صقلية والمطل على مدينة كاتان وقد سمى كذلك باسم «الحورية ابتنا» بنت أورانوس وغايا إلة السماء والأرض».

وفى الأساطير أن فولكان تزوج من ابتنا وأنجبا توأما هما «الباليكيان» نسبة إلى منطقة باليكيا، الصقلية حيث دفنا فى باطن الأرض وشبا من الأرض فلما شاهدهما الناس ينبتا من الأرض عبدوهما كآلهة من العالم الأسفل وقد أقام اليونان معبدًا لهما قرب بحيرة بركانية ذات مياه كبريتية ساخنة كانوا يلقون فيها

بألواح يكتبون عليها طلباتهم ويعتقدون أن قبولها ورفضها متعلق بطوف هذه الألواح على مياه البحيرة أو غوصها فيهما.

كان من أقدم آلهة اللاتين «ويسق» حتى جوبيتر نفسه وتحت اسم فلوكانوس كان أول جوبيتر لروما الذى حمى تأسيسها، وبظهره كجوبيتر، كون ثنائيًا مع جونو، وكان مرتبطًا مع مايا أيضًا. وهى تجسيد للأرض الأم، وكذلك مع فيستا التى تعتبر آلهة الأرض، ولم تكن له علاقة مع فينوس التى كانت ما تزال تقوم بدور صغير فى ذلك الزمن البعيد فى الميثولوجيا الرومانية. ولذلك تعتبر أساطيره مع فينوس هى صدى لأساطير نظرها الإغريقيان «هيفايستوس وأفروديت».

ـ رموزه:

١ ـ المطرقة.

٢ ـ السندان.

٣ ـ الملقط.

وهى رموز إغريقية خاصة بشبيهه الإغريقى هيفايستوس.

ـ عيده:

١ ـ فى ٢٣ و٢٧ آب «أغسطس» ويسمى عيد الفولكاتاليا.

٢ ـ عيد البورتيوناليا وهو عيد نهر التيبر الذى يعتبر فولكان إلهة فى ١٧ آب.

٣ ـ ارتبطت عبادته بعبادة «ماجستا» مايا الإغريقية التى تلقب بالإلهة الطيبة، وهى حورية من بنات أطلس ويليونة ولدت من جوبيتر الإله ميركورى «عطارد» وكان عيدها فى الأول من مارس.

ـ معابده:

الفولكانال: هو مذبح فولكان.

صوره: يمثله الرومان ملتحيًا مع تشويه طفيف فى الوجه يعبر بلا شك عن طبيعة ضعفه ويلاحظ إلى جانبه مطرقة وسندانًا وملقطًا وهى رموزه المستوردة من الإغريق وملابسه عبارة عن قبعة وسترة تكشف عن ذراعه وكتفه الأيمن.

٨ ـ ميركورى

. أصله: إله رومانى متأخر نسبيًا ظهر عند الرومان فى القرن الخامس قبل الميلاد وكان إلهًا متخصصًا بتجارة الحبوب، ثم أصبح إله التجارة ونقل البضائع بشكل عام، وأنشئ له معبد فى روما منذ عام ٤٩٥ ق.م.

اشتقاق اسمه: مشتق من جدر «ميركس» بمعنى «يتاجر» و«ميركارى» بمعنى «قايض، يجرى صفقة» وقد ظهرت الحاجة إليه متأخرة، لأن المزارعين فى روما لم يكونوا بحاجة إلى إله للتجارة.

وهناك من يرى أنه إله أتروسكى مشتق من اسم القبيلة الأتروسيكية.

وظائفه:

١ ـ إله التجارة.

٢ ـ إله الرسائل.

٣ ـ رسول الآلهة.

٤ ـ إله كوكب عطارد.

٥ ـ إله اللصوص.

٦ ـ إله الحرف اليدوية.

٧ ـ إله الخطابة والفصاحة.

٨ ـ إله الرياح.

٩ ـ إله الرياضيين.

أسطورته:

تعتبره بعض الروايات ولدًا للأرت الذين يحمون الطرق. كما يعد أبًا لـ«إيفاندر» مؤسس إحدى المدن عند سفح جبل البلاتين، وبعد الإنصهار الثقافى اليونانى والرومانى اندمج «ميكركور» بالإله الإغريقى «هرمس» وأخذ كل أساطيره وأدواره وقد أدخله الروائى الرومانى «بلوتس» فى مسرحيته «أمفتيريون» وصوره رسولاً للغرام عند زوس.

لم تكن له أهمية كبيرة فى حياة الرومان القدماء وكان يعد أحد الآلهة التى ترعى شؤون التجار مثل آلهة قليلة الشأن مثله وهى «بيكونيا. اسكلونيوس. أرجنتينس».

أما أساطيره الإغريقية الأصل فتعود إلى مطابقته مع هرمس وخصوصًا فى اليوم الأول من ولادته وهى:

١ ـ سرقة قطيع أبولو.

٢ ـ اختراع القيثارة.

٣ ـ صنع الأحذية الجنحة «تلاريا».

٤ ـ اضرام النار بحك العصا مع بعضها.

٥ ـ تحضير أول طعام من اللحم مع قطيع أبولو.

أما وظائفه كرسول فهى:

١ ـ إيصال أرواح الموتى لمقرهم الأخير.

٢ ـ أخذ الآلهات الثلاثة إلى محاكمة باريس.

٣ ـ مرافقة جوبيتر فى زيارته بانكى وفيلمون.

٤ ـ قتل أرجوس ذى المائة عين.

٥ ـ تحرير آرس من سجنه الطويل.

٦ ـ تبرئة «تطهير» دانيد.

٧ ـ تقييد أكسوف إلى العجلة.

٨ ـ تحذير إينوس بالإسراع إلى إيطاليا.

٩ ـ أمر كالبسو بإبعاد أوديسون.

١٠ ـ بيع هرقل إلى أومفال.

١١ ـ أساطيره مع الآلهة وصولجانه وقبعته وحذاؤه المجنح.

رموزه:

١ ـ كيس النقود.

٢ ـ الصولجان المجنح الملتف عليه ثعبانان وهو رمز هرمس الإغريقى.

٣ ـ الأجنحة وهى رموز هرمس.

صوره: له تمثال أتروسكى بروما بصورة كتفى عارٍ ذى ابتسامة حزينة رقيقة ويرتدى قبعة وبيده اليمنى صولجان مجنح يلتف عليه ثعبانان وقد صوره الرومان بصوره رجل يلبس رداء فضفاضًا وقبعة وله حذاء مجنح، ويخرج من المعبد وفى يده اليمنى كيس نقود كأنما يتأهب لدفع مكافأة الصناع.

ويبدو أن صورة ميركورى لا تتطابق كثيرًا مع ما عهدناه من صورة هرمس الهرامسة الذى يعد الشكل الباطنى العميق للإله هرمس من أصوله السرية الشرقية والخاصة به كمخلص هرمسى غنوصى، فقد كانت هذه الصورة هيلنستية فى إطارها العام ولم ينتبه الرومان لها ولم يجتهدوا كثيرًا فى تبنى هذه الفكرة.

ولنا رأى خاص فى أصل ميركورى فنحن نرى أن علاقته بالعالم الأسفل يمكن أن يفسرها اسمه وهو «مر ـ كور» ويعنى بالأمورية أو البابلية «إله السماء ـ إله الأسفل». وهذا يعنى الإله الذى كان فى السماء وهبط إلى العالم الأسفل

وهى صورة هرمس الحقيقية فى أصولها الشرقية وهو ما يشجعنا على طرح فكرة أصله الأمورى البابلى قبل أى أصل آخر.

٩ ـ منيرفا

أصلها: إتروسكية كانت إلهة للعقل العلم والحكمة والأدب والفن ومن المحتمل أن جذورها الأولى كانت تشير إلى أنها كانت إلهة للصواعق ظهرت فى البداية فى أترورسيكيا بأسماء مثل منرفا، منرلا، منيروفا.

اشتقاق اسمها: يرتبط اسمها بالجذر.

لكننا نرى أن اسمها يرتبط بالـ «رف» والـ «رشف» والرف هو الرفائيم أو الرفوم وهى كائنات إلهية كنعانية لها علاقة بالشفاء والطب والإخصاب، أما رشف فهى إلهة النار عند الكنعانيين والتى لها علاقة بالطب. أم مقطع «من» فيعنى روح ولذلك تكون عندنا منيرفا روح الشفاء والنار، ولذلك كانت هى إلهة الصواعق لارتباطها بالنار ثم إلهة الشفاء، لأن من وظائف منيرفا الطب، ولذلك فهى إلهة كنعانية أمورية الأصل، أما وظيفتها الحربية فتنطلق أيضًا من الوجه السلبى للنار.

وظائفها:

١ ـ إلهة الصواعق.

٢ ـ إلهة العقل والحكمة والأدب والفن.

٣ ـ إلهة الطب.

٤ ـ إلهة الحرب.

٥ ـ إلهة التجارة والصناعة والمدارس.

٦ ـ حامية أشغال الإبرة.

أسطورتها:

أسطورتها الضائعة أتروسكية وقد دمجت من أثينا الإغريقية لتلاقى بعض صفاتهما ولذلك تكون هى أقل الآلهة الإيطالية وقد ظهرت روحها الإيطالية وعبادتها منذ عام ٢٤١ ق.م فى «فاليرى» عندما احتل الرومان هذه المدينة وبنوا لها معبداً أسفل جبل توليوس وأسموها «منيرفا كابتا» ثم أصبحت تشكل مع جوبيتر وبونو الثالوث الأعلى فى روما.

كانت تقدس فى جميع أنحاء الامبراطورية وكانت تتم عبادتها بشكل خاص من قبل الحرفيين وعازفى الناى والأطباء، وأساطيرها الإغريقية جاء لها من أثينا ولاعلاقة لها بها عندما كانت أتروسكية أو رومانية.

رموزها: البومة «وهو طير أثينا».

معبدها: أهم معابدها فى رومان.

عيدها: عيد منيرفا فى ١٩ آذار «مارس» وتقترن مع مارس فى احتفال الكونيكوارتس الذى يستمر خمسة أيام فى وقت الاعتدال الربيعى.

■ ■ ■

ثانياً: آلهة الريف والزراعة

إذا كانت آلهة الدولة قد نشأت من أصول زراعية واضحة. ثم تطورت إلى وظائف رسمية فى الدولة الرومانية، فإن هذه الآلهة الزراعية الريفية ظلت فى إطارها الزراعى المعنى بالخصب والفلاحة وشؤون الأرض حتى عندما تطورت الدولة الرومانية، ولعل أهم هذه الآلهة هى «فاونوس. كونسيس، باليس. ليبر باتر، سلفانوس، فلورا».

١ ـ فاونوس

أصله: هو ابن بيكوس وكانيتث التى ذوت حزناً لموت زوجها حتى تلاشت ولم يبق منها شىء وهو حفيد ساتورن رومانيًا ويقابل فانوس الإله «بان» الإغريقى وهو إله الرعاة الذى كانت له قرون وأرجل الماعز.

اشتقاق اسمه: نرى أن «فاونوس» و«بان» هما اسم واحد فقد عرف حرف ف إلى ب أو بالعكس وأضيفت «وس» فى نهايتها وبان تعنى الإله الشامل أو الشمولى أو الكونى «الكل».

وظائفه:

١ ـ إله الخصوبة.

٢ ـ إله التنبؤ.

٣ ـ إله الذئب بسبب اسمه لوبيركوس.

٤ ـ إله الرعاة.

٥ ـ إله التيوس.

أسطورته: هو حفيد الإله ساورن وابن بيبلوس وهو أب الملك لاتينوس واسمه لويير كوس، يطابق اسم الكهف الذى أرضعت فيه الذئبة «لويا» كلاً من ريمس وردولس ولذلك فإن أساطيره كثيرة.

وكان إلهًا قديمًا وله صلة كبيرة بالزرع والخصب وله وحى يعبر عن حفيف الأشجار فى الغابات وتحمى زوجته مونا النساء من العقم، ولذلك تشبه أحيانًا بالآلهة «بوناديا» ويذكر فيرجيل أن أسماءه تختلف بحسب مهامه وعدنما تم دمج الآلهة الوثانية والرومانية أصبح نظيرًا للآلهة بان، وأخذ كثيراً من صفاته فله، مثلاً، قرون فى جبهته وأقدام تيس ولحية شعر كالماعز ويحمل بيده عصا الراعى أو قرن الوفرة.

وتوصلنا الحقائق المتعلقة بفاونوس إلى أن اتحد مع إله آخر قديم جدًا اسمه لوبيركوس كان حاميًا للقطعان من الذئاب وللرعاة، وكان مكانه القديم كهف «لوبيركال» فى أسفل جبل البالاتان فى روما، حيث بنى معبده هناك وكان له عيد تهتكى اسمه لوبيركاليا.

يظن أنه كان أحد أوائل ملوك لاتيوم لقد شرَّع القوانين للقبائل التى كانت ما تزال بربرية، واخترع الشوم «وهى آلة موسيقية خشبية» أو المزمار الريفى وإله أباه بيكوس وأمه كانينت التى أصيبت بالهزال حزنًا بعد وفاة زوجها كان فونوس أحد أوائل المعبودات الريفية الرومانية وإله الخصوبة قبل كل شىء وكانت لديها ملكة التنبؤ ويجعل الأصوات تسمع فى المناطق الريفية إلا أن يجب تقييده أن أريد الحصول منه على معلومات تنبؤية.

ويبدو أن كائنات الـ «فاون» لها علاقة بفونوس فهى تقابل السنطور اليونانى الذى انحدر من كرونوس «سارتون» وتختص بالغابات وتعتبر مثل نصف إله لأن الموت مصيرها بعد عمر طويل، لكنها تتبع أيضًا الإله باخوس إله الخمر والمتعة.

رموزه:

١ ـ عصا الراعى.

٢ ـ قرن الوفرة.

ـ عيده: لوبركاليا فى ١٥ كانون الأول.

ـ معبده: لوبر كال فى البلانتاين.

صوره: يشبه الإله بات.

زوجته ارتبط الإله فونوس بمجموعة من الإلهات هى:

١ ـ فاونا وهى زوجته وأحيانًا ابنته وتسمى أيضًا «بونا ديا» وتعنى «الإلهة الطيبة» وهى إلهة الخصب والطهارة عند الرومان، وربما اعتبرت ابنته التى دافعت عن نفسها حين حاول اغتصابها، وكانت تحمل بيدها قرن الوفرة دلالة الخصب ومعها الأفعى دلالة الشفاء ولها عيد فى بداية كانون الأول «ديسمبر».

٢ ـ أويس وهى الإلهة السابينية القديمة التى عدت فيما بعد زوجة ساتورن، وهى تجسد الخصوبة.

٣ ـ ماجستيا وهى تقابل الإلهة «مايا» الإغريقية وهى الثريا المرتبطة بفولكان، والتى ترمز إلى خصوبة الأرض فى الربيع.

٤ ـ ماريكا وهى إلهة لاتيوم التى أحبها فاونوس وولدت منه الملك لاتينس وهكذا يعتبر فاونوس حد اللاتين.

٢ـ كونسس

أصله: إله القمح المحصود والمخزون وكان إلهًا عامًا للبذار فى روما القديمة وربما كان إلهًا فى العالم الأسفل، وترتبط الأرواح المسماة بـ «الار» به.

وظائفه:

١ ـ إله البذار.

٢ ـ إله القمح.

أسطورته: ربما كانت لكونسس أسطورة خاصة مع إله الأرض والخصوبة

أوبس ولكنها مفقودة وربما كانت أسطورة نزول إلى العالم الأسفل.

عيده: كونسواليا الأول فى «٢١ آب» عيد الحصاد.

كونسواليا الثانى فى ١٥ ـ ١٢ عيد البذار.

معبده: له معبد ومذبح تحت سطح الأرض قرب السيرك الكبير الذى تجرى فيه احتفالات الكونسواليا، ويغطى هذا المعبد بالتراب على مدار السنة لتجسيد فكرة البذار، وكان التراب يزال فى احتفالات الكونسواليا.

٣ ـ باليس

إله ذكر ارتبط بشخص الإله جوبيتر لكنه اكتسب صفات أنثوية، بعد ذلك، وأصبحت «باليس» حامية أو راعية المقطعان، وكانت باليس تغذى الذكور بالقوة والإناث بالخصوبة، وقد أعطت اسمها لوادى البلاتين الذى أقيمت عليه روما الرباعية.

وكان لباليس عيد اسمه الـ «بليليا» يقام فى ٢١ نيسان ويصادف يوم تأسيس روما، شرحناه فى الطقوس والأعياد.

٤ ـ ليبرياتر

إله خصوبة الحقول والناس ثم أصبح إله زراعة الكروم عندما تحالف مع الإله إياكوس ديونسيوس.

وله عيد اسمه ليبراليا فى ١٧ مارس، يشير إلى نضج الصبيان وتحولهم إلى رجال أى أنه كان إله شريعة العبور، له زوجة اسمها ليبير وهى إلهة إيطالية قديمة ويبدو أنه كان إلهًا أبويًا قديمًا، بحيث سمى الأب ليبر.

٥ ـ تلوس ماتر

وهى إلهة أمومية قديمة تسمى الأم تلوس التى تعنى بالخصوبة وكان زوجها هو الإله تلونو ولكنها قرنت فيما بعد بالإله جوبيتر، وكانت إلهة الأمومة والزواج وتهيئة إنجاب الأطفال فقد كان على العروس أن تقدم لها أضحية عند دخولها

بيت زوجها وكان لها دور فى الـ «بوركابرا بسيدونيو» وهى البذار المكرس لـ«كيريس» قبل الحصاد، وكونها إلهة زراعة فقد كانت ترعى خصوبة التربة وكل الحالات التى تمر بها البذرة عندما تغرس فى الأرض.

ونرى أن «تلوس» تناظر مع «جيا» الإغريقية.

٦ـ كيريس

وتلفظ أيضًا سيريس وهى إلهة النبات والحصاد عند الرومان، وقد اختلطت عبادتها قديمًا بعبادة تلوس إلهة الأرض، وقد صارت كيريس فيما بعد إلهة للحضارة والازدهار الاقتصادى والاجتماعى.

انحدرت كيريس من كامبانيا وكانت إلهة إيطالية قديمة وأصبح لها معبد فى روما إلا أن طقوسها، كما معبدها كانت إغريقية.

توحدت مع ديمتر اليونانية وأقيم لها معبد فى روما عام ٤٩٣ ق.م عقب موسم قحط ومجاعة، وكانت النساء اليونانيات يمارسن فى معبدها جميع طقوس عبادة ديمتر، ثم حاول الامبراطور كلوديوس «٤٥ ـ ٤١» نقل عبادة الأسرار من ريلوزيس إلى روما، أما أعياد كيريس فكانت تجرى بين ١٩ ـ ١٢ نيسان «أبريل» فى كل عام.

ومن الضرورى تفريق كيريس عن الكيريات وهن جنيات الموت من بنات الليل ذوات الهيئات المخيفة والأجنحة السوداء والثياب المطلخة بالدماء وكان من عادتهن التحويم فوق ميادين القتال فإذا ما سقط صريع هبطن وغرسن مخالبهن فى جسمه وامتصصن دمه وقد شبهن بآلهات القدر «بارك» الرومانيات إذ يمثلن المصائر المختلفة التى يترتب على الإنسان أو البطل أن يختار واحدًا منها.

وقد لعبت كيريس دورًا مهمًا فى العبادات السرية التى انتقلت من الإغريق إلى الرومان وخصوصًا العبادة الإيلوزية التى كانت مخصصة للطقوس السرية لديميتر.

٧ـ سلفانوس

إله الغابات اللاتينى القديم ثم أصبح إله المراعى وحامى القطعان والحدود. وكان يختلط فى وظيفته مع فونوس بحيث يشاكس المسافرين والمنفردين من النساء والأطفال لكنه لم يكن مؤذيًا، بل مداعبًا ومؤنسًا.

ويقال: إنه ابن راعى أغنام وكانت فتاته تسمى فاليريا توسكولا ناريًا. وكانت مهمته الرئيسة مراقبة للعمل فى تنظيف الأراضى وتكوين السماد فى الريف الملىء بالغابات، ثم توسعت هذه المهمة لتشمل عمليات البستنة كلها بالإضافة إلى رعاية القطعان وتنظيم تربة الأرض.

وكانت تقدم لها عادة بواكير الثمار وبعض الأضاحى من حيوانات الحظائر ولا يشارك النسوة فى أعياده وطقوسه وتحجب تماثيله عنهن ويمثل على هيئة شيخ مرح مكلل باللبلاب وفى يده أداة لقطع الأغصان والثمار.

وكان مقدسًا بصورة أكبر من قبل الأطفال والنساء الحوامل.

٨ـ فلــورا

إلهة الزهر والربيع والحبوب والفاكهة والكروم والبراعم وتقابل الإله «كلوريس» عند الإغريق ولذلك فهى تقترن بإله الريح الغربية «فافونوس» الذى يقابله «زفيروس» الإغريقى.

وقد منحها «فافونوس» الشباب وجعلها أم الربيع وملكة الزهور ومنحها النضارة الدائمة ويروى فى الأساطير أنها قدمت إلى جونون «يوناون» زهرة تجعل المرأة حاملاً إذا لمستها، وبذلك حملت جوتون بمارس دون مشاركة من جوبيتر، وتخليدًا لهذه الذكرى أطلق اليونان اسم «مارس» على أول شهور الربيع.

وكان من مهماتها مع روبيغوس «روبيغو» حماية الحنطة من العفن، ومع بومونا رعاية أشجار الفاكهة.

كان لها معبد فى الكويرينال وآخر قرب المحفل الكبير، وكانت احتفالاتها تقام فى ٢١ نيسان ولغاية ٣ حزيران تسمى فلوراليا لها عيد آخر اسمه احتفال الوردة، ويقام فى ٢٣ حزيران.

أما صورها فتظهر على بعض النقود ولها تمثال فى حمامات كراكلا الساخنة.

٩ ـ فيرونيا

وهى إلهة من أصل أتروسكى وتعد من آلهة الغابات والخصب وفى روما القديمة عبدت كإلهة للأزهار الربيعية ومحاصيل الخضار، ومن المحتمل أنها كانت من آلهة العالم الأسفل، عبدت بشكل خاص فى مدينة كابينا الواقعة فى أسفل جبل سقراط وكانت هذه الإلهة محررة العبيدة حتى إن العبد يستطيع أن يتحرر إذا دخل معبدها فى «ثيراسينا» وجلس فى مكان معين مقدس.

ومن المحتمل أنها عبدت من السابنين أيضًا واقترنت بالإله السابينى «سورانوس» والذى كان أحد آلهة العلماء الأسفل ثم صار إلهًا شمسيًا.

كان سكان الجبال يقدمون أضحياتهم على جبل سقراط حتى تظهر الذئاب لتقنص تلك الأضحيات ثم يلجأون إلى كهف يحتمون فيه من الغازات السامة. وحسب الكهنة فإن هذه الذئاب كانت تحت حماية الإله «سورانوس» وأن على سكان الجبال العيش بالسلب والنهب كما تفعل الذئاب، ومن هنا جاء الاسم هربى سورانى «المتسلقون» الذى أطلق على الكهنة، وقد قدس هذا الاسم لدى العائلة الرومانية وكرس بالأخص لعبادة سورانوس وفيرونا.

وكان اسم «المتسلقون» يطلق على عائلة رومانية مكرسة لعبادة الإلهين، ويقوم أفراد هذه العائلة خلال مهرجانات فيرونيا بالسير حفاة فوق جمر الفحم الملتهب دون أن تحترق أقدامهم.

١٠ـ بومانا

إلهة أتروسكية للأزهار والثمار، وقد اجتذبت الكثير من آلهة الريف مثل «بيكوس» و«سليفانوس» و«فيرتومن» الذى تزوجها.

وكان شبابها يتجدد باستمرار، بسبب وفائها الدائم، مع تجدد الفصول وعودة مواسم الأزهار والثمار.

أما زوجها الأتروسكى «فيرتومن» فقد كان اسمه مشتقًا من فرتر وتعنى «التغير» وتروى الأساطير الرومانية أنه أحب بيومانا، وكان يتخذ أشكالاً مختلفة ليحصل عليها فمرة على هيئة فلاح ومرة على هيئة حصاد أو كرام وأخيرًا تمثل لها بشكل شاب فى غاية الجمال فأحبته.

وكان البستانيون يقدمون له قرابين من براعم الأزهار وبواكير الثمار.

وكان يصور على هيئة شاب مكلل بالسنابل أو الأغصان وأحيانًا على هيئة شيخ ملتح ومن لوازمه قرن الوفرة، أما زوجته فكانت تصور واقفة أو جالسة قرب سلة مملوءة بالزهر والثمر ومكللة بأغصان العنب وفى يدها تفاحة وغصن، بينما تمسك باليد الأخرى قرب الوفرة وتسكب من شتى أنواع الثمار.

إن صفات فيرتومن «فيرتيمس» المتغيرة جعلته إلهًا للتبدل، وقد قرن بـ «سلفانوس» الذى كان إلهًا للتيبر الذى من المعتقد أنه هو الذى يميز مساره وتروى الروايات التقليدية كيف كان يدور فى مجمع الآلهة مغيرًا شكله باستمرار.

١ـ ديانـا

وهى العذراء، إلهة الغابات تحيط بها حاشية من الحوريات واعتبرت لذلك إلهة للنور والجبال، ثم أصبحت إلهة القمر عند الرومان وربما كان أصلها إغريقيًا وقد اندمجت مع أرتميس اليونانية فأصبحت ابنة جوبيتر واستعارت الكثير من أساطيرها لكنها ليست مشهورة بالصيد، مثل أرتميس، رغم أنها كانت تملك القوس والسهام لكنها اشتهرت بأنها أخت أبولو.

وقد اشتهرت أسطورتها الكهنوتية المرتبطة بمعبدها فى «ارتيسيا» القديمة على شاطئ بحيرة «نيمى»، حيث يقوم على حراسته كاهن، يحمل اسمًا متميزًا بشكل خاص هو ملك الغابة وكان هذا الملك من أتعس المخلوقات، ممن يرغب فى شغل مكانه، ولم يكن على الطامح فى ارتكاب هذه الفعلة سوى الدخول فى الأجمة المقدسة وكسر «غصن ذهبى» من إحدى الأشجار، ليتمكن بعدها من الانقضاض على «ملك الغابة» وقتله بالسيف.

وهذا هو السبب فى دوام حراسة «الملك» الكاهن للأشجار والسيف مشهور فى يده، دون أن يعرف طعمًا للراحة فى أى ساعة من ساعات الليل أو النهار، ومن الواضح أن الراغبين فى اشتغال هذه الوظيفة المحترمة إنما الخطرة كانوا أقوياء من العبيد الفارين، مما ليس لديهم ما يخشون خسرانه.

ويقال: إن الملك الأسطورى الرومانى سرفيوس تولوس هو الذى أدخلها إلى روما وكانت مثل أرتميس تقدم لها الضحايا البشرية حتى إن الكاهن كان يقتل سلفه ليحل محله فى هيمنتها، ويقال إن أورست سرق تمثالها المنصوب فى توريدة وأخذه إلى ينمى.

وتذر إحدى الأساطير إن أسكولاب «إله الطب» أحيا هيبوليت ابن ثنيوس «عشيق فيدرا» فاختطفته ديانا وجعلته كاهنًا لها فى نيميا باسم فيربيوس وكانت ديانا معبودة الطبقات الشعبية وحامية العبيد وراعية الحلف القائم بين المدن اللاتينية وتمثل ديانا عادة بصورة فتاة صيادة تمسك القدس بيدها وترتدى ثوبًا قصيرًا إلى جانبها.

١٢ ـ فينوس

احتلت فينوس موقعًا متواضعًا، بل وثانويًا جدًا، بين الآلهة الرومانية وكانت فيرونا وفلورا ترمز للربيع والخصوبة وأصبحت إلهة الخضار والزهور والثمر.

فى القرن الثانى قبل الميلاد اتحدت بالإلهة اليونانية أفروديت واستعارت صفاتها وأساطيرها.. وفى القرن الأول قبل الميلاد أعلى يوليوس قيصر من

شأنها لأنه عاد بنسب عائلته إلى البطل إينياس بن أتخيس فينوس وأصبحت لها مكانتها فى احتفالات الـ «فلوراليا» ما بين ٢٨ أبريل - ٣ مايو وفى الاحتفالات الـ «فيناليا ريستيكا» فى ٩ آب.

ويبدو أن فينوس ارتقت فى أهميتها بعد أن اتحدت بالإلهة الإغريقية «أفروديت»، حيث استولت على أساطيرها العريقة مع كبار آلهة الأولمب.

كانت فينوس تسمى «سيدة كيثيرا»، حيث ولدت هناك من محارة «صدفة» وخرجت كاملة.

أشهر أساطير فينوس كانت مع مارس «إله الحرب» الذى كانت مغرمة به رغم أنها متزوجة من فولكان إله الحدادة والنار وقد قام إله الشمس «هيليوس» بكشف سر العشيقين عند فولكان الذى نصب لهما فخًا وأوثقهما وهما متعانقان ودعا الآلهة للدخول ورؤية العشيقين الخاطئين، فلما رأوهما ضحكوا وتندروا لكن فينوس قررت معاقبة هيليوس وإقياعه فى فضيحة مشابهة مع عشيقته ليوكوثرى وفضح علاقتهما وتدمير عشيقته فتحولت الأولى إلى شجرة بدور والثانية إلى زهرة عباد الشمس.

ولعل أسطورتها الأشهر مع أدونيس الفينيقى الأصل والذى أنجبته مورها «مورا» من علاقة خاطئة مع والد سينيراس بعد أن مسخت شجرة حور، فقد أحبت فينوس هذا الفتى الجميل وأصبحت ترافقه حيثما ذهب لكنها جندته من وحوش الغابة عندما تغادره وتذهب إلى مقرها لكن الخنزير الوحشى خرج لأدونيس وعضه فى فخذه فمات أدونيس وسال دمه فعادت فينوس وحولت دمه إلى زهور حمراء هى زهور شقائق النعمان.

١٣ - بريـــاب

وصلت عبادة هذا الإله إلى إيطاليا من اليونان، فقد ولدته أفروديت من ديونسيوس وشوهته هيرا الغيور منذ ولادته فنبذته أمه فى العراء حتى لا تعير به، وقد انتشرت عبادته فى منطقة «لامساكى»، حيث عبد كإله خصب نباتى وحيوانى.

وعلى على هذا الأساس إينا لفينوس وباخوس وأصبح إلهًا للبساتين فى روما وكان يرمز إليه بأحجار الحدود الكبيرة التى تغرس بين البساتين وباعتباره إلهًا للزراعة والخصب كانت تقدم له القرابين من بواكير الفاكهة وكان برياب يصور بهيئة رجل ملتح يرتدى قميصًا طويلاً ويعمل غرسه بيده اليمنى، وقد عثر على الكثير من صوره فى النقود والأحجار وجداريات الفريسكو.

وقد عشق برياب حورية اسمها «لوتس» كان يلاحقها وقد ساعدها حما القمر «سيلين، لونا» بنهيقه على النجاة من مفاجأته لها ثم وقعت بين يديه فتحولت إلى شجيرة لوتس.

ويبدو هذا الإله وكأنه نظير الإله بان وأنه ظهر أولاً فى ميشيا وهى مقاطعة فى آسيا الصغرى وعبد فى لامباكوس.

وقيل: إن هيرا جعلته يولد مشوهًا ببشاعة وقد اشتق اسمه من شكله هذا وذلك حسدًا من أفروديت، وتخلت عنه أمه بعض الرعاة وأشرف بريابوس على إنتاج الحقول المواشى وعلى تربية النحل وعلى إنتاج الخمور وعلى صيد الأسماك وحمى الكروم والحدائق، حيث أقيم فيه شكل آلته الجنسية ومن الواضح أن إدخاله ضمن حاشية ديونسيوس جاء عن طريق آسيا.

١٤ـ باخوس

هو إله الخمر والكروم والمجون والإباحية عند الرومان وقد طوبق مع الإله ليبيرا الذى يشاركه هذه الصفات وهو يقابل ديونسيوس عند الإغريق وكان إلهًا سريًا باطنيًا تمارس طقوسه نخب تؤمن بعقيدة الخلاص المشوبة باللذة الحسية. حيث كانت ترافق طقوس عبادته أعمال المجون والجنس حتى إن مجلس الشيوخ الرومانى اضطر إلى منعها معاقبة ممارسيها.

ولـ«باخوس» نوعان من الأتباع فالنساء الباخوسيات «من غير الكاهنات» كن يسمين الباخانت اللائى يقابلن الميناد أى الرهبيات الإغريقيات ويظهرن بلباس جلد الأسد عاريات الصدور وبأيديهن رماح محاطة باللبلاب وأغصان الكرمة

ويرقصن بعنف يصل بهن إلى النشوة الصوفية يلهمن الشعر بقوة ويطرحن تابعيهن وعاشقهن وراءهن.

أما أتباع باخوس من الرجال فيسمون «ساتير» وهم كائنات بين الآلهة والبشر والحيوانات يمتازون بالتهتك لكنهم عند الرومان أصبحوا يشبهون الباخانت فى تهتكهم وضراوتهم.

■ ■ ■

ثالثا: آلهة المياه

كان الرومان يقدسون أغلب أشكال المياه فى الطبيعة كالأنهار والينابيع والبحار وعيون المياه وغيرها.

١ - جوتوران

وتسمى أيضًا ديوتورنا وهى إلهة المياه الساكنة والأنهار وهى المملكة التى وهبها لها جوبيتر مكافأة على حبها له. وهى من لاتيوم وأقام لها احتفالات خاصة بها «جوتوناليا» فى «١١ كانون الثانى» من قبل طائفة الفونتانى وهم أصحاب الحرف المتعلقة بالينابيع وقنوات المياه.

٢ - نبتون

إله الندى والرطوبة وهو الإله الحامى ضد الجفاف وكانت أعياده تسمى الـ «نبتوناليا» التى تقام فى «٢٣ تموز» فى أكواخ من ورق الشجر ندية الظل يجد فيها عابدوه أنفاسهم.

وقد اتحد مبكرًا بالإله الإغريقى «بوزيدون» وأخذ أساطيره وصفاته رغم أنه ليس بالإله البحرى، ولكنه لم يرتقع شأنًا مثل «بوزيدون» عند اليونان ولعل السبب فى ذلك يعود إلى أن الرومان كانوا يهتمون بالزراعة بخلاف اليونان الذين كانوا يعتمدون على المواصلات التجارية البحرية، وأبرز خصائص نبتون حفظه للخيل وميادينها ومنذ عام ٣٩٩ ق.م ضم إلى زمرة أبولو وديانا وميركورى وكان معبده الوحيد فى روما بالقرب من ميدان مارس.

٣ ـ تيبـــر

ويسمى «تيبرنيوس» وهو اسم النهر الشهير الذى يمر بروما واسم إله هذا النهر، وهناك من يرى أن هذا الاسم من اسم تيبرنوس ملك ألب لالونجا الذى غرق فى هذا النهر.

عبده سكان روما وأقاموا على شرفه أعياد تيبرينااليا فى «١٧ آب» وحين وصل البطل الطروادى إينياس وأصحابه إلى إيطاليا ساعدهم إله النهر هذا حين ساروا فى مجراه وظهر لإينياس فنصحه بأن يذهب إلى أعالى واديه ليصل إلى إيفاندر ملك روما القديمة المتواضعة، ويعتقد الرومان أن التيبر أنقذ حياة بطليهم رمس وروموليوس حين ألقيا فى سلة إلى مياهه.

كان للإله تيبر زوجة بشرية هى النبيه «مانتو» التى أنجبت له بيانور الذى أسس مدينة مانتوا وكان أول ملوكها.

وقد اتحد تيبر مع الإله سلفانوس وفيرتيمس وكان قبل ذلك قد اتحد مع الإله فولكان وتضاهى معه فى اسم فولتورنوس الذى هو أحد الأسماء المقدسة لنهر التيبر ومع الإله بورتون الذى رأيناه يمثل نهر الفرات الرافدى فى صورته الأتروسكية.

كان الرومان يصورون «تيبر» بهيئة شيخ ذى لحية خضراء وملامح طيبة وله تمثال فى اللوفر كذلك يصوره متكئًا على إحدى يديه وفى يده الميزان «رمز التجارة والتجار» وفى اليد الثانية قرن الوفرة رمز القوة والعطاء الموجودة فى مياهه وإلى جانبه الذئبة وهى ترضع «ريموس» و«روموليوس» مؤسسى روما.

ولمنع التيبر من الفيضان تقوم الكاهنات الفستاليات فى ١٥ مايو من كل سنة برمى تمثال من أغصان الأشجار الصغيرة من على الجسر وبعد يومين يحل عيد الصيادين والغواصين.

أما عيد النهر بتبريناليا فيحل فى «١٧ آب».

٤ ـ حوريات الماء

حوريات الماء وهن إلهات ثانويات للطبيعة يعتبرن من بنات جوبيتر والسماء ويقترن بعبادة إله أعلى مثل جوبيتر أو ديانيا أو كيريس ويقال إن المطر الذى يتغلغل فى الأرض يلدهن عن طريق الينابيع وكان لكل مكان فى الطبيعة حورياته، فهناك حوريات البحار والأنهار والينابيع، والغابات والجبال والوديان والكهوف. وكن جميعًا ذوات هيئات أنثوية فتانة عاريات أو شبه عاريات وقد يتزوجهن بعض الآلهة أو البشر، ويعتبرن أمهات الأبطال وأنصاف الآلهة وأسلاف البشر الأوائل وكن يساعدن على إخصاب الطبيعة وتنمية الغذاء بامتزاجهن بالهواء والماء والأشجار. ويمتلكن القدرة على التنبؤ وتقديم المشورة عن طريق شرب مياه بعض الينابيع وقد يشفين من بعض الأمراض وكن يعبدن حيث وجودهن.

وقد عبد الرومان هذه الحوريات وأنشأوا لهن المعابد قرب الينابيع وزينوها بالأعمدة والتماثيل والنفورات ومن أشهرها فى لايتوم قرب بوابة كابينا للحورية إيجيريا.

أ ـ إيجيريا

وهى فى الأصل إحدى ريات الليل عند الرومان وكانت زوجة ومستشارة لملك روما الثانى نومًا بومبيلوس، حيث يأتى إليها للتشاور والتأمل خلال الليل، وقد تحولت بعد موته أو موتها إلى الغابات فى وادى إيريشيا، حيث حولتها ديانة إلى نبع هناك وقد عبدها الرومان باعتبارها الإلهة المسؤولية عن الولادة فقد كان لها القدرة على التنبؤ بمصير الأطفال الحديثى الولادة.

ب ـ كاميناى

وهن حوريات الينابيع والغابات اللائى يتبعن عن طريق الشعر ولذلك اندمجن مع ربات الشعر اليونانيات ومن أهم الكامينات ثلاثة:

١ ـ انتيفورتا المتنبئة بالماضى.

٢ ـ بوستفورنا المتنبئة بالمستقبل.

٣ ـ كارمنتا أو كامينتا.

وهى حورية الينابيع وبنت إله النهر لادون وكانت حامية النساء الحوامل عندما يلدن، ولذلك أصبحت إلهة القابلات الرومانيات وكانت تعد أول من سكن أركاديا فى الأساطير الإغريقية إذا كانت تسمى نيكوستراتا، وعندما اندمجت بهذه الإلهة الإغريقية أصبحت تلقائيًا عشيقة وزوجة هرمس «نبتون» وأنشأت مدينة بلانتيوم فى اللاتيوم، حيث تزوجت هناك وأنجبت «إيفاندر» البطل الإغريقى الرومانى.. بعض الأساطير تعده زوجًا لها ويفضل حكمة إيفاندر وكارمينتا وغير الحروف الإغريقية الخمسة عشر التى جاء بها إيفاندر إلى الحروف الرومانية.. وعلموا السكان الأصليين القوانين الجديدة أيضًا وعبادة الآلهة وقد كان إيفاندر صديقًا لهرقل وإينياس وأصبح بعد وفاته خالدًا.

واعتبرت كارمانتا، بعد موتها إحدى آلهة الرومان وكانت لها قدرة على التنبؤ وعاشت حتى بلغت المائة والعاشرة من العمر، وبعد موتها كانت تقام الاحتفالات لتكريمها وكانت تصوره بهيئة فتاة ملكة بأغصان الفول وهو الغذاء الرئيس للعالم السفلى وحاملة معزفًا إشارة إلى موهبتها التنبئية الشعرية.

ج ـ كارنا أو كارديا

وهى حورية كانت تعيش على ضفاف التيبر وقد نذرت نفسها للطهارة، إلا أن الإله جانوس غلبها على أمرها وعوضها عن عفتها بأن أعطاها السلطة على الأبواب وقد أصبحت تعد إله التفتح الجسدى لحماية المواليد والمنزل والأسرة، واعتبرها المحدثون من آلهة العالم السفلى، لأن الرومان كانوا يقدمون لها الفول.

رابعاً آلهة العالم الأسفل

لا شك أن أرواح الموتى القديمة كانت هى أساس آلهة العالم الأسفل لكننا نرى أن آلهة الموت الرومانية قد تطورت بفعل آلهة الموت الإتروسكية. فقد اقتبس الرومان فكرة المناطق السفلية وسكانها أساسًا من اترووريا القديمة، ففى العالم السفلى الإتروسكى تختلط الصور الساذجة والمخيفة والتى هى شائعة فى كل الأديان البدائية مع المفاهيم المجردة للنظم الأكثر تطورًا، وكلاهما كانا بتأثير المفاهيم الإغريقية رغم أنها احتفظت بميزاتها الإقليمية.

وفى العهود الأولى للرومان كانت الآلهة الحقيقية للعالم الأسفل هى الأرواح «مانات» ثم ظهرت الآلهة المتخصصة مثل:

١ ـ آدى

ويسمى أيضاً «إيتا» ويقابل «هاديس» الإغريقى، ولا شك أنه من أصل أتروسكى اقتبسه الإغريق أيضًا.

وتسمى مملكة العالم الأسفل مملكة الموتى بأحد الأسماء الرومانية الآتية.

١ ـ أوركوس.

٢ ـ تاتار «وهو من أصل إغريقى».

٣ ـ أفيرن.

وكان آدى هو ملك مملكة الموتى جالسًا على عرشه وإلى جانبه زوجته «بيرسينى» وهى تقابل «برسيفونى» الإغريقية ويحمل أيضًا قرن الوفرة لأنه كان يعتبر إله الوفرة، وعند ذلك يسمى بلوتو أى الثروة ويسميه الرومان أيضًا «ديس باتر» أى «أب الثروات» أو «موزع الثروات» على اعتبار أن باطن الأرض هو موطن الثورة.

وقد يقابل الإله الإغريقى القتيل «زاغروس» الذى يسمى «ديونسيوس الأول» الذى مزقته التيتان فأحياه زوس من بقايا قلبه النابض.

يشير اسم «ديس باتر» إلى أنه أغنى الآلهة «حيث ديس اختصار غنى» ولم تكن الكثير من التماثيل عند الرومان.

أما بلوتو فهو إله إغريقى قديم يعد ابن الإلهة هيرا من يازيون وقد حملت به فى حقل حرث ثلاث مرات، فكان بلوتو رمزًا للثروة والوفرة وتعنى كلمة بلوتوس فى اليونانية الغنى وقد جعله زوس أعمى لكى يوزع حظوظ الثروة عشوائيًا بدون قوانين وأحقية ويمثل بصبى يحمل قرن الوفرة أو سلة السنابل، ويبدو أن اسم بلوتو هو اسم للإله الكبير الذى كان طفلاً اسمه بلوتوس.

وقد اعتبر آدى وبلوتون عند الرومان إلهًا واحدًا، واكتسب صفات مخيفة.

وهناك صور أتروسكية للإله آدى يظهر فيها متربعًا على عرشه ملتحفًا بذيل أسد وقد اتخذ من رأس الأسد خوذة له.

وأما صورة الرومانية فتظهره على أنه شيخ طويل الشعر واللحية وبيده العصا يقف عليها نسر أو قرن الوفرة.

وكان الرومان يقدمون له الضحايا الحيوانية ذات اللون الأسود والضحايا البشرية مثل المحكومين بالإعدام ليهدأ غضبه.

٢ ـ بلوتو

ربما كان أصله إغريقيًا ومن أسمائه «ديسابتر»، أى «أبو الثروة»، واشتق اسمه من بلوتوس أى الثروة وهو إله باطن الأرض، وقد ظهر وكأنه أكبر آلهة العالم الأسفل واكتسب عند الرومان صفات مخيفة وأخذوا يقدمون له الضحايا الحيوانية ذات اللون الأسود واختلط مع الإله آدى.

٣ـ تاغاس

وهو الإله الإتروسكى «تاغاس» أو «تاجيس» الذى ظهر لأحد الغلامين فى هيئة طفل حكيم حفيدًا لجوبيتر، وعلم الإتروسك العرافة وقراءة الطالع عن طريق تفسير العلامات وخصوصاً فى أحشاء الحيوان المقرب من الآلهة. ثم اختفى «تاغاس» بعد ذلك.

تلقف الرومان هذا الإله على أنه أحد آلهة العالم الأسفل، لأنه ظهر من باطن الأرض وعلى إنه إله العرافة عن طريق فحص أحشاء الحيوانات ومراقبة البرق.

يظهر تاغاس بهيئة طفل أمام عامل اسمه تارخون ويكشف له الصيغ السحرية التى جمعت فى الكتب فيما بعد.

٤ـ أوركوس

أحد آلهة الموت وقد يختلط مع بلوتو وكانت وظيفته القبض على الناس «الذين سيموتون» ونقلهم بالقوة إلى العالم الأسفل، وربما كان هو الذى يظهر على بعض الجداريات الإتروسكية.

ويقوم بالدرجة الأولى بالتهام جثث الموتى داخل القبور.

٥ـ فيريوس

من المحتمل أن فيريوس هو المقابل الأتروسكى لـ «ديس باتر» الرومانى وربما كان شهر فبراير «شباط» شهره المقدس فهو شهر الموتى وفى إتروريا كان هناك إله لا شك أنه صورة أخرى من ديس باتر يدى ماتكوس.

لبتينا

وهى إلهة رومانية قديمة ويحتمل أن تكون إلهة زراعية أصلاً ثم أصبحت إلهة من إلهات العالم السفلى وتحديدًا كانت إلهة ترعى المآتم وتودع فى معابدها الأدوات الجنائزية، وليس لها أساطير خاصة، وكان البعض يربطها بـ «بروسربينا» زوجة آدى وعند موت أى شخص تقدم قطعة نقود فى معبدها وكان حفارو القبور يدعونها «لبتارى» وبسبب تلابس لفظى فيما بعد، اعتبر اسمها مشتقًا من اللبيدو «ومعناه الأصلى الهوى»، وبذلك أصبحت من أعوان فينوس إلهة الحب.

٧ـ أرواح العالم السفلى

أـ مانيا

وهى الإلهة التى تدل على ذلك الحشد الكبير من الأرواح الرومانية القديمة التى بدأت بالانقراض والتحول إلى آلهة فى عصر الدولة، فقد تحولت المانات من أرواح الموتى الذين ألهوا إلى آلهة منفصلة، ويقى أكثرها فى حشد آلهة العالم الأسفل.

ومانيا هى أم هذه المانات، وفى وقت لاحق، وأصبحت تدل على الجنون فهى إلهة الجنون.

ظل الرومان يعبدون المانات لتخفيف غضبهن وصرف آذاهن ولذلك أسموهن «الراعيات الساهرات».

وكانت أعياد المانات تقام فى شهر الموت الذى هو شهر فيريوس أى فبرورى «شباط» ضمن أعياد البارانتاليس.

ب ـ لارا

كما أن الحشد الكبير من اللارات وهن الأرواح العامة الحاميات للطرق والحقول والسكان بقى أثرهن واضحًا فى أمهن فيما بعد، التى هى «لارا» وهى إلهة الصمت، التى أصبحت نوعًا من الغولة التى يخيفون بها الأطفال وسميت موتا أو تاكيتا.

ووضعت لها أسطورة تفسر وظيفتها هذه فيقال إنها كانت حورية أحد الينابيع التى وشت إلى جونون عن حبيبة جوبيتر جوتورن التى أرسلت له من عالم الموتى فقام جوبيتر بقطع لسان «لارا» وأرسلها إلى الجحيم بصحبة ميركورى، وفى الطريق أغواها فولدت منه اللارات، هكذا أصبحت هى أم اللارات، بينما العكس هو الصحيح فهى إما إحداهن أو أنها تفسر وجودهن فى العالم الأسفل حيث أصبحت هى إلهة الموت لأنه الصمت الأبدى.

ج ـ الليمورات

مثلما دفنت المانات واللارات فى العالم الأسفل باعتبارهن ذكرى مزعجة فى ماضٍ روحى قديم هو ماضى الديانات الأرواحية السحرية، كذلك دفنت الليمورات التى هى أشباح الموتى الشريرة الخبيثة التى كانت تخرج من عالم الموت لتعذيب الأحياء.

وكانت الليمورات أرواح الموتى الخبيثة التى كانت تظهر للأحياء فتعذبهم وتخيفهم ولذلك أقاموا لها عيدًا فى ٩ و١١ و١٣ من مارس يقدمون لها القرابين من الفول الأسود، حيث تغلق المعابد ويوقف الزواج ويقرع الناس على الأوانى النحاسية طوال الليل لكى تهرب هذه الأرواح.

وقد بدأت هذه الاحتفالات منذ عهد رومولدس الذى أقامها تكفيرًا عن مقتل أخيه ريمس الذى ظهر بعد موته للراعى فاوستيلوس ولاكا لارينتا مطالبة بالتعويض وقد أسماها ريميريا ثم تحول اسمها إلى ليموريا.

د ـ اللارفات

وهى أرواح شريرة فهى أما أرواح الموتى الذين لم تقدم لهم الشعائر الجنائزية أو أرواح المجرمين الذى اقترفوا جرائم فاحشة لا تفتقر وكانت هذه الأرواح تقود إلى الأرض وتظهر للأحياء على شكل أشباح أو هياكل عظمية وتخيفهم.

هـ ـ المانات

وهى بقايا الأرواح القديمة التى دفنت أيضًا فى العالم الأسفل واعتبرت جزءًا من كائناته وقد أصبحت حارسة خنادق وأساسات المدن، وتدل عليها أحيانًا «حجرة الأرواح» التى تمثل بوابة العالم السفلى ويزاح هذا العجز فى «٢٥ آب» و«٥ تشرين الثانى» ليسمح بمرور المانات وكان الهدف من عبادتهم تهدئة غضبهم وكانت تقدم لهم أضحيات دم ويعتقد أن أول صراعات المجالدين أقيمت تكريمًا لهم.

وكان يحتفل بأعيادهم فى البارانتاليا والفيراليا فى «كانون الثانى»، حيث تتوقف الأعمال وتغلق المعابد فى الفترة من «٢٦ ـ ١٣ كانون الثانى» وتزين المعابد بالبنفسج والآس والليلك وتوضع فيها أطعمة مختلفة.

وهكذا نرى أن بعض الأرواح «المانات القديمة» التى كانت ذات يوم أصل الآلهة الرومانية تحولت بعد ظهور الدولة الرومانية، إلى أرواح شريرة تقبع فى العالم الأسفل، وقد حبسها اللاهوت الجديد فى ذلك المنفى بعيدًا عن مسرح الآلهة العلوى.

وهذا شأن أغلب الأصول القديمة التى تتحول إلى شريرة أو سفلية بعد ظهور آلهة جديدة نشطة، وخصوصًا تلك الأرواح التى كانت تعبر عن الموتى والأرواح الزراعية التى لها علاقة بالجذور حيث العالم الأسفل.

د ـ البينات

وهى أرواح المنزل أى التى ترعى المنزل وكـان عـددهم اثنان يحـملون الرمـاح وتتم رعـاية أدوات عبادتهم من قبل الفسـتـال والأحبـار. وكانت تصـور على شكل تماثيل وتشكل مع الفسـتـال واللارا ثالوثًا متلازمًا ويمثلان كاتبين جالسين فى كل ركن من البيت وتقـدم لهـما القرابين، ثم أصبـح لكل قريـة ومدينة بيانات خـاصـة بهـا بحـجـة أن رومـا بـدأت ترعى هذه الأرواح كـآلهـة ولم تكن تعـد دائـمًا كـآلهـة للعالم الأسفل.

■ ■ ■

خامساً: آلهة المدن

أصبح لكل مدينة فى الدولة الرومانية إلهاً أو إلهة خاصة، بعضها من تلك الآلهة التى ناقشناها، وسنخص أكثر هنا الآلهة الخاصة بروما باعتبارها مركز وعاصمة الدولة الرومانية، ورغم أن أغلب الآلهة الرومانية كان مقرها هو روما، ولكن روما كانت لها آلهة خاصة بها

١ ـ روما

تروى الأساطير والأحبار ثلاث روايات شبه تاريخية حول تأسيس مدينة روما وتشوب هذه الروايات مسحة أسطورية وهذه الروايات حسب تسلسلها التاريخى هى:

١ ـ الرواية التى ظهرت بعد هواميروس والتى تقول إن البطل أوديسيوس «عوليس» الذى عاد إلى بلاده بعد حرب طروادة، كان قد عاشر الساحرة كيركة فأنبجت له عدداً من الأولاد كان من بينهم «روموس» الذى سميت المدينة باسمه.

٢ ـ الرواية التى ظهرت أثناء رحلتى عوليس وإينياس، فقد نصحتهما أسيرة اسمها «روما» بأن يقيما فى البالاتاين وعندما أقام إينياس فى البالاتيان قدس روما هذه وأطلقها على اسم مدينة وعبرت كإلهة.

٣ ـ الرواية التقليدية والشهيرة التى تقول بأن حفيدة إينياس «ربا سلفيا» أنجبت من الإله مارس ولديها. التوأمان «رومولس» و«ريمس» اللذان أسسا روما وسميت باسم رومولوس.

وأيا كانت هذه الروايات أقرب إلى الدقة فإن الإلهة «روما» كانت إلهة مدينة روما الخاصة بها وقد مثلت هذه الإلهة بشكل امرأة ذات خوذة مجنحة وتحمل بيدها حريبة ولها قرن الوفرة الذى يفيض منه الخير على العالم الخاضع لها.

ولروما منحوتات وصور عديدة منها تلك التى تؤله فيها ماركوس أوريليوس.

٢ ـ روموس

عبد رومولوس بعد وفاته كإله تحت اسم «كيرينيوس» وهناك رواية تقول إن الإله مارس الذى هو الأب الحقيقى لروميولوس من أمه «ربا سلفيا» رفعه إليه فى عاصفة وأنه ظهر بعد ذلك لأحد أعضاء مجلس الشيوخ وأوصاه بأن يعبده الرومان تحت اسم «كيرينيوس» الذى هو إله الخصب والأرض والفلاحة.

وسواء كان روميولوس أم أخوة ريموس هما أصل كلمة مدينة روما فقد كان هذا الاسم أى روما يعنى «حلمة الثدى» وهو يشير إلى ثدى الذئبة لوبا التى أرضعتها بعد أن عثرت عليهما فى صندوق الخشب.

وهناك من يرى أن مجموعة من البيلاسجيبن «سكان اليونان الأوائل» استوطنت هناك بعد التنقل فى جميع أرجاء العالم الآهل بالسكان، وهزموا معظم البشر ثم أطلقوا اسم «قوة السلاح» التى تعنى على تلك المدينة.

٣ ـ إيتالوس

تذكر إحدى الروايات أن تيليفونس كان ثمرة العلاقة بين بولسيس والساحرة كيركة «سيرسه» وقد قتل تيليغوموس والده بولسيس دون قصد منه وتزوج أرملة أبيه بينلوب فولدهما إتيالوس الذى سميت ايطاليا باسمه، لانه أصبح ملكاً على شعبها القديم، وتقول رواية أخرى إنه بطل ايطالى أصيل.

■ ■ ■

سادساً: الآلهة الأخلاقية

كان للدولة الرومانية وللمدينة الرومانية قيمهما الخاصة بهما، وكان لابد من تجسيد هذه القيم المعنوية ـ الأخلاقية فى صورة معبودة، ولذلك ظهرت مجموعة كبيرة من الآلهة التى ترمز إلى هذه القيم وتجسدها فى الوقت نفسه، وفيما يلى استعراض للآلهة نوعين من هذه القيم.

أ ـ آلهة القيم الإيجابية

١ ـ فورتنا الحظ:

أصلها واشتقاق اسمها: اشتق اسمها من كلمة Fero وهى إلهة قديمة جدًا كانت تقدس فى العديد من المناطق الإيطالية، فهى إلهة إيطالية أصيلة، لكنها بعد اندماج الآلهة الرومانية والإغريقية دمجت بإلهة الحظ الإغريقية تايكى أو توشه.

وكانت تسير مغمضة العين أو مقنعة الوجه فتمنح الناس الغنى والسلطة أو توقعهم فى الفقر والعبودية اعتباطًا وكان الرومان يخشونها ويلقبونها بألقاب عديدة وكانت الإلهة هورا كويرينى «أى التابعة لكويرينوس» توصف بأنها الربة فورتنا السابينية الأصل.

وظائفها:

١ ـ بريمجينا : أول مولود لجوبيتر وكانت تعتبر، بترتيب غير منطقى، حاضنة وابنة جوبيتر فى الوقت نفسه.

٢ ـ فورتنا الجمهورية الشعبية.

٣ ـ فورتنا موليبرس راعية الأمهات.

٤ ـ فورتنا يونيفيرا التى تزوجت مرة واحدة فقط.

٥ ـ فورتنا ريجا إله حظ القياصرة «قدر الحكم».

٦ ـ فورتنا فيريليس وهى إلهة النساء من حيث حظهن مع الرجال.

٧ ـ فورتنا ريدوكس التى يبتهل إليها من أجل عودة المسافر.

٨ ـ فورتنا باربارا إلهة الجنس المذكر التى ترف على انتقال الرجال من فترة الطفولة إلى سن البلوغ ومرحلة الرجولة «إلهة شعيرة العبور».

٩ ـ فورتنا فيركو إلهة الفتيات اللواتى ينذرون لها ثيابهن، إما فى سن البلوغ أو فى أيام الزواج.

١٠ ـ فورتنا مموسا الإلهة ذات الثديين اللينتين المتهدلتين وكانت تعتبر سيدة نساء عامة الشعب.

١١ ـ فورتنا الجمعيات: إلهة نقابية تشرف على الرابطات المهنية والتجارية وتحميها.

١٢ ـ فورتنا فيلكس: إلهة الخصب السعيد.

١٣ ـ فورتنا إيكويستريز: ربة الفرسان.

١٤ ـ فورتنا أوبسكوينز: التى تنقذ المرء من الخطوات السيئة وهى أيضاً إلهة السلام والصحة.

١٥ ـ فورتنا مالا: تمثل أمراض الحميات وتجسد معنى الخصم.

١٦ ـ فورتنا دويتوس: إحدى مظاهر الحظ المعاكس.

وظائفها:

رغم أن أسماء فورتنا السابقة تعكس وظائفها لكننا يمكن القول إن فورتنا تجسد بالدرجة الأولى ساعة الحظ الملائم والصدفة المناسبة فى التجارة والحروب والمباريات والحب والزواج، ولأنها تجسد الحظ المعاكس الفردى والجماعى فى الوقت نفسه، وكانت تصور أحيانًا فى صورة امرأة عمياء لكى

ترمز لقيامها بمنح السعادة بشكل اعبتاطى وفجائى.

ولأن علاقة هذه الإلهة قوية بالقدر فهى مرتبطة بدولاب الأفلاك والأبراج وهى التى تسهم بوضع أقدار الناس الهالكين، فهى إلهة مهمة؛ لأن كل إنسان يحلم بأن يحظى برضاها لدعم موقعه وكان الناس يشربون نخبها ونخب الحظ الذى تمثله.

وقد تصاعدت مهمة فورتنا من الحظ المحدود لتكون مؤسسة وحامية المدن ومعينة الأبطال على النصر وللتحصل على وظائف سياسية شاملة مثل رعاية الجمعيات والجمهورية الرومانية كلها ولتصبح المسؤولة عن الصحة والسعادة والسلام وغيرها، لكننا يجب أن لا ننسى الجذور الزراعية لهذه الإلهة وعلاقتها بالخصب والفواكه «قرب الخصب» والأرياف والفلاحين والخشخاش والمياه والبذور.

أساطيرها عرفت أسطورتها الرئيسية مع الملك سيرفيس توليوس وهو العبد الذى أصبح ملكًا، حيث جعلت أمًا له أو عشيقة له وكانت تتسلل من السماء لتزوره ليلاً.

وعرفت فورتنا بإقناعها لوريولانوس برفع الحصار عن روما استجابة لتضرعات أمه والزوجات الرومانيات.

وكان الأباطرة الرومان يصنعون تمثالاً صغيرًا لفورتنا فى قاعات نومهم، وكذلك كانت فورتنا لدى المواطنين المميزين بحسن أو سوء الحظ، ويذكر أنه عندما ضربت عاصفة سفينة قيصر، قال للملاح المذعور: ما الذى يخيفك فأنت تحمل قيصر وفورتنا الخاصة به؟!.

رموزها:

١ ـ عجلة القيادة «قيادة البشر».

٢ ـ غصن النخيل «النصر».

٣ ـ الأجنحة «الطواف».

٤ ـ الكأس «خمرة الارتواء».

٥ ـ السلام والتجارة.

٦ ـ مقدم السفينة «التقدم».

٧ ـ قرن الوفرة «الخصب».

٨ ـ الدولاب «يرمز للحركة وعدم الثبات».

٩ ـ الصولجان «الحكم».

١٠ ـ الإكليل «الفوز».

١١ ـ الذمة «السير».

١٢ ـ الكرة «الشمول».

١٣ ـ الأبراج الإثنا عشر «الحظ».

صورها: تمثال لامرأة ناضجة تمسك ببعض هذه الرموز.

وكان أصل قرن الوفرة التى اشتهرت به يرمز إلى الثروة ويقال إن إله النهر أخيلوس حول نفسه إلى ثور لينافس هرقل على الحسناء ديجانير، فغلبه هرقل واقتلع أحد قرنين فاستعاده منه الإله المغلوب على أن يعطيه بدلاً منه أحد قرنى العنزة «آمالتيه» مرضعة الإله زوس ويقال إن زوس نفسه هو الذى اقتلع أحد قرنى مرضعته ولكى يواسيها وعدها بأن يجعله رمزاً للثورة والغنى.

معابدها: أشهر معابد فورتنا هو معبدها فى برينست «باليسترينا حاليا» فى لاتيم.

٢ ـ فكتوريا: النصر

وهى إله النصر التى كانت تبدو مرافقة لإله الحظ فورتنا، وهى شبيهة نايكى اليونانية، ولذلك فهى شقيقة الحماسة والسلطة والقوة وهى إلهات معنوية أو مجازية أخرى من بنات بالاس وسيتكس إله النهر الموجود فى العالم الأسفل التى هى من أبناء الأوقيانوس.

وكانت فكتوريا تقود خطى الآلهة والأبطال فى ساحة النصر، وقد أقيم لها معبد على جبل البالاتان بروما، وتصورها الفنانون على هيئة فتاة مجنحة تحمل سعفة نخل وإكليلاً وتبدو مسرعة.

ومن المحتمل أن تكون هذه الإلهة اللاتينية هى ذاتها الإلهة السابينية «فاكونا» وبعد أن كانت فكتوريا راعية للحقول والغابات أصبحت مسؤولة عن نجاح الرومان فى مجال السلام، وقد اعتبروها واحدة من أقدم آلهتهم، وكانت تقرن مع الإلهتين.

١ ـ فيكا بوتا.

٢ ـ فيتولا «أو فيتليا».

وكانت مسؤولة أيضًا عن احتفالات النصر.

٣ ـ باكس السلام

وهى إلهة السلام الذى يعقب النصر ولم تكن عبادتها قديمة أو واسعة وكان لها معبد فى روما أقيم عام ٧٥م.

وتوحدت مع إيرينا إلهة السلام اليونانية وتظهر فى التماثيل على شكل أنثى جميلة تحمل بيدها قرن الوفرة وغصن الزيتون، وتختلط وظيفتها مع أختها كونكورد إلهة الوفاق.

٤ ـ آمور الحب

وهو إله الحب وكان على شكل ملاك صغير مجنح، وكان آمور يظهر بشكل مجموعة من الأمورات المجنحة التى ترافق فينوس وتساعدها على إتمام زينتها وتعزف لها الألحان وتمارس بعض الهوايات العنيفة كالصيد وصنع السلاح.

وترمز الأمورات لفصول السنة أيضًا فتظهر بشكل الفلاحين وجامعى الأثمار، ويختلط أمور مع كيوبيد الذى اندمج مع ايروس اليونانى ليعبر عن الحب.

٥ ـ كيوبيد الحب

إله الحب عند الرومان وابن فينوس، وله قصص عديدة أشهرها قصة حبه لبسيته، ولعب دورًا في قصة حب ديدون «إليسا» وإينياس كثرت صورة في العصر الروماني مرافقًا لفينوس وغيرها وكان يمثل بأجنحة.

٦ ـ بسيشة النفس

وهي إلهة النفس أو الروح التي تنال التطهير عن طريق الحب السامي والألم والتي اقترنت بإله الحب «كيوبيد» وفق الأسطورة الإغريقية المعروفة عنها، وقد تناولت آخر الأمر، طعام الخلود أمبروزيا وظلت متزوجة من إله الحب إلى الأبد ويرمز هذا خلود النفس واتصافها بالحب.

وتظهر بسيشة على الآنية الرومانية أحيانًا على شكل ديك أو فراشة وغالبًا ما تظهر على شكل فتاة جميلة صغيرة مجنحة.

٧ ـ فيليكيت السعادة

وهي إلهة السعادة التي تصور على شكل امرأة بدينة تحمل رمز الصحة الذي هو رمز الطب «العصا المجنحة ذات الثعابين» وقرن الوفرة وهما قطبا السعادة «الصحة الوفرة».

٨ ـ آميتيبه الصداقة

وهي إلهة الصداقة التي ظهرت على شكل فتاة ترتدي ثوبًا مشبوكًا عند الخصر ومتوجهة بالأزهار أو بأغصان الآس وتحمل في يدها سلة عنب.

٩ ـ تالاسيو الزواج

هو إله الزواج عند الإتروسك ثم الرومان، وكان مراسيم الزواج تقضي بأن يرفع المحتفلون له الدعاء حين تقاد العروس إلى بيتها ويصيحون حين تصل وهذا الإله قديم جدًا ويظهر في الحملة التي سبى فيها رومولوس السابنيين.

١٠ ـ هورا أو هورتا الشجاعة

وهى فى الأساس امرأة شجاعة اسمها هرسيليا أوقفت الحرب بين الرومان والسابيين وتزوجت من رومولوس وأنجبت منه ولدًا وبنتًا ثم قتلتها صاعقة من صواعق جوبيتر فرقعت إلى السماء وتحولت إلى إلهة يقدسها الشباب كرمز للشجاعة.

وتختلط أحيانًا بإلهة الحظ السابينية الأصل «فورتنا السابينية» وأحيانًا أخرى كان يخلط بين الإلهة هورتا «الأرتوسكية الأصل» والإلهة مويرينى، وقد أقام الرومان لهورتا معبدًا مفتوح الأبواب، ويبدو أن أصل هورا هو «هرسيليا» زوجة رومولوس التى أشعلت شعرها نجمة واتحدت بها وعرجت السماء.

١١ ـ كاميناى الإلهام

وهن إلهات الشعر والفن والعلم وكنّ إلهة واحدة ثم أصبحن ثلاثة وقد عبدهن الإغريق على أنهم بنات زوس من منيموزين «الذاكرة» وربما بنات أورانوس من غايا، وهن تسعة إلهات.

١٢ ـ آلهة النزاهة

وهى ثلاثة من الآلهة المترابطة تجسد النزاهة فى المعاملات الخاصة والعامة وهى:

١ ـ فيدس من أصل سابينى يجسد الوعود الصادقة فى المعاملات الشفهية.

٢ ـ ديوس فيديوس من أصل سابينى وهو راعى أصول الضيافة.

٣ ـ سيمو سانكوس من أصل لاتينى يجسد الإيمان والقسمة.

١٣ ـ بوناس إيفنتوس نجاح المشاريع

كان فى البداية إلهًا ريفيًا مسؤولاً عن الحصاد ثم اتسعت مهماته فأصبح رمزاً للتفاؤل والنجاح فى المشاريع.

وكان له معبد فى روما وتمثال فى الكابيتول.

١٤ ـ كونكورد الوفاق

هى إلهة الوفاق بين الأسر والمواطنين والأزواج، أقيم معبدها فى مركز روما عام ٣٦٧ ق.م عقب الاتفاق الذى أنهى الصراع بين الباتريسيين والبيلبيين وتمتزج صفاتها بصفات أختها إلهة السلام، وتنسب إليها أدواتها مثل الرمانة رمز الزواج الودود وغصن الزيتون رمز السلام الذى يتم الاتفاق تحت لوائه وفى ظله.

١٥ ـ سبيس الأمل

عبدها الرومان وصورها بصفة فتاة ترفع ذيل ثوبها بإحدى يديها وتحمل باليد الأخرى برعمًا.

وقد وحّدها الرومان بآلهة الأمل الإغريقية إيلبس والتى كانت تشير بشكل أو بآخر، إلى آخر ما تبقى فى علبة باندورا «حواء الإغريقية» التى فتحتها فضولاً فطارت منها كل الشرور وانتشرت فى العالم ولم يبق فى قاعها إلا الأمل.

١٦ ـ جوستيتيا العدالة

إلهة تجمع بين القسوة والرحمة، وكانت فى العصر الذهبى للإنسان تعيش على الأرض أيام كانت العدالة تنتشر بين الناس، لكنها انسحبت إلى السماء عندما ازدادت الشرور وكونت مع تابعاتها المجموعة النجمية التى تسمى بـ «العذراء».

وقد عدت، بعد توحد الآلهة الرومانية والإغريقية، زوجة جوبيتر وهى من التيتانات الجبارات القديمات بنات ساتورن، وتوحدت مع ثيميس اليونانية أنجبت من جوبيتر ربات القدر «بارك» وربات الفصول والهوريات.

١٧ ـ جوفانتس الشباب

إلهة الفتوة والشباب التى كان من وظائفها تهيئة الفتيان المراهقين الذين كانوا يعبدونها لدخول سن الرشد، وتقابلها عند الإغريق الإلهة هيبى ساقية زوس وابنة هيراوزوس.

١٨ ـ إلهة الحذر «بروديـنس»

وهى إلهة رومانية مجازية تقابل إلهة الذكاء والعقل الإغريقية «ميتس» التى تزوجها زوس «جوبيتر» وجعلته يتقيأ أولادهم الذين ابتلعهم عن طريق شراب سحرى، وحين تنبأت غايا بأن ابنها سيتفوق على والده وسيجرده من سلطانه قام زوس بالتهامها حتى لا تضع هذا الغلام ولكن هذا الغلام تحول داخل زوس إلى أثينا التى خرجت من رأسه.

لكن إلهة الحذر الرومانية قديمة وصورت على شكل امرأة ذات وجهين ينظر إحداهما إلى الماضى والآخر إلى المستقبل.

١٩ ـ أنغيتا الطب والتعاويذ

هى إلهة الأفاعى عند الطليان عبدت فى وسط إيطاليا، وهى تتمتع بمواهب عديدة منها صنع السم وتحضير الترياق وترويض الأفاعى وتلاوة الرقى التى تطرد الشياطين وتشبه إلى حد بعيد كيركه «سيرسه» وميديا فى الأساطير اليونانية.

٢٠ ـ كبير «كبيرسس أو كابرس»

إلهة شرقية الأصل وربما كانت من حشد الإلهات الأموريات ويدل اسمها عليها «كبيرة» دخلت إلى الرومان بعد أن كانت ضمن آلهة الأسرار اليونانية وقد اعتبر هيفايستوس إله النار والمعادن والدها الذى أعطاها أسرار صنعته.

عبدت كإلهة خصب وحماية من الأخطاء كالغرق، عبدت فى «بيوتًا» وساموثراس «كانت جزءًا من العبادة السرية الساموثرائية عند اليونان» وتوحدت عند اليونان مع الأخوين ديوسكور ومع الكوربيانت ووحدها الرومان مع البينات، عثر لها على صورة رومانية فى ميدالية من عصر تراجان وهى تلبس قبعة مخروطية وتحمل بيدها غصن سرو إشارة إلى العالم الآخر.

٢١ ـ الخاريتات: ربات الحسن .. ربات النعم

وهن ربات الحسن الثلاثة من زواج ليثيه «ربة الشقاق» بزوس «جوبيتر» وجمالهن الخارق يجعلهن يجذبن شعاع الشمس إلى الأرض، ويدفئن قلوب البشر ويبعثن فيها البهجة ويوجهن الناس إلى طلاوة الحديث وإقامة العلاقات الاجتماعية الطيبة.

ويقال إنهن نبات جوبيتر من فينوس أو من أورينوما أجمل بنات أوقيانوس.. وكن يحببن الشعر ويعشن فى الأولمب قرب ربات الشعر والموسيقى، يمثلن فى النحت والتصوير بثلاث نسوة جميلات عاريات اثنان إلى الأمام والثالثة والوسطى إلى الخلف وقد تمسك إحداهن وردة أو نردًا أو غصن آس.

٢٢ ـ مونيتا الثروة

هذه الإلهة تابعة للإلهة جونو المسؤولة عن ممالك الثورة وأصبحت وظيفتها مونيتا حماية المبادلات التجارية، وكان معبدها عند الرومان مكانًا لصك النقود التى كانت تحمل منذ العصر الامبراطورى، على وجهها صورة أحد الآلهة، بينما يحمل الآخر صورة الامبراطور.

ب ـ آلهة القيم السلبية

١ ـ فاما الفضائح

وهى إلهة تتطفل على خصوصيات الناس وأسرارهم وتنشرها بينهم، فهى إلهة لها القدرة على النفاذ إلى الأسرار العميقة وعبدها الرومان بخوف واحترام وكانت من أصحابها وضيوفها الدائمين آلهة الخطيئة والخطأ والصخب.

وعبدها الإغريق كإلهة مجنحة ذات عيون عديدة وأفواه عديدة.

٢ ـ فاميس الجوع

ابنة الحقول التى تصيب الحقول بالجدب، وضعها فرجيل على أبواب الجحيم ووضعها أوفيد من البلاد المتجمدة وصورها فى أشعاره بهيئة عجوزة

جاثية فى حقل مجدب تقتلع منه أعشابًا عجافًا، وقد كان البطل التسالى أريسيختون أحد ضحاياها.

٣ ـ بارك فاتوم القدر

فاتوم أو بارك اسم ولقب إلهات القدر الثلاث بنات جوستينا وجوبيتر ويعبرن عن إرادة الآلهة التى لا تتبدل ويقابلهن «موار» أو «مورات» فى الإغريقية وكن فى الأصل يدللن على المصير والمستقبل الوحى. والإلهات الثلاثة عند الرومان هن:

أ ـ نونا: إلهة الولادة.

ب ـ ديسميا: إلهة الزواج.

ج ـ مورتا: إلهة الموت.

ويسمين أيضًا «تريا فاتا» أى الأقدار الثلاثة، وكن يحملن عادة مغازلهن ويحتفظ متحف اللوفر بنقش على قبر رومانى بصورهن بهيئة توحى بالرهبة إذ ترتفع على رأس أولاهن ريشات تدل على عمر الإنسان، وتمسك الثانية صحيفة ملفوفة إشارة إلى القدر المكتوب المغيب، بينما تمسك الثالثة كرة الكون تقرأ عليها خطوط طالع الإنسان وتسميتهن الرومانية «الباركات» فى مقابل «الموارات» الإغريقية.

٤ ـ موموس السخرية

هى إلهة السخرية والنقد اللاذع وكانت توافق إله المآدب كوموس ولعل أشهر أساطيرها نقدها للإنسان الذى صنعه فولكان ناسيًا فتحة الأسرار فى صدره ولها عدة أساطير أخرى.

٥ ـ أندفيديا الحسد

وهى إلهة الحسد الرومانية التى تقابلها عند الإغريق الإلهة «فتونس» وهى إلهة العين الحاسدة الشريرة، وهى ذات روح شريرة وقلب تأكله الأفاعى ولها جسد نحيل بسبب الغيظ والحسد والرغبات التى لا تنتهى.

عيد العشاق

من الأساطير التى كانت شائعة عند الرومان قبل مولد المسيح، أن «رومليوس» مؤسس مدينة روما أرضعته ذات يوم ذئبة فأمدته بالقوة ورجاحة الفكر، وقد كان الرومان يحتفلون بهذه الحادثة فى منتصف شهر فبراير فى كل عام احتفالاً كبيرًا يذبح فيه كلب وعنزة، ويدهن شابان مفتولاً العضلات جسميهما بدمهما، ثم يغسلان الدم باللبن.

وبعد ذلك يتقدم الشابان موكباً من أندادهما فى السن يطوف طرقات المدينة ومعهما قطعتان من الجلد يلطمان بها كل من يصادفهما، وقد كانت النساء يعرضن أنفسهن لتلقى هذه اللطمات مرحبات. لاعتقادهن بأنها تمنع العقم وتشفيه.

وفى السنوات الأولى بعد الميلاد، تغيرت نظرة القوم إلى الاحتفال ولم تعد النساء يرين فى لطمهن بالجلد علاجًا من العقم، وصار الاحتفال فرصة يتيسر فيها اللقاء بين الشبان والشابات.

وفى عام ٣٠٠ بعد الميلاد صار يوم ١٤ فبراير عيدًا للعشاق، وسمى باسم القديس «فالنتين» شفيع العشاق وراعيهم.

وكان من مراسم الاحتفال بهذا اليوم، أن تكتب أسماء الفتيات اللائى فى سن الزواج فى لفوفات صغيرة من الورق توضع فى طبق على منضدة، ويدعى الشبان الذى يرغبون فى الزواج ليخرج كل منهم ورقة، فيضع نفسه فى خدمة صاحبة الاسم المكتوب فيها لمدة عام، يختبر كل منهما خلق الآخر، ثم يتزوجان، أو يعيدان الكرة فى العام التالى يوم العيد.

ولكن رجال الدين ثاروا على هذا التقليد واعتبروه مفسدًا للخلق، فنجحوا فى

إبطاله فى إيطاليا، ولم يكن العيد معروفًا فى بلاد الغرب الأخرى حتى ذلك الحين.

وفى العصور الوسطى، أحيا الشبان هذا العيد لا فى إيطاليا وحدها، وإنما فى انجلترا يقضون ليلة العيد فى سمر ومرح حتى الصباح، فى أفنية دور العبادة أو الحدائق المتصلة بها.

وفى القرن السابع عشر، بدأ العيد يأخذ طابعًا آخر، فيتبادل فيه المحبون بطاقات التهنئة من غير أن يذكروا أسماءهم، فكانت فرصة طيبة للخجولين منهم، تتيح لهم التعبير عن مكنون عواطفهم بغير حرج.

وكان الشعراء والكتاب يتبارون فى كتابة قصائد وموضوعات عن الحب تحية للعيد.

وقد كانت بعض هذه البطاقات تطرز على أقمشة حريرية رقيقة وبطريقة فنية رائعة، حتى لقد بلغ ثمن بعضها نحو عشرة جنيهات للبطاقة الواحدة، وبعضها كان يحتوى على لوالب إذا لمست رفعت الطبقة العليا، وظهرت من تحتها صورة جميلة أو عبارة رقيقة.

وقد تفننت دور الطباعة فى إخراج هذه البطاقات وما عليها من الأشعار والعبارات المناسبة.

ثم انتقلت عادة الاحتفال بهذا اليوم من أوروبا إلى أميركا، وأصبح الاحتفال بيوم «فالنتين» من الاحتفالات الكبيرة، يلى فى أهميته عيد الميلاد مباشرة، بالرغم من منافسة يوم الأمهات ويوم الآباء ويوم ٤ يوليو له، وأصبحت تصنع له أنواع خاصة من الحلوى والشكولاته والأطعمة تعرف باسم «فالنتين» وأصبح أغلب الأميركيين يتشاءمون إذا لم يسهموا فى الاحتفال بهذا اليوم.

■ ■ ■

الطائر الصدّاح

معظم الأساطير الشعبية تراث مشترك بين الأمم القديمة، تأخذها أمة عن أمة فتحور فيها وتبدل، وتلبسها طباعًا يتفق مع ما ألفته من أساليب حياتها العادية، ونظرة واحدة إلى أساطير الشاهنامة الفارسية وألف ليلة وليلة، تكشف عن صلتهما الوثيقة بأساطير كثير من دول الغرب التى كانت لها صلات بالحضارات الشرقية، واستطاعت أن تأخذ منها وتحور ما أخذته، وتلبسه من الأثواب ما يتفق مع طبيعتها ومألوف حياتها

و«الطائر الصدّاح» واحدة من هذه الأساطير التى تنتمى دون شك إلى أساطير الشرق انتماء أصيلاً.

لم يكن يشغل بال الامبراطور سوى شىء واحد، هو الطائر الصدّاح.

ولم يعرف أحد سر اهتمام الامبراطور بذلك الطائر العجيب، ولا سر العلاقة بين عدم العثور عليه وانهيار برج المعبد الكبير الذى طالما حاول الامبراطور تشييده عبثًا.

والحق، إن المعبد كان تحفة رائعة الجمال، فخمًا غاية الفخامة. تحلى جدرانه أحجار كريمة من الذهب والياقوت، وتتدلى من أسقفه عناقيد من الجواهر والحلى، جند الامبراطور لصنعها أمهر رجال الصناعة والفن فى البلاد، فجاء آية فى الإبداع لم تر البلاد لها مثيلاً.

وكان الشعب كله قد عرف أن الامبراطور كلما أطل إلى المعبد العظيم، ملأته الحسرة لعجزه عن تشييد البرج الذى يجب أن يقوم على مدخل المعبد، والذى كان كلما أقامه انهار.

وأذاع الامبراطور فى البلاد كلها أنه سينعم بلقب النبيل على الفنان الذى

يستطيع تشييد البرج دون أن ينهار، وفى الوقت نفسه أمر الامبراطور بإقامة الصلوت فى جميع المعابد توسلاً إلى الله أن يهديه إلى الفنان الذى يستطيع إقامة البرج الكبير.

وانقضت ليال ثلاثة فى إقامة الصلوات، وفى الليلة الرابعة، رأى الامبراطور فيما يرى أن البرج لن يقوم إلا إذا أمكن إحضار الطائر الصدّاح الأكبر من الضفة الأخرى وأقيم له عش فى أعلى البرج.

وفى الصباح جمع الامبراطور أبناءه الثلاث وقص عليهم رؤياه وبدأ الأبناء يتناقشون فيمن يكون أول من يشد الرحال منهم إلى الضفة الأخرى لمحاولة جلب الطائر الصدّاح.

وأوقف الامبراطور المناقشة حين احتدمت، وأمر ابنه الأكبر أن يقوم بهذه المهمة.. فإذا ما فشل فعلى من يصغره أن يحاول إتمامها، على أن تكون ولاية العهد لمن يستطيع الحصول على الطائر العزيز.

وشد الابن الأكبر رحاله، واتخذ طريقه إلى حدود المملكة وعندما بلغ ضفة النهر الكبيرة كان الليل قد أقبل، ووجد نفسه داخل روضة صغيرة رائعة الجمال، فجلس على الأرض، وأوقد نارًا، وأخذ يطهو طعامًا لعشائه.

وإنه لفى ذلك، إذا بثعلب عجوز يظهر أمامه ويتوسل إليه أن يعطيه كسرة من الخبز، وكوبًا من النبيذ، وأن يسمح له بأن يستدفئ إلى جوار النار.

وبدلاً من أن يستجيب ابن الامبراطور إليه، مد يده إلى عصا ضخمة، وانهال بها على ظهر الثعلب العجوز، ولم يكد يفعل، حتى رفع الثعلب يده مشيرًا إشارة غامضة.. وإذا بالفتى يتحول فى لحظة إلى تمثال من حجر.

طالت غيبة الابن الأكبر حتى يئس الامبراطور من عودته واستسلم آخر الأمر إلى رجاء ابنه الثانى أن يذهب فيجرب حظه، وانطلق الفتى فى الطريق نفسه الذى سلكه أخوه من قبل.. وفى الروضة الصغيرة نفسها على جانب النهر، وإلى جوار تمثال أخيه الحجرى، لقى الفتى مصيره بعد أن رفض بدوره الإصغاء

إلى توسلات الثعلب العجوز.

ولم يكن من اليسير إقناع الملك بعد ذلك بالسماح لابنه الأصغر بالذهاب إلى الرحلة الغامضة التى اختفى بسببها شقيقاه.. إلا أن الفتى الصغير أبى أن يستسلم لتوسلات أبيه، وقال له ذات يوم:

- لقد انقضى زمن طويل، ولم يعد هناك أمل أن يعود شقيقاى، وسواء كانا قد وفقا أم لا يزالان يبحثان عن الطائر العزيز، فقد أصبح لزامًا على أن أذهب لأداء المهمة التى أرادتها السماء، وربما استطعت فى محاولتى أن أعرف مصير شقيقاى العزيزين.

وظل الامبراطور مصراً على الرفض.

وعاد الفتى مرة أخرى يتوسل إلى أبيه فى إلحاح قائلاً:

- أبى.. دعنى أجرب حظى، فعسى أن أدخل على نفسك السرور بتحقيق رغبتك.. وإلا فلن أعيش فى القصر بعد اليوم لحظة واحدة أواجه المذلة والمهانة من الجميع.

وأجاب الامبراطور:

إن شقيقيك لم يجلبا لى الطائر العجيب.. وربما كانا قد لقيا مصرعهما ثمنًا لمحاولتهما . وإنك لترى يا بنى أن السن قد تقدمت بى، وإذا ما انطلقت فى الرحلة نفسها أنت الآخر، فمن الذى يساعدنى فى القيام بأعباء الحكم الذى ناء به كاهلى؟ ومن الذى يتولى العرش إذا فارقت هذه الحياة؟ فابق حيث أنت يا ولدى.. فما عاد هناك من سبيل آخر أمامنا .

ولكن الفتى استمر فى توسله قائلاً:

أنت والدى ومولاى. وأنك لتعرف أنى لا أستطيع مخالفة أوامرك قيد أنملة. وإذا كنت أجرؤ اليوم على تكرار الرجاء، فذلك أن أملى كبير فى تحقيق الأمنية التى سيجلب تحقيقها لنفسك سلامًا وأمنًا يا مولاى.

ولم يجد الأب بُدًا من الاستجابة لولده. وامتطى الابن جوادًا من خير جياد أبيه. وانطلق فى الطريق الذى انطلق فيه أخواه من قبل، وقد حمل معه عصا، وكثيرًا من الزاد.

ومضت شهور..

ولم يكن الابن الأصغر هو الذى عاد بعد هذه الشهور، بل كان شقيقاه الآخران هما العائدين.. عادا حاملين الطائر الصدّاح الأكبر. ومعهما جارية زرية جعلا منها خادمة لحظيرة الخنازير.

والحق، إن الطائر الصدّاح كان أعجب ما فى هذا العالم.. كان لريشه ألف لون، تشع منه أضواء رائعة كأنها مرآة تعكس ضوء الشمس.

ومنذ أقيم للطائر الصدّاح عشة فوق قمة البرج. لم يعد ينهار قط، غير أن كل من رأى الطائر، كان يعجب غاية العجب لوجومه وسكونه، وإصراره على الصمت، وعدم الشدو والغناء.. حتى الامبراطور نفسه.. استبدت به الحسرة والحزن لصمت الطائر العجيب الذى كان كل أمله أن يملأ بلاده غناءً وشدوًا.

ومع ذلك فقد استمرت أفراح الشعب قائمة، وأسدل الجميع فى خضم الفرحة ستار النسيان على الابن الأصغر الذى اختفى منذ أن انطلق باحثًا عن الطائر العجيب.. كلهم نسوه، ماعدا الوالد الحزين الذى أمرضه فقدان ولده، وأضنى فؤاده ألا يراه مشتركًا فى الأفراح التى عمت البلاد.

ومرت الأيام..

وفوجئ الامبراطور، ذات يوم بخادمة حظيرة الخنازير، تركع أمامه وتقول:

ـ المجد لمولاى.. لقد جئت أرفع إليك أجمل بشرى فقد عاد الطائر يغرد من جديد، وبدأ يشدو فيملأ أجواء المعبد الكبير.

ونهض الامبراطور من مكانه فى فرح وسألها:

وكيف عاد إلى تغريده يا فتاة؟!.

وأجابت الجارية:

لقد اقترب راع شاب من المعبد هذا الصباح، ولم يكد يدلف من الباب حتى انطلق الطائر يشدو ويصدح بكل قواه، حتى لتكاد حنجرته تنشق لقوة الشدو والغناء، لقد كان الفرح يملأ قلب الطائر العزيز.. وإنه لفرح ظل واضحًا طوال الفترة التى قضاها الفتى فى المعبد، فلما غادر المكان وابتعد، كف الطائر عن الغناء، وعاد إلى الصمت والسكون.

وهتف الامبراطور:

- إلىّ بهذا الراعى على الفور.

وانحنت الجارية، وقالت فى همس:

- إن ذلك مستحيل يا مولاى فإن الفتى على ما يبدو غريب عن البلاد، وليس هناك من يستطيع أن يعرف مكانه ولقد سمعت أن ولديك قد أطلقا خلفه من يقبض عليه أو يقتله.

وصرخ الامبراطور:

- اخرسى.. كيف تتحدثين بهذا عن ابنى؟ وكيف تجرؤين على اتهامهما بمثل هذا الجرم الفظيع؟!.

وغضب الامبراطور غضبًا شديدًا، وطرد الخادمة من القاعة، ولم يلبث أن ساورت رأسه أفكار غريبة، فأخذ يبث عيونه سرًا، وأرسل من يبحث عن الراعى الصغير.

ونجح رجال الملك فى العثور على الفتى وهو يدخل المعبد ذات يوم، وقبضوا عليه غير أنهم ما كادوا يمسكون به، حتى انقض عليهم رجال أشداء، يحاولون قتله حتى لا يذهب حيًا إلى الامبراطور.

إلا أن النصر كان حليف رجال الملك، الذين حملوا الراعى الصغير حملاً إلى القصر، ودخلوا به إلى قاعة العرش.

وخفق قلب الامبراطور الشيخ للفتى الراعى ولم يدر سر ذلك الشعور الذى غمر كيانه.

وسأله الامبراطور:

- ما قصتك يا فتى؟ من أين جئت؟ ومن والدك؟ وكيف قدمت إلى هذا البلد؟

وأجاب الفتى الصغير:

إن لى لقصة طويلة يا مولاى صاحب المجد. وإن لى لوالدين وأخوين إلا أن عرض قصتى كاملة يستغرق وقتًا طويلاً، ما أظنك اليوم يا مولاى مستعدًا لقضائه فى الاستماع إلىّ، فإذا كنت تريد يا مولاى أن تسمعها، فلتأذن لى بالمثول بين يديك متى طلع فجر الغد.

فرد الامبراطور:

ليكن ذلك يا فتى. وإنى لفى انتظارك مع صباح اليوم الجديد.

وجاء الصباح..

ومع قدومه كان الفتى يطلب المثول بين يدى الامبراطور، وحين أذن له، انحنى أمامه فى احترام وقدم فروض الطاعة، فقال الامبراطور:

- حسنًا يا بنى. والآن: أخبرنى عن سر غناء الطائر الصدّاح عند قدومك إلى المعبد، ثم عودته إلى الصمت بعد أن غادرته.

وأجاب الفتى:

- ستعرف كل ذلك يا مولاى، وستعرف معه أشياء أخرى كثيرة وكل شىء سيجىء فى حينه.. ولتسمح لى يا مولاى أن أقص قصتى منذ البداية.

ووافق الملك.. وبدأ الفتى يقص القصة:

غادرت والدى ذات يوم فى مهمة كنت أعرف أن نجاحى فيها سيفرح والدى

فرحة كانت بعيدة المنال عليه وقضيت أيامًا كثيرة سائرًا فى طريق طويل شاق، حتى وجدت نفسى فى نهايته داخل روضة جميلة تخترقها طرقات متقاطعة وقد هبط علىّ الليل فقررت أن أقضيه فى الروضة، وأضرمت نارى، وأخرجت زادى، وبدأت أطهو طعامى.

وفجأة، أبصرت ثعلبًا عجوزًا يقترب منى، لم أعرف كيف ولا من أين جاءه ومثلت رهبة حين رأيته، إلا أنى سمعته يحدثنى، فأنصت إليه فإذا به يقول:

- أتسمح لى أيها الفتى الطيب أن استدفئ إلى جوار نارك؟ إنى أرتعش من البرد، أسنانى تصطلك وأطرافى تتجمد، وإن بى لحاجة إلى كسرة من خبزك، وكوب من نبيذك، لأشبع جوعى وأطفئ ظمئى، ولكنى أتوسل إليك ألا تمد يدك إلى عصاك فتضربنى وتؤذينى.. فآكل مطمئنًا وأستدفئ آمنًا.

وقلت للثعلب العجوز:

حسنًا تلك نارى اقترب منها، وذاك طعامى خذ منه ما يشبعك، وهذا كوبى أشرب منه ما يطفئ ظمأك.. استدفئ وكل واشرب ما طاب لك الدفء والأكل والشراب.

وألقيت بعصاى.. وجلسنا معًا حول النار، ودار بيننا الحديث حتى بلغت به ما كنت قد رحلت من أجله، ورجوته أن يهدينى إلى سواء السبيل إذا كان على علم بما أبحث عنه.

وهنا قال لى الثعلب العجوز:

- فلتطمئن يا صديقى.. وغدًا عند الفجر، سأرحل معك.. وإنى لأحل لك رقبتى إذا عجزت عن الوصول بك إلى حيث تريد.

وطالت جلستنا حول النار، وتناولنا الطعام معا كأحسن ما يكون الصديقان.

وعندما انتهى حديثنا ألقى الثعلب إلىّ بتحية المساء، ثم اختفى فجأة كأنه الشبح.

والتفت حولى متطلعًا لعلى أتبين الطريق الذى سار فيه، وفكرت طويلاً لعلى أدرك كيف أتى إلىّ ثم كيف اختفى عنى وظللت على حالى هذه حتى ثقل رأس فاستغرقت فى سبات عميق.

ومع اللحظات الأولى من الفجر، عاد الثعلب وكنت قد استيقظت وجلست أتأمل فى تفكير عميق تماثيل تبدو لرجلين وجوادين وكلبين سلوقيين وقطع الثعلب علىّ تفكيرى قائلاً:

ـ علينا أن نرحل فورًا.

ثم لم يلبث أن ضرب الأرض بقدمه ضربات ثلاثاً ولم يكد يفعل، حتى انتفض فإذا هو عملاق ضخم متين البنيان رائع القسمات وسار العملاق إلى جوارى وأخذ يحدثنى خلال الطريق عن المكان الذى قضيت فيه ليلتى فقال: إنه جزء من أراضيه وإن له زوجة وأطفالاً، بيد أنه وقع ذات يوم فريسة ساحر حكم عليه أن يعيش فى صورة ثعلب إلى أن يشفق به إنسان، فسمح له بالدفء عند ناره ويعطيه كسرة من خبزه، وكوبًا من نبيذه.. وكنت أنا هذا الإنسان الذى أشفق عليه وكان سببًا فى إطلاقه من قيده وكافأنى بأن أقسم على أن يظل فى صحبتى حتى يبلغنى ما أريد.

ومضينا فى سبيلنا طيلة النهار، وشطرًا كبيرًا من الليل، حتى بلغنا روضة أخرى صغيرة رائعة.

وعزمنا على أن نستريح بقية الليل فى هذه الروضة الصغيرة، وعندئذ أخبرنى رفيقى أننا سنذهب فى الصباح إلى مقاطعة تعيش فيها تنانين هائلة، وفى هذا المكان سنجد الشىء الذى نبحث عنه.

وفى الصباح اجتزنا الروضة إلى موطن التنانين، والواقع لم يكن ثمة أجمل من ذلك المكان الذى نزلنا فيه.. لقد كان يضم قصورًا رائعة بالغة الروعة تحوطها حدائق فيها زهور ونخيل من كل ما عرفته الأرض، وما كان أسعدنا حين وجدنا أن التنانين لم تكن وقتئذ داخل قصورها، ولم يكن هناك سوى حسناء

رائعة.. كأنها جاءت من السماء.

وهتفت الفتاة حين رأتنا، وأخذت تحذرنا من دخول القصور فى غيبة التنانين، وخلال صرخاتها كانت الدموع تنساب فى خيوط رقيقة على خديها، وقد غمرتها الفرحة إذا رأت آخر الأمر رجلين جاءا من الضفة الأخرى حيث كانت تعيش قبل أن تخطفها التنانين.

وسألتها عما جئت أبحث عنه وما كان أشد فرحتى حين أجابتنى الفتاة بأن ذلك الشىء موجود فعلاً.. ولم أهتم بعد ذلك بما قالته من أنه فى قصور أخرى غير بعيدة لدى تنانين تمت بصلة قربى للتنانين التى تعيش بينها.

وقالت الفتاة:

انطلقا الآن إلى هناك وإنى لواثقة من أنكما ستجدان ما تنشدان على أنى استحلفكما ألا تنسيانى عند عودتكما فإن الجنون سيصيبنى إذا بقيت يومًا آخر فى هذا المكان.

ولم تدعنا الفتاة تذهب إلا بعد أن أقسمت لها بأغلى ما لدى فى الوجود.. برأس أبى.. على أن آخذها معى عندما أعود، وألا أتركها فى أيدى التنانين.

وبلغنا آخر الأمر قصر التنانين، فترجلت عن جوادى وفى ساعة مبكرة من الصباح التالى، دلفت من أحد أبواب القصر، بعد أن عاد صباحى بجوادينا وفق لنصيحة الحسناء وتقدمت أنا رأساً إلى حظيرة الجياد.

كانت الجياد مستلقية كلها داخل الحظيرة.. فاتجهت إلى واحد منها، وربت على عنقه بيدى، ودغدغت أذنيه، ولكزته لكزة خفيفة، فانتفض واقفًا فألجمته وقفزت فوق ظهره وأسرعت به نحو إحدى الشرفات حيث كان قفص بداخله الطائر الصدّاح العجيب الذى جئت باحثًا عنه، فاختطفته هاربًا بكل قواى.

وما إن بلغ الفتى الراعى هذا القدر من قصته، حتى انتفض الامبراطور فى دهشة، وحملق فى الفتى صائحًا:

- إذن.. أنت الذى أتيت بالطائر الصدّاح الأكبر؟ أنت ابنى الأصغر.. لقد ظننت أنك لقيت حتفك.

وأسرع الابن فارتمى على ركبتى والده فى تأثر بالغ وانحنى الأب المشدوه، فرفع ولده واحتضنه فى قوة وأخذ يقبله فى شغف، وحنان وعاد الفتى فاستأنف حديثه وطلب من أبيه الامبراطور أن يأمر بإحضار الفتاة خادمة الحظيرة.

وجاءت الفتاة، ومثلت بين يدى الملك فقال الابن:

هذه هى الحسناء التى حدثتك عنها يا مولاى وهتف الامبراطور:

ولكن.. كيف حدث هذا؟! كيف صارت هذه الحسناء جارية تخدم فى حظيرة الخنازير؟!.

وأجاب الابن:

سوف تشرح هى الأمر فلست أعرف مما جرى لها شيئًا أما أنا فبعد أن اختطفت قفص الطائر أسرعت على ظهر جواد التنانين موليًا الأدبار.. إلا أن بقية الخيول فى الحظيرة ما إن رأتنى مسرعًا حتى علا صهيلها، فاجتذبت الضجة أصحاب القصر.. فرأونى وفوجئت بمئات التنانين تطير ورائى، فأسرعت فى انطلاقى، وهى خلفى تحاول اللحاق بى، حتى بلغت حدود الإقطاعية حيث كان رفيقى فى انتظارى.

ومد الرفيق يده إلىَّ وصاح فى صوت كأنه زئير الليث:

قفوا.

وفى لحظة جمدت التنانين فى أماكنها لا تستطيع حراكًا كأنها سمرت فى الأرض ومدت رفيقى ذراعيه فاحتضننى فى قوة وأخذ يقبلنى فى شغف وبدأت التنانين تخاطبنى عن بعد، ووعدتنى أن تمنحنى الجبال والشمس والقمر إذا رددت إليها الطائر الصدّاح، ولكنى رفضت كل إغراء، فلما عجزت عن إغرائى التمست منى أن أترك لها على الأقل الجواد المسحور وحدثتى نفسى بألا أخيب

كل آمالها، فأطلقت لها الجواد، ورحلت مع صديقى.. والطائر الصدّاح بين يدى، وأنا أخشى أن أطلق ورائى إلى حيث التنانين التى لم تستطع حراكًا قط.. حتى اختفينا عن الأنظار.

استمر الفتى فى سرد قصته فقال:

كانت الحسناء تنظرنا أمام قصر التنانين الأول، وعندما اقتربنا منها أمسكت بسوطها ثم طوحته فى الهواء ثلاث مرات، فلم يلبث القصر أن صار تفاحة حملتها الحسناء وأسرعت فألقت بنفسها بين ذراعى فطوقتها ورفعتها على جوادى.

واكتشف التنانين اختفاء الحسناء، فانطلقت خلفنا فى ثورة عارمة واهتزت بنا الأرض والتنانين تلاحقنا فى اندفاع صاخب، وتطلق صيحات مفزعة يكاد يتجمد لها الدم فى العروق.

وكانت التنانين أسرع منا، وكادت تلحق بنا، برغم أننا كنا نسابق الريح.

وأطل رفيقى إلى الوراء فوجد التنانين قاب قوسين أو أدنىَ فتوقف عن المسير، ثم رفع يده فى قوة وتلا بعض التعاويذ فإذا بالتنانين تنقلبَ فوراً إلى صخور.

التقطنا أنفاسنا، ثم تابعنا المسير فى هدوء، حتى بلغنا الروضة الأولى التى التقيت فيها لأول مرة برفيقى العزيز.

وهناك نلنا قسطًا من الراحة فقد كانت الروضة قطعة من أرض رفيقى الذى استضافنا وأكرمنا، وأقسم أن يجيبنى إلى أى طلب أريد.. قبل أن أمضى ومعى فتاتى وطائرى.

ووقع بصرى، وأنا أفكر فيما يمكن أن أطلبه على الصخور المنتصبة على هيئة تماثيل لرجلين وجوادين وكلبين فأسرعت قائلاً: إن كل ما أرجوه هو أن أعرف حقيقة هذه التماثيل.

ولم يكد رفيقى يسمع ما قلته حتى أجفل ثم أخذ يرجونى أن أطلب شيئًا آخر واستثارنى رفضه فألححت عليه فقال فى أسف:

- سوف تندم إذا أخبرتك بقصتها.

ولكنى أجبته:

- إن هذا طلبى الوحيد، فلا تحنث بوعدك ومضت لحظات قبل أن يجيبنى:

- حسنًا.. إن هذين الشخصين هما أخواك فإنهما بدلاً من أن يفعلا ما فعلت أنت ويجيبا توسلى وأنا فى أسر السحر.. أطلقا خلفى كليهما، وضربانى بعصيهما فاضطررت إلى شل حركتهما وتحويلهما إلى تماثيل.

وهنا اقتربت من رفيقى وقبلت يده وقلت فى توسل:

بحق عطفك علىّ وباسم صداقتنا الخالدة ألا ما أعدتهما إلى صورتهما الأولى.

وأجابنى رفيقى فى أسف:

- عزيز على أن أرفض طلبك وليكن ما تريد.. إلا أنى أحذرك منذ الآن ستندم كثيرًا جدًا، أكثر مما تظن.

وحرك رفيقى يده حركة غامضة فإذا الأحجار تتحرك، وإذا شقيقاى يعودان إلى الحياة.

وعانقت أخوى فرحاً بهما، وكانت فرحتنا لا توصف.. إلا أن هذه الفرحة سرعان ما تحولت إلى شىء آخر عندما انطلقنا معًا فى طريق العودة إلى الوطن.

إن أخوى لم يغفر لى العثور على الطائر الصدّاح دونهما فظلا يأتمران بى سرًا حتى إذا وقفنا إلى جانب من الطريق نستريح قال أخى الأكبر:

إننا حقًا لمرهقون والجو حار لافح فهيا بنا إلى تلك البحيرة نرتوى ونسترد نشاطنا وقوتنا.

وتبعت أخواى على ثقة فيهما وانحنى أخى الأكبر على الماء فشرب وتبعه أخير الثانى ثم جاء دورى.

وانحنيت بركبتى على حافة البحيرة كما فعل أخواى من قبل وساقاى إلى الخلف، واقتربت بفمى من الماء لأشرب وفجأة شعرت بألم شديد فى ساقى، وحاولت النهوض فعجزت واستدرت بصرى إلى الخلف. فإذا بشقيقىّ يسرعان بعيداً بعد أن قطعا بسيفهما ساقى.. وعلى الرغم من توسلاتى وصرخاتى، لم تأخذهما شفقة بى وتركانى طريحًا وواصلا سيرهما وقد أيقنا أننى لن أستطيع اللحاق بهما على الإطلاق.

بقيت ثلاثة أيام أحف حول البحيرة وجوادى المسكين إلى جوارى يحاول جهده أن يحمينى من هجوم حيوانات الغابة، وكلما اقترب منى حيوان يبغى بى شرًا رفعنى الجواد بأسنانه وأبعدنى عن متناول الحيوان الذى يهاجمنى ويحاول الفتك بى.

وفى صباح اليوم الرابع لمحت شخصًا كفيف البصر يتلمس طريقه فى صعوبة وإرهاق فهتفت به أناديه قائلاً:

من أنت يا من تسير هناك؟

وأجاب الكفيف قائلاً:

ـ تعس، مشوه، ذو عاهة..

واقترب منى الكفيف مهتديًا بصوتى وأخذنا نتبادل الحديث فقص علىّ كيف أن أخوته قد انتزعوا عينيه طمعًا فى نصيبه من إرث اقتسموه معًا وقصصت عليه كيف بتر أخواى ساقى من أجل الطائر الصداح.

فقال الكفيف:

ـ إذن فكل منا يكمل نقص الآخر: فلى ساقان ولك عينان أنا أحملك وأسير بك وأنت تبصر لى وإنى لأعرف عقربًا هائلة تعيش قريبًا من هذا المكان تشفى

دماؤها جميع الأمراض.

واتفقنا.. فحملنى وأرشدته وسرنا حتى وصلنا إلى مقر العقرب الهائلة، ولم تكن العقرب فى جُحرها حين وصلنا فوضعنى الأعمى خلف الباب، وطلب منى أن أضربها بالسيف حين تدلف إلى وكرها أما هو فقد اختفى وراء حجر كبير وحبسنا أنفاسنا ننتظر المجهول.

ولم يطل بنا الانتظار فقد عادت العقرب الهائلة إلى وكرها مغيظة محنقة كأنما تستشعر غرباء فى الوكر وروعنى منظرها ولكنى استعدت ثباتى فى سرعة، ورفعت سيفى حتى إذا ما اجتازت الباب ضربتها به ضربة هائلة، فصلت رؤوسها الثلاثة عن جسدها الكبير.

وأسرعت فاغترفت من دمائها التى كانت ما تزال حارة ووضعت ساقى المبتورتين على مكانهما من الركبتين فالتصقتا بهما وعادت كأنهما لم تبترا قط. ومددت يد من جديد فاغترفت كمية كبيرة من الدم وغمر به وجه الكفيف فارتد بصيرًا.

ثم شكرنا الله على ما أنعم علينا به من البرء، وتعانقنا ثم مضى كل منا إلى حال سبيله.

لم أشأ أن أسرع بالعودة إلى قصر أبى، فقد كنت قررت أن أدع أمر الكشف عن المذنبين إلى الله وعملت راعيًا عند بعض القوم، حتى ساقتنى قدماى إلى المعبد ذات يوم، ولم يخب الله أملى فقدرته أكبر مما يظن الجميع وحكمه عادل رحيم.

عندما انتهى الفتى من قصته انتبه الامبراطور إلى الفتاة التى كانت لا تزال واقفة مشدوهة حائرة، تستمع فى اهتمام إلى ما يقوله الفتى.. فتحول إليها يسألها عما حدث لها فقالت:

بعد أن بتر الأخوان ساقى أخيهما الصغير قرر اقتسام الغنيمة وكنت أنا من نصيب أحدهما والطائر الصدّاح من نصيب الآخر وأخذت أبكى بكاءً مرًا

وحزنت حزنًا شديدًا على الفتى الذى قُطع ساقيه وتُرك فى قسوة مطروحًا إلى جوار البحيرة وظل صاحبى يضربنى كلما ذكرته بأخيه، ثم حاول إغرائى بعد ذلك بحبه ووعدنى بالزواج بى.. إلا أنى لم أستسلم له قط، وظللت أرفض وأقاوم ما وسعنى الرفض والمقاومة.. حتى إذا بلغنا القصر، وأدرك صاحبى أنه لن يستطيع الوصول إلىّ ألقى بى فى حظيرة الخنازير فى غلظة ولم أمانع فقد كان خيرًا لى أن أعيش مع خنازير ترفق بأخوتها على أن أعيش مع رجل قطع ساقى أخيه حياً.

ونهض الامبراطور من مكانه وقال مخاطبًا الفتاة:

هل تستطيعين أن تثبتى لى صحة ما تدعين؟.

قالت الفتاة وهى تخرج من جيبها تفاحة:

هذه التفاحة تستطيع أن تثبت للجميع حقيقتى إن ولديك يا صاحب الجلالة لا يعرفان شيئًا عن هذه التفاحة وإلا لما تركها لى قط.

وخرجت الفتاة إلى الفضاء، ورفعت سوطًا صغيرًا طوحته فى الهواء ثلاث مرات.. فإذا بالمكان قصر شامخ لا مثيل له فى جميع أنحاء البلاد.

ووضح الحق للجميع وقال الإبن الأصغر لأبيه:

أبتاه قبل أن تسجد لله شكرًا على عودتى سالمًا، أريد أن نذهب جميعًا: أخواى وأنا، لنقف أمام الله محتكمين إليه.

ولم يعترض الامبراطور وجىء بالأخوين اللذين جلسا أمام أخيهما يطلبان العفو.

وقال الفتى لأخويه:

إذا غفر الله لكما فسأغفر أنا أيضًا.

واضطر الأخوان إلى الامتثال.

وأمام المعبد الكبير وعلى أبعاد متساوية.. وضعت ثلاثة سيقان نخل خاوية،

وجلس كل من الأخوة الثلاثة داخل إحدى السيقان، وقذف كل منهم إلى أعلى بحجر كبير.

فأما الحجران اللذان ألقاهما الأخوان الكبيران فقد سقطا على رأسيهما. وأما الحجر الذى ألقاه الفتى الصغير، فقد سقط بعيدًا عنه، ولم يصبه سوء.

وشهد الشعب كله حكم الله.. كما اشترك الجميع فى الولائم والأفراح التى أقيمت بزواج ولى العهد من حسنائه.. ثم باعتلائه العرش خلفًا لأبيه.

■ ■ ■

فهرس المحتويات



الأساطير اليونانية والرومانية

أسطورة الخلق الاغريقية - تصنيف الألهة الرومانية
- أبوللو رب الشمس - حصان طروادة - هرقل - أوديب
- أفروديت ربة الحب والجمال - عيد العشاق - كيوبيد
وابنة الملك - الحارس ذو المائة عين - الطائر الصدّاح

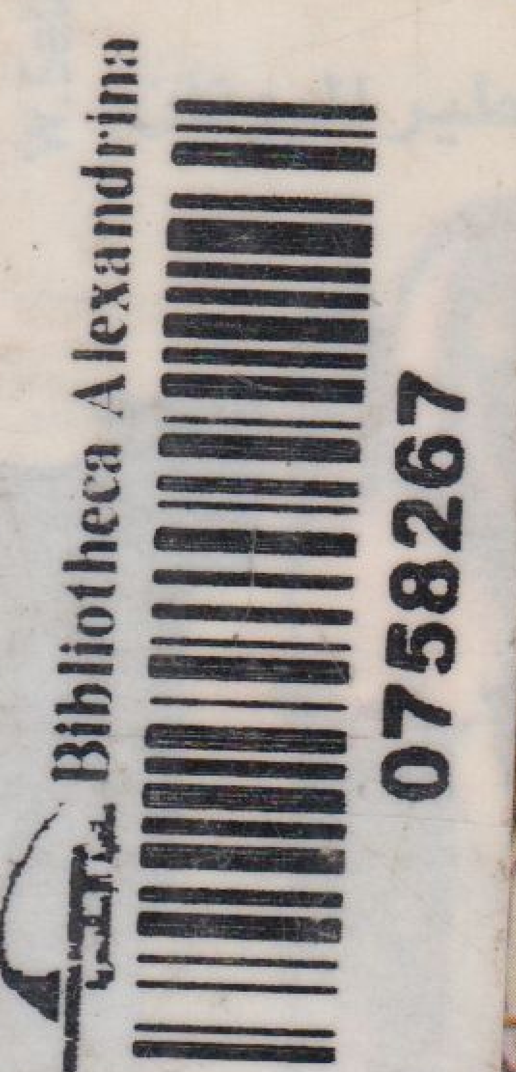
رافقت الأسطورة الإنسان منذ نشأته، وما تزال ترافقه، وما من أمة إلا ولها أساطيرها التى تمثل جزءاً ضخماً من التراث القومى الذى يتلقاه الناس جيلاً بعد جيل.

آمن الإغريق بوجود آلهة عدة، كما ربطوا بين النشاطات اليومية وأحد الآلهة، كانت "أفروديت" إلهة الحب والجنس، بينما كان "آريز" إله الحرب، ويميل إله الموتى، وتبوأ أبطال الإغريق فى أساطيرهم مرتبة الآلهة تقريباً.

على الرغم من وجود أوجه تشابه بين الأساطير الرومانية واليونانية إلا أن أساطير الرومان لها ما يميزها عن بقية الأساطير الموجودة فى الغرب.

وهذا الكتاب يصحبك.. فى رحلة ممتعة إلى عالم الأسطورة فيبدأ بالخليقة ثم يرقى بنا إلى ذرى الأولمب، ليهبط بنا إلى البحار، ومنها إلى المروج والغابات حيث كان لكل منها أربابها.

وأرجو أن يكون هذا الكتاب بمثابة موسوعة صغيرة شاملة لأسـ[illegible] والرومان.



كنوز
للنشر والتوزيع